

مَنَاقِبُ الْقُطْبِ الرَّبَّانِيِّ
سَيِّدِي عَبْدِ الْوَهَّابِ الشَّعْرَانِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

المُسْتَعَى

تَذَكُّرَةٌ أُولَى الْأَبَابِ فِي مَنَاقِبِ الشَّعْرَانِيِّ سَيِّدِي عَبْدِ الْوَهَّابِ

تَأْلِيفُ الشَّيْخِ الْعَلَامَةِ

مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْأَنْسِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْمَلِيجِيِّ الشَّعْرَانِيِّ الشَّافِعِيِّ

حَقَّقَهُ وَقَدَّمَ لَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

الْأَسَازُ الدُّكُورُ جُودَةُ مُحَمَّدُ أَبُو الْبَزِيدِ الْمَهْدِيُّ

عَمِيدُ كَلِيَّةِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِطَلْعَا

الدُّكُورُ مُحَمَّدُ عَبْدِ الْقَادِرِ نَصَارُ

الْمُدْرِسُ بِكَلِيَّةِ الْأَنْسَنِ بِالْقَاهِرَةِ



مَنَاقِبُ الْقُطْبِ الرَّبَّانِي
سَيِّدِي عَبْدُ لَوْهَابِ الشَّعْرَانِي

المُسَمَّى
تَذَكُّرُةٌ أُولَى الْأَبَابِ فِي مَنَاقِبِ الشَّعْرَانِي سَيِّدِي عَبْدُ لَوْهَابِ

تأليف الشيخ العلامة
محي الدين أبي الأنس بن عبد الرحمن المليجي
الشعراني الشافعي رحمته الله

حققه وقدم له وعلق عليه
الأستاذ الدكتور جوده محمد أبو اليزيد المهدي
عميد كلية القرآن الكريم بطنطا

والدكتور محمد عبد القادر نصار
المدرس بكلية الألسن بالقاهرة

الدار الجودية للنشر والتوزيع

© جميع الحقوق محفوظة: لا يجوز نشر أي جزء
من هذا الكتاب، أو تخزينه أو تسجيله بأية وسيلة،
أو تصويره دون موافقة كاتبة من الناشر

الكتاب: مناقب القطب الرباني سيدي عبد الوهاب الشعراني.
المؤلف: محيي الدين أبو الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجي الشعراني الشافعي.
المحقق: أ.د. جودة محمد أبو اليزيد المهدي، د. محمد عبد القادر نصار.
الناشر: الدار الجودية للنشر والتوزيع.

الطبعة الأولى ٢٠٠٥

رقم الإيداع: ٢٣٨٦٢ / ٢٠٠٥

الترقيم الدولي: X-٢٤-٦١٥٦-٩٧٧

طبع في القاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي عظم شأن أوليائه العارفين ورفع لواء مجدهم في العالمين، ونوه برفعة أقدارهم في كتابه المبين فقال تعالى شأنه: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ) (١).

والصلاة والسلام على رحمة الله للعالمين سيدنا ومولانا محمد عمدة الأولياء الصالحين ومزكي الورثة المحمدين ومرفقي الصفوة الربانيين إلى مقامات الكاملين الواصلين رضي الله عنهم وجعلنا في معيتهم المباركة في الدنيا ويوم الدين - اللهم آمين.

أما بعد

• فإن من أعظم وسائل النهوض بالأمة المحمدية على امتداد أعصارها وتباين أحوالها هو الأخذ في إحياء مجدها بتجلية المثل العليا من عظمائها وشوايخها رأي العين، وإبراز جوانب عظمتهم وسموهم وشموخهم وتفردهم وعرفانهم وتحقيقهم وتجسيد دورهم الإصلاحي للأمة بالقدر الذي يستنهض الهمم المطمورة والعزائم المفتورة ويستخرج الطاقات الإيمانية الكامنة في أعماق شباب الأمة وفتيانها ورجالها ونسائها.

• وإن من أعظم أولئك القادة الربانيين والمصلحين المربين والأولياء العارفين الذين لهم أعظم الأثر التربوي الإصلاحي الولائي العرفاني إمام الأئمة ومفخرة الأمة، كنز المعارف الوهية والكسبية وقطب دائرة الولاية الإرشادية المحمدية طود الرسوخ والتحقيق ومنار السلوك وشيخ الطريق، ترجمان الصوفية الأشهر وعلم العرفان الأبرر شيخ الإسلام أبا المواهب سيدي الإمام عبد الوهاب

(١) سورة يونس: الآية الكريمة ٦٢، ٦٣.

الشعراني قدس الله سره ورفع في العالمين ذكره ورضي عنه وعنا به في الدارين -
آمين.

• هذا الإمام الرباني الذي سطع نجمه في القرن العاشر الهجري مجدداً لأمر دين
الأمة عقيدة وشريعة وطريقة وحقيقة.

فقد استوعبت محصلته من شتى العلوم النقلية والعقلية ما تنوء به الجبال،
وغمر المكتبة الإسلامية بفيوض مصنفاته التي تجاوزت الثلاثمائة في شتى ألوان
التخصصات العلمية.

حتى لقد شهد بعض المستشرقين في عصرنا بأن من بين مصنفات الإمام
الشعراني التي تجاوزت الثلاثمائة مصنف «خمسة وعشرين مصنفاً يعد فيها مبتكراً
محضاً لم يسبق إليها - و (وذلك مبلغهم من العلم)!!»

وناهيك بكتابه «فصوص اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر» الذي
اعتصر فيه صفوة مذهب أهل السنة والجماعة من نفائس أقوال وتقارير العارفين.

وكذا مصنفه النفيس «القواعد الكشفية الموضحة لمعاني الصفات الإلهية»
الذي ضمنه روائع التحريات لمسائل الصفات بما يبهر الألباب!!

• أما مصنفاته الفقهية لا سيما الموازين الكبرى والصغرى والخضرية وكشف الغمة
عن جميع الأمة، فدونك إماماً من الطراز الأرفع لا سيما في الفقه المقارن الذي
وازن فيه بين الآراء بميزان العرفان والكشف البصيري.

• ثم ناهيك به في مصنفات علوم الحقائق والسلوك والأخلاق ك: «الكبريت
الأحمر» و «مختصر الفتوحات المكية» الذي احترز به عما دس على الشيخ الأكبر
سيدي محيي الدين بن عربي - قدس سره - وجرده عن المفتریات عليه وكذا
«لطائف المنن» و «المعهود المحمدية» و «الأخلاق المتبولية»، الذي يعد أعظم ما
صنف في علم الأخلاق الإسلامي.

ثم دواوين التراجم الصوفية: «الطبقات: الكبرى والصغرى والوسطى» -
الذي نشرف بتحقيقه وخدمته ليظهر قريباً بمشيئة الله تعالى - ومئات المصنفات
الأخرى في شتى العلوم والمعارف.

• ومع الجانب العلمي العرفاني للإمام الشعراني يبرز الجانب الولائي التحقيقي
للوارث المحمدي والقطب الرباني سيدي عبد الوهاب قطب دائرة السلوك
والإرشاد ومربي الأولياء بالمنهج المحمدي.

إنه العارف العابد الذي اصطنعه الحق تعالى لنفسه فكان مجتبي العناية الإلهية
منذ فجر وجوده ونشأته فكان يقرأ القرآن كله في ركعة وهو دون البلوغ كما صرح
بذلك في «لطائف المنن»!!

وهو الذي ترقى في معارج القرب والاصطفاء حتى كان يجتمع بقظة مع
سيد الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وينهل من معين أنواره.

وهو الذي تخرج على يديه ومن ساحة مسجده أكابر من العلماء والأولياء ولا
يزال يتربى على هديه أكابر الأولياء إلى عصرنا، فقد كان شيخنا الأجدد مولانا الشيخ
جودة إبراهيم الحسيني الحسيني النقشبندي رضي الله تعالى عنه وعنا به يقصد ضريحه
بالزيارة ويمكث فيه أطول مدة - في زيارته لأولياء مصر - فإذا سئل عن تخصيصه
بطول الزيارة قال رضوان الله عليه «... رضي الله عنه إن كتبه هي التي ربّتنا»!! وفيه
رمز إلى ما وراء الكتب!! (وهذا أبرز أسباب عنايتنا بخدمة هذا الكتاب).

• لقد تربع مولانا الإمام الشعراني - قدس الله سره - على مكانة في الولاية
والعرفان لم يظفر بها إلا الأفراد - بالمعنى الاصطلاحي الصوفي للأفراد - في
الأمة المحمدية.

ولعظم تأثيره في الأمة ناله - من التحقق بالإرث المحمدي - ما نال عظماء
القادة المصلحين والهداة المحمدين من حقد أعداء النور ممن يتخبطون في ظلام

الباطل ويناطحون بقرونيهم جبال الحق وشوامخ الولاية، فأنكروا عليه بل ودرسوا عليه في حياته في كتبه ما يبرأ منه كما صرح بذلك في مقدمة كتابه «اليواقيت والجواهر، ص ٧: ط الأزهرية المصرية».

○ فكان وجوباً على عارفي فضل سيدي الإمام عبد الوهاب الشعراني أن ينهضوا بحق هذا الإمام في التبصير بحقه وحقيقته على قدر المستطاع، فإن حقائق الأولياء لا تنكشف في هذه الدار، لأنهم ضنائن الله في خلقه وكنوزه المخفية أقدارهم بين عباده.

○ وعلى رغم عظمة هذه المنزلة لهذا الجنب الشعراني سيدي عبد الوهاب فإن المكتبة الإسلامية لم تظفر - فيما نعلم - بكتاب تراثي مستقل بترجمته والتعريف بمناقبه إلا هذا الكتاب الذي نشر ف بتحقيقه وخدمته «تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب» لأحد أحفاده مولانا الشيخ محيي الدين أبي الأنس محمد بن عبد الرحمن المليجي الشعراني الأشعري الشافعي الأحدي الشناوي - رضي الله تعالى عنه وأرضاه

○ وهذا الكتاب لم نظفر له إلا بطبعة واحدة طبعت بمطبعة أمين عبد الرحمن «سنة ١٣٥٠هـ = ١٩٣٢م».

وقد عثرنا له على مخطوطة بدار الكتب برقم «٢٩٧٧ تاريخ» وتقع في «١٤٧» سبع وأربعين ومائة لوحة «مقاس ١٦ × ٢٣ سم» وقد كتبت بخط النسخ المعتاد. وقابلنا بينها وبين المطبوعة فوجدنا بالمخطوطة باباً كاملاً - وهو الباب الرابع - قد خلت منه الطبعة الأولى سالفة الذكر وأثبتناه من المخطوطة وبه تمتاز هذه الطبعة المحققة بتوفيق الله تعالى.

○ ومن ثم فإن هذا الكتاب النفيس يشتمل على أربعة أبواب كما أوضح في مقدمته

فالباب الأول: يتناول بيان مناقب جماعة من أصوله وأسلافه الكرام وأخيه الهمام وهو حافل بالمآثر الجمّة الوضاعة لأباء وأجداد الإمام الشعراني.

والباب الثاني: في بيان مناقبه الخاصة به وسيرته الذاتية وترجمته العلمية والسلوكية ومكانته الصوفية ومقاماته الولائية التحقيقية. وفيه نقف على عظمة شخصية سيدي عبد الوهاب وسمو منزلته بما يؤكد أنه مفخرة للأمة المحمدية.

والباب الثالث: في بيان مناقب أولاده وأحفاده وذريته المباركين وفيه تجسيد حي لامتداد الإرث النوراني الولائي في ذرية الإمام.

ثم الباب الرابع: في بيان مناقب أصحابه وأتباعه وتلامذته المباركين رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وبعد: فإننا نعتز أيها إعتزاز ونشرف أيها شرف بتوفيق الله تعالى إيانا لخدمة وتحقيق هذا الكتاب وتقديمه إلى الأمة الإسلامية تقرباً إلى الله عز وجل وخدمة لأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وحباً وإكباراً للشيخ الإسلام أبي المواهب سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنه وعنا به وحشرنا في زمرة يوم الدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

من الرحاب الأحمدى البدوي المبارك
في ذي القعدة ١٤٢٦ هـ = ديسمبر ٢٠٠٥ م
أ.د/ جودة محمد أبو اليزيد المهدي
د/ محمد عبد القادر نصار

ترجمة المؤلف

هو العلامة الشيخ أبو الأنس وأبو صالح محمد محي الدين بن عبد الرحمن المليجي الشافعي الأشعري الشعراني، ونسبه يمتد إلى العارف بالله سيدي علي المليجي الشهير بالوصال الكائن مقامه ببلدة مليج بالمنوفية وهو أحد خلفاء العارف الولي سيدي أبو الفتح الواسطي أول من نشر الطريقة الرفاعية بمصر، وقد ترجم له سيدي عبد الوهاب الشعراني بالطبقات الكبرى وذكره بالتعظيم والإجلال.

وقد ذكر النسب بتمامه في كتاب (السر الرباني في طريقة القطب الشعراني) الذي هو مختصر من هذا الكتاب وهو مخطوط محفوظ بدار الكتب المصرية برقم (١١٢٨) تاريخ تيمور)، وهو محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحمن بن أبي الحسن بن محمود بن محمد بن عبد العال بن تاج الدين بن أبي الحسن بن شرف الدين بن يحيى بن عبد المجيد بن أبي السعود بن عبد المنعم بن سيدي علي المليجي رضي الله عنهم أجمعين.

وفي فهرس الفهارس أن اسم والده عبد الرحيم، موضوع بين معقوفتين، والظاهر أنه وهم من محقق الكتاب نتج من عدم وضوح في هذا الموضع من أصل المرجع المذكور، خاصة وقد ذكر والده في الصفحة التالية من نفس المرجع باسم (عبد الرحمن)!!

وأول من استوطن مصر القاهرة من هذه الذرية المباركة هو جده الشيخ عبد الرحمن، استقدمه إلى مصر سيدي الإمام الشعراني حين زيارته سيدي علي المليجي في طريقه لحضور مولد سيدي أحمد البدوي رضي الله عنه وعنا به، حيث رآه وهو شاب في الخامسة والعشرين فتوسم فيه الصلاح والهمة، فطلب من والده السيد أبا الحسن أن يأخذه معه إلى مصر، فأذن والده وقال لسيدي الشعراني «الفضل لك في القبول، وهو تلميذك من هذا الوقت». فلما رجع الإمام رضي الله عنه من زيارة سيدي أحمد البدوي، أخذه إلى مصر. ثم استخلفه سيدي الشعراني على قراءة الأوراد بالزاوية الشعرانية المباركة، وصار إماماً للزاوية.

وقد توفي جد المؤلف في عهد خلافة سيدي يحيى حفيد الإمام الشعراني ، وتوفي والده الشيخ عبد الرحمن سنة ١٠٧١ في عهد خلافة سيدي عبد الحليم الشعراني، رضي الله عنهم جميعاً.

وقد وفقنا الله تعالى للوقوف على تاريخ ميلاد المؤلف وحددناه بسنة ١٠٥٠، حيث ذكر ص ١٩٣ من كتابنا هذا أنه كان في الخامسة عشرة من عمره حين وفاة سيدي يحيى الشعراني وكان ذلك سنة ١٠٦٥. ولم نقف على تاريخ وفاته، وإن كانت تواريخ ثلاثة من مؤلفاته تعود إلى السنين الأولى من القرن الثاني عشر. فقد ذكر العلامة الكتاني أن المؤلف انتهى من كتابة ثبته «سرور القلب وقرّة العيون» الذي يشير إليه في كتابنا هذا سنة ١١٠٦. وانتهى من كتابة «السر الرباني» سنة ١١٠٩، وشرع في تأليف كتابنا هذا بعد أن انتهى من «السر الرباني» كما يذكر داخل الكتاب، والغالب أنه انتهى من تأليفه ثم زاد فيه بحسب ما تجمع له من مادة، ونرجح أنه انتهى منه قبيل سنة ١١١٥، حيث ذكر ورود إشارة بقبول للكتاب من سيدي الإمام الشعراني بواسطة الشيخ محمد الجلوّتي في جمادى الآخرة سنة ١١١٣. وله مؤلف رابع ذكره داخل الكتاب وهو (إطلاق اللسان بالتحديث بنعم الله والإحسان)). وعليه تكون وفاته في الثلث الأول من القرن الثاني عشر على الأغلب.

وقد ارتبط المؤلف فيما يبدو بعلاقة مصاهرة مع بعض السادة من الأسرة الشعرانية، حيث ذكر العلامة الكتاني في فهرس الفهارس صفحة ١٠٥٣ من المجلد الثاني تلقي والده أسانيد الطريقة الشعرانية وغيرها عن والده عن خاله عبد الواحد بن عبد القادر الشعراني عن عمه سيدي عبد الوهاب، رضي الله تعالى عنهم جميعاً.

وتلقاها أيضاً عن أبيه الشيخ عبد الرحمن عن جده الشيخ عبد الرحمن عن سيدي الإمام الشعراني. وأخذها كذلك عن العلامة شمس الدين البقري المترجم له في حواشي الباب الرابع عن عمه الشيخ موسى عن الإمام الشعراني. وكذلك عن الشيخ كمال الدين الشناوي الطويل عن سيدي أحمد الشناوي الشهير بالخامي نزيل مكة المكرمة عن سيدي عبد القدوس عن الإمام الشعراني وهو أخذ الشناوية الأحمدية عن سيدي محمد الشناوي والد الشيخ عبد القدوس، قدس الله أسرارهم جميعاً. وانظر الزيادة في فهرس الفهارس.

مقدمة الطبعة الأولى لحفيد الإمام الأستاذ الشعراني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل في كتابه الحكيم ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾^(١) والصلاة والسلام على رسوله الكريم الذي أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله صلاة وسلاماً دائمين متلازمين وعلى آله وصحبه والتابعين ومن بهم اقتدى وبنورهم اهتدى.

وبعد فمذ نشأت وأنا دائب الاستقراء كثير الشغف بالبحث عن الآثار العلمية لجدي الأعلى العارف بالله تعالى سيدي الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني سواء منها المطبوع والمخطوط.

وقد وفقني الله تعالى أخيراً إلى أن أتخذ دار الكتب الملكية المصرية قبلتي في البحث عن كثير من مؤلفاته التي نوه بها ﷺ في بعض كتبه المطبوعة المتداولة كلطائف المنن والميزان الكبرى وذكرها كثير من المؤرخين كالمرحوم علي باشا مبارك في خططه التوفيقية وغيره من الكاتبين وعدتها سبعون مؤلفاً.

فهديت بعد البحث والتنقيب إلى ثمانية وأربعين في فنون مختلفة في التفسير والحديث والكلام والتصوف والأخلاق الدينية والنحو وأصول الفقه وفقه الإمام الشافعي والتاريخ أكثرها مخطوط والقليل منها مطبوع ولكنه ليس في متناول اليد لنفاذه وبعد العهد بطبعه.

وقد استخرت الله تعالى وشرعت في نقلها وأتممت الكثير منها، وسأنتهز الفرصة لطبعها بالتدريج ونشرها على الجمهور لإفادته، وإشادة بذكر سلفي العظيم ووفاء بحقه علي ﷺ.

(١) سورة الحجرات: الآية الكريمة / ١٣.

وها قد أتممت طبع كتاب «المقاصد السنية في بيان القواعد الشرعية» في علم الأصول وأتبعته بكتاب «المناقب الكبرى» المسمى «تذكرة أولي الألباب في مناقب الإمام العارف بالله تعالى الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني» لمؤلفه العالم العلامة أبي صالح محمد المليجي الشافعي من علماء أوائل القرن الثاني عشر الهجري وهو مكتوب بخط مؤلفه ومحفوظ بدار الكتب الملكية المصرية ورقمه في فهرس علم التاريخ (٢٩٧٧).

وقد أتى هذا الكتاب «المناقب الكبرى» على شيء من تاريخ الإمام الشعراني ودل على ما كان له من المكانة السامية في النفوس من نواحي علمه ودينه وتصوفه وزهده وما اختصه به الله من الخوارق كولي من أوليائه المقربين.

ولا يفوتني أن أختص بالشناء العظيم حضرات موظفي دار الكتب الملكية المصرية وأن أنوّه بالمساعدة القيمة التي تقدم بها كل من إسماعيل أفندي حسن كاتب أول أوقاف الأستاذ الشعراني وعبد العزيز أفندي نديم الكاتب الثاني والشيخ إمام موسى المدرس بمدرسة الأستاذ الشعراني فقد بذلوا جهداً كبيراً في معاونتي على هذا العمل الشاق حتى أشرف على التمام.

وكان تمام طبع هذا الكتاب في ٢٧ رمضان سنة ١٣٥٠ الموافق ٤ فبراير سنة ١٩٣٢. جزى الله مؤلفه خير الجزاء ووفقني إلى نشر باقي المؤلفات خدمة للعلم والجمهور وابتغاء مرضاة الله، وأسأله تعالى أن يجعل عملي خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبله من عبده الفقير.

خادم الإمام الشعراني
صفر عبد الوهاب الشعراني

مقدمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول العبد الفاني محمد محي الدين أبو الأنس الشافعي الشعراني: الحمد لله الذي خص أوليائه بكراماته فهم بها له مؤمنون، أحمدوه وأشكروه على تزايد إنعامه وعونه لنا فيهما، فنحن به له على الدوام حامدون وشاكرون. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يعترف بها ويشهد بها المقربون، وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً ﷺ عبده ورسوله الذي أنزل عليه في كتابه المكنون ﴿الْأَبَاقُ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾^(١).

اللهم صل وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وأنصاره وأتباعه الذين هم على الأرائك ينظرون صلاة وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم يبعثون.

وبعد فقد سألتني سابقاً حضرة الوزير المعظم والمشير المفخم والدستور المكرم، مدبر أمور جمهور العالم بأعلى القوة والهمم، مشيد أركان الدولة والإقبال بالرأي الصائب، مؤيد عنوان الصولة والإجلال بالفكر الثاقب، مولانا الوزير حسن باشا^(٢) محافظ مصر المحروسة المحمية، دامت دولته المأنوسة البهية، آمين اللهم آمين عن حضرة القطب الرباني والهيكل الصمداني سيدي عبد الوهاب وعن طريقته وعن كراماته بحضرة جمع من أكابر الدولة المصرية. حفهم الله بالطاقة الخفية. حين طلعتنا له بصحبة ولد الأستاذ المذكور لتهنئته بوزارة مصر وجلوسه بقلعة الجبل في غرة شهر شعبان المبارك من شهور سنة تسع ومائة وألف من الهجرة النبوية. وقد أجبت به بجواب غير كاف في الترجمة والتعريف عن هذا الولي الكبير والأستاذ الشهير.

(١) سورة يونس: الآية الكريمة / ٦٢.

(٢) ولي مصر ما بين سنتي ١٠٩٨ و ١١٠٠.

ولما رجعنا من عند الوزير جمعت أوراقاً في تعريفه وكراماته وغالب أحواله وطريقته فبلغ الجمع في ذلك نحو خمسة كراريس وسميته «السر الرباني في مناقب الشيخ الشعراني» وهو المناقب الصغرى^(١).

ثم بعد ذلك الجمع اطلعت على شيء كثير من مناقبه وكراماته وخوارق عاداته زيادة على ما جمعته فشرعت في كتابته في هذه السطور، جمعته فجاء بحمد الله تعالى في نحو عشرين كراساً^(٢).

وهي في بيان مناقبه وفضله وكرامته وفي بيان نسبه وسيادته، وفي بيان زمن ولادته وبلدته، وفي بيان بدايته ونشأته، وفي بيان مهاجرته ونقلته، وفي بيان محل مجاورته وإقامته، وفي بيان كيفية مجاهدته وعبادته، وفي بيان طلبه للعلم وأهليته، وفي بيان قراءته على مشايخه وهمته، وفي بيان اطلاعه على كثير الشرع وآله، وفي بيان كثرة قراءته فيها ومطالعه، وفي بيان مشايخه في الشرع واتصاله بهم وسلسلته، وفي بيان مشايخه في التصوف وطريقته، وفي بيان مؤلفاته وكتابته، وفي بيان فهمه في العلوم الشرعية والحقيقية وسعته، وفي بيان فضيلته وناطقته، وفي بيان مناقبه وخوارق عاداته، وفي بيان محاسن أخلاقه وصفته، وفي بيان وقت مرضه وكيفيته، وفي بيان وقت نقلته إلى دار كرامته، وفي بيان مشهده والمجتمعين في جنازته، وفي بيان عمره وقدر مدته، وفي بيان أصل إنشاء مدرسته، وفي بيان أصل إنشاء تربته، وفي بيان مناقب أولاده وأحفاده وذريته، وفي بيان أتباعه وأشياعه وتلامذته.

وقد جاء بحمد الله تعالى هذا الكتاب في غاية الإفصاح والتحقيق، ونهاية الإيضاح والتدقيق. فأسأل الله تعالى أن يحفظه من كل حاسد يدخل فيه ما ليس منه، أو يرده عدواناً، أو يصد الناس عنه، وأعيذه بالواحد من شر كل حاسد. وأسأل من

(١) مخطوط بدار الكتب المصرية.

(٢) وبمراجعة الفترة الزمنية التي استغرقها تأليف السر الرباني، ثم التي استغرقها إطلاع المؤلف على ما تفرق من مناقب الإمام وتأليف الكتاب، نقطع بأن زمن تأليف الكتاب بعد سنة ١١٠٠ كما سيلي في ص ١٧٥.

فضل من اطلع عليه من أهل العلم والفضل أن يصلح ما أخطأت فيه، أو كُمنَ مني في مطاويه بَعْدَ النظر والتأمل والإنصاف والعدل. فإن القصد به وجه الله الكريم والتوسل به إليه، وإلى هذا الولي العظيم، وأن يمدنا بمدده الجسيم، ويسترنا بين عباده في الدارين بستره العميم. آمين. اللهم آمين وسميته «تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب». وهو «المناقب الكبرى». جعله الله خالصاً لوجهه الكريم ونفع به جميع المسلمين وخلق الله أجمعين. وهذا أو ان الشروع في الكتاب فأقول وبالله التوفيق والمستعان وعليه الهداية والتكلان.

اعلم وفقني الله تعالى وإياك إلى محبة أولياء الله تعالى والاعتقاد فيهم والقرب إليهم. وحماني وإياك من المحاربة لهم والانتقاد عليهم. إني لما رأيت أن من تمام مناقب سيدي عبد الوهاب صلاح أصوله وفروعه لوجود مناقب لهم وكرامات وخوارق عادات وأنهم من أكابر أهل الطاعات والعبادات ذكرت مناقبهم لإتمام مناقبه ﷺ وجعلته على أربعة أبواب.

الباب الأول

في بيان مناقب جماعة من أصوله وأسلافه الكرام، ومناقب أخيه العارف الهمام، وهم: الشيخ موسى المكني بأبي العمران، وهو الجد الخامس لسيدي عبد الوهاب كما سيأتي بيانه، والشيخ محمد ولد الشيخ موسى المذكور، والشيخ أحمد ولد ولده، والشيخ علي ولد ولد ولده، والشيخ أحمد والد سيدي عبد الوهاب. وأفردت كل واحد منهم بمناقب تخصه فيها رضي الله عنهم أجمعين.

الباب الثاني

في بيان مناقبه الخاصة به وبيان ما وقع له من خوارق العادات وبيان أحواله من ولادته إلى وفاته على حكم ما بيته فيها تقدم في فهرست الكتاب.

(١) في المطبع: «لكل»، والمثبت من المخطوط.

الباب الثالث

في بيان مناقب أولاده وأحفاده وذريته وهم الشيخ عبد الرحمن والشيخ إبراهيم والشيخ يحيى والشيخ محمد والشيخ عبد الحليم والشيخ عبد الوهاب الصغير ولد سيدي عبد الحليم، والشيخ مصلح الدين شيخ السجادة الآن حفظه الله وحفظ عليه ولده سيدي عبد الحليم وجعل فيه البركة والنجابة والنفع العميم بمحمد وآله وصحبه وكل نبي كريم.

وقد ذكرت مناقبهم واحداً بعد واحد على ترتيب وجودهم إلى سيدي مصلح الدين المذكور، وذكرت أحوالهم ومدة جلوسهم على سجادة جدهم وغير ذلك رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

الباب الرابع

في بيان مناقب أصحابه وأتباعه وأشياعه وتلامذته رضي الله تعالى عنه وعنهم أجمعين^(١). وهو آخر الكتاب فالحمد لله رب العالمين.

(١) وهو الباب الذي أسقط من المطبوع، والمثبت في هذه الطبعة.

الباب الأول

في بيان مناقب جماعة من أصوله
وأسلافه الكرام ومناقب أخيه العارف الهمام

فأولهم العالم العامل والولي الكامل قدوة العارفين وعمدة المسلكين إلى طريق
رب العالمين.

«مولانا الشيخ موسى أبو^(١) العمران»

بكسر العين وإسكان الميم. اشتهر رحمه الله بهذه الكنية في بلاد البهنسا بصعيد مصر
الأدنى ولم يعرف فيها إلا بها. كان رحمه الله من أجل أصحاب سيدي الشيخ أبي مدين
التلمساني شيخ المغرب والمشرق، وكان رحمه الله من أولاد مولاي أبي عبد الله أحمد الزغلي
بضم الزاي وإسكان الغين المعجمة نسبة إلى قبيلة من عرب المغرب يقال لهم بنو
زغلة: وكان أحمد الزغلي هذا سلطان تلمسان المغرب وما والاها.

فلما ترعرع سيدي موسى المذكور اختار السلوك إلى طريق الله عز وجل على
السلطنة ومُلِك والده، فتشوش والده لذلك. فلما غلب الأمر عليه أطلق والده له
الأمر فيما يريد، فاجتمع الشيخ موسى المذكور على فريد عصره ووحيد دهره الشيخ
الإمام أبي مدين التلمساني رحمه الله، فلما قدم عليه قال له إلى من تنتسب: قال: إلى السلطان
مولاي أبي عبد الله أحمد.

قال: وما ينتهي إليه نسبك. قال: إلى السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن
أبي طالب رضي الله تعالى عنه:

فقال الشيخ أبو مدين طريق فقر وملك وشرف لا يجتمعن.

فقال الشيخ موسى يا سيدي أشهدك أني قد خلعت نسبتي الملك والشرف
على غيري ورضيت نسبة الفقر لي.

(١) في المطبوع «أبي»، والتصحيح من المخطوطة «رقم ٢٩٧٧ تاريخ».

وقال سيدي عبد الوهاب الشعراني أيضا: إن الشيخ موسى لما اجتمع بسيدي أبي مدين التلمساني قال له أبو مدين لمن تنتسب؟

قال أنتسب إلى مولاي أبي عبد الله أحمد سلطان تلمسان.

فقال له: فقر وشرف لا يجتمعان.

فقال له الشيخ موسى يا سيدي تركت الشرف. انتهى.

وفي عبارة له في غير هذا الكتاب فقر وشرف وملك لا يجتمعن.

فقال له الشيخ موسى: أفوت ما عدا الفقر، يعني سلوك طريق القوم، يعني الصوفية الكرام. فقال له سيدي أبو مدين: الآن آخذ عليك العهد وأربيك. انتهى.

ولما أرسل سيدي أبو مدين جماعة من أصحابه إلى جملة من البلاد يربُّوا المريدين بها ويسلكوهم إلى طريق الله عز وجل، أرسله من جملة من جملتهم وقال له: يا موسى إذا وصلت إلى مصر فاقصد ناحية «هور» بصعيدها الأدنى فإن فيها قبرك، وكان كذلك. وتفرقت أولاده في البلاد فجماعة منهم ماتوا بمنشية الأمراء، وجماعة بالمنشية وجماعة ببلنسور، وساح هو وبعض أولاده إلى بلاد الرجراج.

قلت: وقد اجتمعت بجماعة من ناحية البهنسا فسألتهم عن أبي العمران هل تعرفونه؟

فقالوا كلهم كيف لا نعرفه؟ نحن كلنا نعرفه ونعرف كراماته وخوارق عاداته وهو مدفون عندنا بهور بإقليم منية ابن خصيم وأولاده مدفونون بناحية شلقام بإقليم البهنسا.

ثم إنني بعد سؤالهم بمدة وجدت ذلك أيضا بخط سيدي عبد الوهاب الشعراني في كتاب له بمناقب جده الخامس الشيخ موسى أبي العمران وهو كتاب غير كتاب الطبقات.

وقال الشيخ عبد الوهاب في طبقاته الوسطى أن جده الشيخ موسى المذكور سافر إلى الشام فرأى امرأة تائهة وهي تقول: من يحملني إلى بلادي بخراسان.

فاشترى الشيخ موسى لها دابة وحملها عليها إلى بلادها ثم رجع إلى بلده ليس له حاجة بخراسان إلا حمل هذه المرأة ابتغاء مرضاة الله عز وجل. انتهى.

وقال سيدي عبد الوهاب أن الشيخ موسى كلمته البهائم ونطقت له وإنه كان يركب الأسد ويدخل به البلد وهو راكبه وساح إلى الأرض الرجراج وصين الصين وكان ﷺ يجيب مريده إذا ناداه ولو كان بينه وبينه مسيرة سنة أو أكثر.

قال سيدي عبد الوهاب وتبعته على ذلك أعمامي ووالدي فلما خفت موت نسبنا وضياعه بالكلية ذكرته في مؤلفاتي.

قال الشيخ عبد الوهاب وأخبرني الشيخ كمال الدين أن نسبنا القديمة وجدوا عليها خطوط أولياء المغرب وعلمائها وقضاتها فوقع بين أولاد عمنا وبين الخليفة سيدي يعقوب العباسي ما لا يوصف، فأرشي^(١) عليها سيدي يعقوب العباسي من أخذ النسبة من أولاد عمنا وقال ليس لنا^(٢) أولاد عم أبداً خوف انقراض بيتهم أو ضعفه فتعطى لأولاد عمنا الخلافة. ولعمري الشرفاء أحق منا بذلك، وهم كثيرون في أرض مصر. انتهى.

قال سيدي عبد الوهاب ووقع على يديّ جدي الشيخ موسى المذكور الكرامات الكثيرة وخوارق العادات من جملتها أنه أخبر أصحابه بأحوال ولد ولد ولده هو سيدي نور الدين على الأنصاري الآتي بيانه قريباً وبمجيئه في وقت كذا وكذا وظهوره فيه وبولايته ووصوله إلى حضرة ربه وبمناقبه فكان الأمر كما أخبر عنه.

مات ﷺ سنة سبع وسبعماية من الهجرة النبوية رحمة الله تعالى عليه^(٣).

(١) بالمخطوط: «أرسي»، والمثبت من المطبوع ومن الطبقات.

(٢) أي ليس للخليفة أولاد عم، الذين هم أولاد عم جدود سيدي الشعراني.

(٣) وهذا يقتضي كونه من المعمرين إذا سلمنا بتلقيه بلا واسطة عن سيدي أبي مدين الغوث المتوفي سنة خمسماية ونيف وثمانين على أرجح الروايات.

«سيدي محمد»

الثاني: العارف المحقق والزاهد المدقق العالم الرباني والولي الصمداني ولده سيدي محمد فإنه ظهرت له الكرامات الخارقة والكشوفات الصادقة حتى أذعن لولايته أهل بلده، ومات رحمه الله تعالى وهو صغير ببلده شلقام ودفن بها وقبره بها ظاهر يزار، وخلف بعده ولده سيدي شهاب الدين أحمد الآتي بيانه بعده رحمه الله تعالى ورحم أسلافه الكرام آمين.

«سيدي أحمد شهاب الدين الشعراني»

الثالث العالم الرباني والمحقق الصمداني الأمي المحمدي سيدي أحمد شهاب الدين الشعراني رحمه الله وهو أول من هاجر من بلد^(١) شلقام إلى ناحية ساقية أبي شعرة بالمنوفية بعد موت والده سيدي محمد المتقدم، فأقام بها وظهر فيها بالولاية والصلاح والزهد والورع والعفة والصيانة والديانة وحسن السيرة والكشف التام واعتقد فيه الخاص والعام. كان رحمه الله أمياً لا يقرأ ولا يكتب وكان رحمه الله يستدل بالآيات والأحاديث في وقائع الأحوال فيتعجب الناس من ذلك غاية العجب.

وكان رحمه الله إذا خرج لحصاد زرع يأخذ إبريقاً للوضوء فتُغافله جماعة من العياق ويشربون جميع ما في الإبريق من الماء ويكفونه على الأرض، ثم يرقبونه عند وضوئه منه، فإذا قام للوضوء وأخذ الإبريق للوضوء وجدته ممتلئاً ماء كما كان، فيتوضأ منه ويصلي، فإذا رأى العياق منه هذه الكرامة جاءوا إليه وقبلوا يديه واستغفروا الله من فعلهم واعتراضهم عليه، فيقول لهم لو شربتموه كله لم أجد فيه ماء، فيحلفون له أنهم شربوا جميع الماء الذي كان فيه ولم يتركوا منه شيئاً.

ثم بعد ظهور هذه الكرامة منه صار العياق واللصوص وقطاع الطريق يعتقدونه ولا يعارضونه في شيء من الأشياء، حتى أنهم كانوا يحترمون جواره وما

(١) هكذا «بالأصول».

ينسب إليه. وتزوج ﷺ في ساقية أبي شعره بامرأة أنصارية وجاءت منه بولده العارف بالله تعالى والدال عليه الشيخ نور الدين علي الأنصاري الآتي ذكره بعده ولما حضرته الوفاة كان ولده سيدي نور الدين علي المذكور حَمَلاً في بطن أمه الأنصارية فقال والده سيدي أحمد شهاب الدين لمن حضره قد جعلت الله تعالى ولياً ولدي، فكان الناس يقولون جميع ما كان فيه الشيخ علي الأنصاري ببركة وصية والده ربّه، وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً.

ثم مات بعد ذلك في سنة ثمان وعشرين وثمانمائة ودفن بساقية أبي شعرة وقبره بها ظاهر يزار وعليه من الهيبة والإجلال ما لا ينكره أهل البصائر ﷺ وعن أسلافه الكرام وعنا بهم أجمعين اللهم آمين.

«الشيخ نور الدين علي الأنصاري»

الرابع: العارف بالله تعالى والدال عليه العابد الزاهد الورع المحقق المدقق العالم العلامة في الشريعة والحقيقة مولانا الشيخ نور الدين علي الأنصاري الشافعي الأشعري.

كان ﷺ يقول الأصل في الطريق إلى الله تعالى طيب المطعم.

وقال سيدي عبد الوهاب ﷺ إن جده هذا كان من رفقة شيخه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري شارح البهجة في الاشتغال بالعلم في الجامع الأزهر حال الشباب. وحفظ القرآن والمنهاج والشاطبية وجمع الجوامع والألفية والملحة والأجرومية وأبا شجاع وهو دون البلوغ وشرحها على أشياخ الجامع الأزهر، وأجازوه بالفتيا وهو ابن عشرين سنة.

وكان ﷺ لا يأكل بجامع^(١) الأزهر خبزاً ولا يشرب له ماءً. إنها كانت والدته ترسل له بعض كعك تعمله له في الريف وترسله له يتقوت منه.

(١) أي إيكال أمر ولده إلى الله تعالى.

(٢) بالمطبوع: «الجامع»، والمثبت من المخطوط.

وكان ﷺ يملأ جرته كل يوم من ساحل بولاق.

وكان ﷺ يصوم يوماً ويفطر يوماً ويقوم كل ليلة يتعهد بنصف القرآن صيفاً وشتاءً حتى بعد موته يسمعه بعض أهل الكشف وجيران قبره يقرأ من سورة مريم إلى آخر القرآن بصوت حزين يخشع سامعه لقراءة يسمعون صوته ولا يرون شخصه.

وكان ﷺ إذا طحن قمحه في الطاحون يقلب حجرها ويخرج ما تحته من دقيق الناس ويعجنه ويطعمه للكلاب ثم يطحن قمحه ويترك للناس بعده تحت حجرها الدقيق من قمحه.

قلت: لمعرفته بسباحة أصحابه في مثل ذلك، والله أعلم.

ولم يأكل من فراخ الحمام التي في أبراج الريف إلى أن مات. وكان ولده سيدي أحمد ﷺ يأتيه بفتاوى العلماء بحل أكل فراخ حمام الأبراج فيقول له يا ولدي كل من الخلق يفتي بقدر ما علمه الله تعالى. ثم يقول يا ولدي إنها تأكل الحب أيام البدار ويطيرونها بالقلاع. وكذلك يعملون لها أشياء تجفلها في الجرون، ولو كان الفلاحون يسمحون بها يأكله الحمام ما فعلوا شيئاً مما ذكرنا.

ثم بالغ في الورع حتى ترك أكل عسل النحل، وقال إني رأيت أهل الفواكه ببلادنا يطيطون النحل عن زهر الخوخ والمشمش وغيرهما ولا يسمحون بأكل أزهارهم.

فقال له ولده رحمه الله أن قوله «كلي»^(١) تفيد العموم فنحن على العموم. فقال الخاص مقدم على العام، وقد حرم الله عليك أن ترعى بقرتك في زرع الناس بغير رضاهم ثم تشرب لبنها. فكشف ولده ﷺ رأسه واستغفر الله، وقال لوالده مثلي لا يكون مسلماً لك يا سيدي؟!^(٢)

(١) وذلك قوله تعالى مخاطباً أمة النحل: ﴿ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل آية: ٦٩).

(٢) أي: كيف لا أسلم لك قولك!!

وكان ﷺ يقرئ الأطفال ولا يدخل جوفه قط شيئاً من ناحيتهم ولا من ناحية آبائهم حتى في أيام الغلاء.

وكان ﷺ يجوع ويطعم ذلك لأرامل البلد وأيتامها.

وكان ﷺ عنده موهية الحج معلقة في سقف الزاوية فكل صغير فضل من خبزها شيئاً يضعه فيها.

قال سيدي عبد الوهاب قال أخي عبد الرحمن فكانت الموهية تملأ في كل يوم وكان عنده من الأطفال نحو مائة ولد فيرسل العرفاء^(١) يقف صغار بعد العشاء تفرقه على فقراء البلد ومساكينها وأيتامها وأراملها.

وكان ﷺ في بعض الأوقات يقف بنفسه ويفرقه على المحتاجين إليه وإذا كان الزمان فيه الرخاء يترصد المراكب التي ترسو من قلة الريح بساحل بلده فيرسله ويرسل لهم معه الجبن والفول الحار ومهما وجد من الإدام.

وكان ﷺ لا يأكل قط من طعام فلاح ولا شيخ بلد ولا مباشر ولا أحد من أعوان الظلمة من منذ وعى على نفسه.

وقدّم إليه مرة رجل قباني^(٢) في بولاق طعاماً فلم يأكله فقال له يا سيدي هذا حلال. هذا من عرق جيبني! فقال له: لا أكل من طعام من يمسك الميزان لعدم تحريرها في الغالب على وجه الحق والخلاص.

وقال في حقه شيخ الإسلام زكريا الأنصاري لمولانا سيدي عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنهما كان جدك سيدي علي الأنصاري من إخواني في جامع الأزهر وكان يضرب بي وبه المثل في شدة الورع والزهد والعفة والاجتهاد في العبادة وصيام النهار وقيام الليل بنصف القرآن في كل ليلة، وكان يفوقني في الورع فإنه كان لا يأكل

(١) جمع عزّيف وهو في هذا السياق الرسول العارف بحال من أرسل إليه.

(٢) أي موازيني.

من طعام مصر قط، ويقول سمعت أخي سيدي إبراهيم المتبولي رحمه الله يقول طعام مصر سم في الأبدان^(١)، وكذلك كان لا يشرب من ماء محمول على يد غيره من البحر أبداً بل كان يأخذ له جرة ويذهب بها إلى بحر النيل فيملأها منه ويشرب منها حتى تفرغ.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله وكنا نتعاهد عليه ونحن شباب فنشربها جميعها في الليل ونقول حتى ننظره إيش يعمل معنا إذا عطش، فَيَجِسُّ^(٢) الجرة بيده فيجدها فارغة فيبتسم ويسكت.

وقرأ رحمه الله كتاب المنهاج والشاطبية والملحة، وحل هذه الثلاثة كتب على أكابر علماء عصره وصار يقرأ القرآن بالسبع وعمره نحو العشرين سنة.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وكنت لا أفارقه ولا يفارقني فجاءته والدته مرة بكعيكات كانت تأتيه بها يتقوت منها على جاري عاداتها معه فأخذت قميصه تغسله له فوجدت فيه أثر الاحتلام فقالت له يا ولدي إني أخاف عليك من أهل هذه البلد فإن كنت في طاعتي فساfer معي لأزوجك في بلدي وتقعّد عندي.

قال شيخ الإسلام فشاوري في ذلك فقلت له استخر ربك فقال لا أستخير الله في طاعة والدتي. وكان رحمه الله باراً بوالدته وكانت والدته رضي الله عنها امرأة لها قوة تحمل الإردب القمح وحدها وتضعه على ظهر الحمار.

قال وكان سيدي علي الأنصاري يقول قطعني أمي وأنا أخضر انتهى كلام شيخ الإسلام.

وكان رحمه الله إذا غرقت مركب فيها شيء يؤكل كالرمان والقلقاس والقصب لا يمكن أحداً من أهل بلده أن يمسك من ذلك شيئاً ويقول تشغلوا ذمتكم بشيء أنتم في غنية عنه وغرق على رغم أنف صاحبه. ودعى الله تعالى أن لا يصلح في دور ذريته

(١) المقصود القاهرة وما حولها، كما يقال لدمشق: الشام.

(٢) أي: يتحسّس.

برج حمام فبنوه مراراً وكتبوا له الجلب فلم يفرخ شيئاً مع أن جيرانهم عندهم الأبراج وهو فيها بكثرة.

وكان ﷺ يقول مات أبي وأنا صغير فما رباني إلا أمي فكنت أرعى للناس بهائمهم بالكرأ وأتقوت وحفظت القرآن وأنا أرعى البهائم فكنت أكتب لוחي وأخذه أحفظه في الغيط فمر علي بعض الفقراء السواحين فقال لي اسمع مني شاور والدتك وسافر إلى بلاد مصر تعلم بها العلم، فشاورت أمي فسمحت لي بذلك وزودتني زوادة آكلها في نحو أربع شهور فصارت تفتقدني إلى أن رجعت إليها. وأخبر جماعة ممن قرءوا عليه أنهم لم يضبطوا عليه مدة صحبتهم له ساعة فراغ فكان إذا لم يكن في عمل أخروي كان في عمل ينفع الناس.

قالوا وكانت طريقته أن يقوم بعد رقدة من الليل فيتوضأ ويصلي ما شاء أن يصلي ثم يثني ذيله في وسطه ويتحزم عليه وفي وسطه سراويل ثم يأخذ جرتين كباراً ويبتدئ في القرآن فلا يزال يملأ إلى قريب الفجر وربما قرأ نصف القرآن إلى الفراغ فكان يملأ على سبيل زاويته التي أنشأها بحرى بلده ثم يملأ سبيل الجامع ثم يملأ سبيلاً على طريق منف خارج جرن البلد.

ولما زوج أولاده الثلاثة محمد وعبد الرحمن وأحمد والد سيدي عبد الوهاب كان يملأ لهم سقايهم الثلاثة حتى مسقاة الكلب ولا يمكن أحداً منهم ولا أحداً من عيالهم ثم يرجع إلى ميضاة زاويته فيملؤها ويملاً حيضان أخليتها وينظفها ثم يصعد إلى سطح الزاوية فيسبح الله وينزهه ثم يؤذن وينزل فيصلي الفجر ويقرأ السبع هو والأطفال ثم يصلي بالناس الصبح ثم يجلس ويتلو القرآن إلى طلوع الشمس فيجتمع عليه الأولاد في المكتب فلا يزال يعلم هذا الخط وهذا الإدغام وهذا الإقلاب وهكذا يؤدب هذا ويزهد هذا ويسمع لهذا إلى آذان العصر فيملأ الميضاة أو يكملها ثم يفتح دكانه على باب زاويته فيبيع فيها الزيت الحلو والطيب والعسل والرب^(١) والأرز

(١) بالمطبوخ: «البروب»، والمثبت من المخطوط. ولم نجده فيما لدينا من المصادر ولعله «الرب» وهو عسل البلح.

والفلفل والمصطكي وغير ذلك فلا يزال للناس إلى أن يقضي حوائجهم للطعام والأكل قبل المغرب فيؤذن ويصلي بالناس ويجلس للسبع إلى صلاة العشاء فإذا صلى بالناس العشاء لا يفرغ من وتره حتى لا يبقى أحد يمشي في الأزقة وتنام الناس فيغفو لحظة ثم يقوم يتوضأ ويصلي ويأخذ الجرار يملأ الأسبلة كما تقدم.

هذا كان عمله على الدوام شتاءً وصيفاً وكانت زوجته رحمها الله تعالى تقول له يا سيدي أما تستريح ليلة واحدة. فيقول والله ما دخلنا هذه الدار للراحة. وكان ﷺ إذا قويت عليه الشبهة في ثمن شيء يبيعه لا يأخذ من ذلك المشتري ثمناً بل يعطيه حاجته ويقول ساعحناك.

فكان يظن أن ذلك لمحبه له وإنما ذلك لقوة الشبهة في ماله على حسب مقامه ﷺ.

وكان الشيخ محمد النامولي من أصحاب سيدي إبراهيم المتبولي رضي الله عنهما يقول: كان سيدي إبراهيم المتبولي يقول ما في أصحابنا قط أكثر نفعاً من الشيخ نور الدين علي الشعراني.

قال الشيخ محمد النامولي وإن شككتكم في قول سيدي إبراهيم ﷺ فاعرضوا أفعاله وأخلاقه وأحواله المتقدمة على جميع مشايخ مصر الآن فلا تجد أحداً منهم يستطيع المداومة على هذه الأعمال جمعة واحدة.

وقال الشيخ محمد النامولي يوماً لسيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ وحوله الفقراء والمعتقدون: إن كنت تعمل فقيراً فاتبع جدك وإلا فأنت سكة وصورة وهي ما في المقصورة.

فقال سيدي عبد الوهاب الشعراني: أستغفر الله العظيم.

قال الشيخ محمد النامولي كان الشيخ إبراهيم المتبولي ﷺ إذا نزل من بركة الحاج للريف للفقراء الميعاد عند الشيخ علي الشعراوي هذه الليلة فتكون ليلة عظيمة.

قال الشيخ محمد فنزلنا أيام التين فاعترضنا أهل الصالحة وأهل برشوم وقالوا يا سيدي انزل ها هنا ساعة نطعم الفقراء شيئاً من التين فقال لا نأكل التين إلا عند الشيخ علي الشعراوي في ذاك البر. فقال الفقراء تنزل في بلد التين وتطلب التين في غير بلده. قال فأول ما خرج سيدي علي الشعراوي وسلم علي الشيخ والفقراء أخرج لهم قفة كبيرة من أطيب التين فقال الفقراء لسيدي إبراهيم نستغفر الله تعالى ونتوب إليه من اعتراضنا الباطن عليكما.

قال ولده الشيخ عبد الرحمن أن سبب عمارة والدي سيدي علي الأنصاري بيوت الأخلية في زاويته مع كونها خارجة عن البلد، والفلاحون في الغالب لا يعتنون بدخول الأخلية أنه ورد على زاويته الشيخ سراج الدين التلواني ثم إنه ذهب لإزالة ضرورة فرآه الأولاد وهو جالس يزيلها فخرج سيدي علي الأنصاري فرأى أولاد أهل البلد يقولون لبعضهم بعضاً تعالوا نتفرج على هذا القاضي الذي يخشى فحصل عند الشيخ علي الأنصاري خجل عظيم لأجل ضيفه الذي ضيفه فطلب الفؤس من أصحابه وطلب المحيين منهم وحفر سرداب الأخلية في ذلك اليوم.

وكان ﷺ إذا زرع مارس القمح يجعل بينه وبين مارس جاره من الفلاحين خطأ من الفول وهكذا في سائر الحبوب فإذا حصد ترك لجاره والناس خط الفول أو أخذه إذا شاء لأنه فوله.

وكان ﷺ إذا سرح للحصاد يأخذ الإبريق معه للوضوء فإذا جاء وقت الصبح ترك الحصاد وصلى الصبح فكان شريكه يتكدر لأجل ذلك. وكان ﷺ يقول (كل طعام اكتسب بطريق حرام فهو حرام).

وكان ﷺ يقول بلغني أن الأرض لا تأكل جسماً نبت من حلال. فكان بعض فقهاء بلاده ينكرون عليه ذلك ويقولون هذا الأمر خاص بالأنبياء والشهداء فلما مات ولده سيدي شهاب الدين أحمد دفنوه في قبره فوجدوا جسمه طرياً كما وضعوه وكان بين دفنه ولده إحدى وعشرين سنة فأرسل الذي لحد سيدي أحمد وراء الفقهاء الذين

كانوا ينكرون قول سيدي علي الأنصاري وقال لهم انظروا صدق قوله فتابوا واستغفروا من الاعتراض على قول أولياء الله تعالى^(١).

وكان ﷺ يكره من يقول له يا نور الدين ويقول لهم نادوا باسمي علي كما سماني والدي به.

وبات سيدي علي العباس - أحد أصحاب سيدي أبي العباس الغمري ﷺ، كان من أرباب القلوب - ليلة في زاوية سيدي علي الشعراني فسمعه يقرأ القرآن من داخل قبره فابتدأ من سورة مريم إلى آخر القرآن، ولما طلع الفجر لم يسمع له صوتاً فأخبر أهل البلد بسماع تلك القراءة والصوت، فقالوا له هذه قراءة الشيخ علي وصوته رحمه الله تعالى.

وكان ﷺ يقول لا تجعلوا على قبري شاهداً وادفنوني تحت جدار هذه القبعة التي في الزاوية، ففعلوا به ما قال فليس على قبره علامة إلى وقتنا هذا. وأخبر ولده الشيخ عبد الرحمن ﷺ قال لما حضرت والدي الشيخ علي الشعراني الوفاة دعا بكتاب سيدي عبد العزيز الديريني المسمى بـ: «بطهارة القلوب» وقال لولده سيدي أحمد والد سيدي عبد الوهاب اقرأ لي في أحوال القوم عند خروج أرواحهم فقرأ له فتنهد وقال سبقونا على خيول دُهم ونحن في أثرهم على حمير دبره. وطلعت النفاضات في لسانه فكانت زوجته رحمها الله تعالى تقول والله ما يستاهل هذا اللسان، يا طول ما ختم القرآن في الليل فيقول سَكَّتْهَا عني لو تعلم ما أعلم من مناقشة الحساب ما قالت ذلك.

وأخبر الشيخ خضر رحمه الله الذي ربي سيدي عبد الوهاب أن سيدي علي الشعراني كان لا يجيء قط إلى القاهرة إلا ويأتي معه بالجراب الخبز والإبريق يملؤه من بولاق فيأكل من الخبز ويشرب من الإبريق الذي يملؤه بيده إلى أن يرجع، قال: ولم يذق لي طعاماً قط.

(١) وهذا ديدن المعترضين على الدوام، ولكن منهم من يهديه الله بالكشف عن الحق، ومنهم من لا يرداد إلا ضلالاً. أما معترضة عصرنا، فقد بلغ بهم المكر الإلهي مبلغه، فلا يهتدون سبيلاً.

ثم قال الشيخ خضر لسيدي عبد الوهاب الشعراني هل تعرف سبب معرفتي
لجذك سيدي علي الشعراني؟ فقال: لا أعرف السبب. قال الشيخ خضر: إنا نزلنا سنة
من السنين مع سيدي محمد بن عبد الرحمن نائب جده وبعض بني الجيعان نتفرج في
بلدكم أيام الربيع فأقمنا مدة فطاب لسيدي محمد الوقت فشرع في زراعات وبنى
حواصل ومصروف واسع فطلب شخصاً أميناً يكون أميناً عنه في ذلك المصروف،
فقال جميع الفلاحين ليس عندنا أحد أكثر أمانة من الشيخ علي الشعراني رحمه الله فأرسلوا
وراءه فحضر، فقال: أنا لا أصلح لذلك، فقال: لا بد من ذلك. فأخذ سيدي علي
مفاتيح الحواصل، فلما طلع البطيخ خزنه وصار كل بطيخة حصل فيها تلف ينادي
عليها إلى أن تنتهي الرغبات فيها بثمان فيكتب ذلك الثمن عليه ويعطيها لمساكين البلد
وصار يكتب تفاوت علف البهائم والثور الفلاني مرض الليلة الفلانية فلم يأكل
عشاءه تلك الليلة ونقص من غذائه في الوقت الفلاني وهكذا، فلما حضر سيدي محمد
بن عبد الرحمن ثاني مرة إلى البلد أرسل خلف سيدي علي الشعراني يطلب منه قائمة
المصروف فنظر فيها ثم خرج من الخيمة مكشوف الرأس خاراً على أقدام سيدي علي
الشعراني يقبلها ويقول له يا شيخ علي اجعلني في حل فإني والله ما علمت بمقامك،
ثم قال للناس مثل هذا الرجل يكون وكيلاً عني.

وكان ولده الشيخ عبد الرحمن يقول أهدي سيدي محمد بن عبد الرحمن
لوالدي هدية وهي ثلاثة أطباق على رؤوس ثلاثة من العبيد في واحدة منها أثواب
صوف وشاشات وثياب بعلبكي. وفي الثاني حلوى ومكسرات. وفي الثالث أنواع من
الطيب فرد القماش وقبل الحلوى والطيب ففرق الطيب على صبايا البلد والحلوى على
أيتام البلد ولم يذق هو ولا أهل بيته من ذلك شيئاً وأراد ولده عبد الرحمن أن يأخذ
لنفسه أصبع «فانيذ» من الحلوى فمنعه والده الشيخ علي الشعراني وقال يا ولدي هذا
سم في الجسد لأن نائب جده يقبض العشور.

وقال سيدي خضر عاشرت الشيخ علي الشعراني وأنا مباشر البلد إلى أن مات
فما رأيته وضع يده في طعام الفلاحين ولا أخذ على شهادته لهم في الخراج والأجابر

وعقود النكحة ولا خطابته لهم ولا إمامته بهم درهماً واحداً. قال وكان يفضل لأحد الفلاحين على أستاذه الدرهم الواحد فيكتبه للفلاح لثاني سنة ويقول له لو تمكنت لخلصت لك هذا الدرهم من أستاذك في هذه السنة.

وكان ﷺ إذا ضاق به الحال من حيث الكسب في البيع يكتب المصاحف ويصنع الطواقي المصرية يعملها دالة، في قلب دالة كل طاوية يعطوه ثمنها الدينار الذهب، ويقولون «إن كل طعنة في الطاوية بكلمة من القرآن مرفية»، لأنه كان إذا خاط يقرأ مع ذلك فكان يحسب رأس ماله وأجرة مؤونته وخياطته ويتصدق ببقية الدينار على الأرامل والمساكين.

وكان ﷺ يأكل اللبن والطعام مع المجذومين ويقول إن هؤلاء خواطرهم مكسورة. وكان الذين يقرأون عليه القرآن وغيره يقولون ما رأيناه نائماً قط في أيام الصيف ولا غيره. وكان ﷺ يقول إن النهار لم يجعل للنوم.

ولما حج وتلقاه الناس وافق طلوعه للبلد في وقت أذان الظهر وفي عبارة في وقت أذان العصر فصعد على سطح زاويته فأذن للعصر ونزل صلى بالناس ثم خلع ثيابه ونزل ونظف بيوت الخلاء وملاً الميضاة قبل دخوله داره ثم شرع في تلك الليلة في ملء الأسبلة المتقدم ذكرها على يديه على عادته ولم يسترح ساعة واحدة كما يفعل الحجاج بعد نزولهم من الحج إلى بلادهم.

وكان ﷺ يقول الوقت كالسيف. ولما جاء من الحج كثر بكاؤه وحزنه على ما كان عليه قبل الحج ولم ير ضاحكاً حتى مات. وكان ﷺ إذا لبس القميص لا ينزعها للغسل قط إلا إن نزعوها عنه وكانوا ينسونه في بعض الأوقات فتصير عليه كالوحدل ومع ذلك كان على ثيابه الهيبة والنور، يظهران عليه من نور أعماله الصالحة

وكانت عمامته من الصوف الأبيض. وكان ﷺ أشبه الناس بسيدي نور الدين الشوني شيخ الصلاة على رسول الله ﷺ بجامع الأزهر وغيره، فكان يشبهه في وجهه ولحيته وهمته وجسمه، وكان الناس يذهبون إلى جامع الأزهر لرؤية الشيخ نور الدين الشوني لكونه أشبه بسيدي علي الشعراني رضي الله عنهما.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله لما دفنت سيدي الشيخ نور الدين الشوني عندنا في الزاوية رأيت ثاني يوم من دفنه وقال لي رأيت جدك سيدي علي الشعراني أتاني إلى هنا في هذه الليلة وقال لي أنت مكانك. ثم قال لي إذا كان لك حاجة مهمة فنادني أحضر إليك في الحال.

قال سيدي عبد الوهاب ورأيت بينهما اتحاداً عظيماً فلذلك جعلت اسميهما مشتركين معاً في الدعاء لهما في قراءة الأسبوع والكرسي وغيرهما في الزاوية التي دفنت فيها الشيخ نور الدين الشوني رحمهما الله تعالى، كل واحد منهما أدعوه بقريته تخصه، فإن^(١) كلا منهما والدي والد تربية ووالد إيجاد رضي الله تعالى عنهما^(٢).

قلت وصورة قرينتي الدعاء لهما في الدعاء عقب كل سبع أنه كان يقول بعد الدعاء لأصحاب النبوة فيه: ثم إلى روح عبدك ووليك الشيخ نور الدين الشوني شيخ الصلاة على نبيك عليه أفضل الصلاة والسلام، ثم إلى روح عبدك ووليك الشيخ نور الدين الأنصاري اللهم كفر عن ذريته وأصحابهم الذنوب والآثام. وقدم الأول لأنه أبو الروح أي الأدب اللازم منه للروح دنيا وأخرى، والثاني أبو الإيجاد أي الجسد، وأيضاً أدخل نفسه وأولاده وأصحابه وأصحاب ذريته في الدعاء لجده الأنصاري بقوله اللهم كفر إلى آخره. وأيضاً هذا الدعاء منه يشملنا ويشمل كل صاحب لأحد ذريته إلى يوم القيامة سواء في ذلك أولاد الظهور والباطون وهذا الدعاء من جوامع الكلم منه رحمه الله. وهذا الدعاء باق في السبع إلى وقتنا هذا فجزاه الله عنا وعن المسلمين كل خير، والله أعلم.

وكان رحمه الله يقول «لا يعجبني كثرة العبادات من العبد وإنما يعجبني كثرة خوفه من الله تعالى ومناقشته لنفسه»^(٣).

(١) في المطبوع: لأن، والمثبت من المخطوط.

(٢) في المطبوع: لأن، والمثبت من المخطوط.

(٣) المراد من هذه العبارة: أن كثرة العبادات مع قلة الخوف من الله تعالى ضئيلة النفع والجدوى. فنفي الإعجاب مقيد بقلة الخوف.

ورافقه مرة في سفره من القاهرة إلى بلده رجل عليه آثار الفقراء فقال له سيدي علي الشعراني ما حرفتك. قال مؤذن في جزيرة الفيل فقال له هل أقمت مكانك نائباً. فقال الأمر سهل. فقال له سيدي علي الشعراني هذا فراق بيني وبينك، وساق دابته وتركه.

وكان ﷺ لا يمكن أحداً من فقراء البرهانية أن يفعل شيئاً في بلده مما يفعلونه في غيرها من أكل النار ودخولها وجر السيف على اللسان وعلى الكف ويقول إن كتم برهانية فأتونا بالبرهان على ذلك من الكتاب والسنة أو من فعل سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ فانتصر جماعة من البلد للفقراء البرهانية على سيدي علي الشعراني وقالوا لا بد أن يفعلوا ذلك في هذه الليلة حتى نتفرج عليهم فأتاهم تلك الليلة سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وقال لهم أطيعوا الشيخ علي الشعراني ثم قال لهم سيدي إبراهيم ﷺ أنا بريء من كل عمل يخالف طريقة الخلفاء الراشدين والأئمة المجتهدين.

فلما أصبحوا استغفروا وتابوا ورجعوا عن ذلك الفعل. فقال سيدي علي الشعراني ﷺ «أنا رجل برهاني ولو كنت أعلم رضا سيدي إبراهيم الدسوقي بذلك لكنت أول فاعل لذلك لأن سيدي إبراهيم قدوتي وشيخي»^(١) وكذلك وقع له مع الفقراء الأحمدية أن شخصاً منهم يدعى الشيخ عبد الرحمن ابن الشيخ وهيب السطوحي الأحدي نادى بأعلى صوته: يا فقراء تفرقوا عني فإني تبت إلى الله عز وجل ورجعت عما أنتم فيه وعن هذه الطريقة التي أنتم عليها ثم عقد هذه التوبة على يد سيدي علي الشعراني من ذلك اليوم، ثم أنه جعل له خصاً في الجزيرة التي هي الآن في وقف سيدي عبد الوهاب الشعراني تجاه فم بحر الفيض وصار يتعبد فيها والبحر محيط بها وصار يزوره الناس في المراكب إلى أن مات.

وكان الشيخ عبد الرحمن المذكور يقول في حال حياته كل ما جرى لي من بركة سيدي علي الشعراني فإنه أنقذني من الضلال إلى الهدى. انتهى.

(١) هذا تصريح من سيدي علي الشعراني رضي الله تعالى عنه وعنا به أنه كان على طريقة شيخ الإسلام أبي العنين سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله تعالى عنه وعنا به. وهو أيضاً توثيقاً للقب (البرهانية).

قالوا وظهر للشيخ عبد الرحمن هذا في هذه الجزيرة كرامات عظيمة وخوارق كثيرة منها أنهم قطعوا مرة حطباً بغير إذنه من جزيرته وسافروا به فانقلبست المركب بالقرب من بولاق وغرق من فيها، ولم تزل منحدره إلى أن رست على جزيرته، فقال الشيخ عبد الرحمن هذه بضاعتنا ردت إلينا. فقال صاحب المركب يا سيدي: تغرق المركب في حزمتين حطب، فقال: هذا من سيدي أحمد^(١) وليس هذا مني.

وكان ﷺ إذا خرج من بيته للصلاة لا يستطيع تارك الصلاة أن يفارقه هيبة منه ﷺ. وكان ﷺ إذا رأى جماعة الفلاحين في مجالس لغوهم يقول لهم: يا أولادي العمر ضيق ولا يسع مثل ذلك منكم وعن قريب تندمون حين يأتيكم الموت بغتة. وكان ﷺ شريف النسب كما تقدم في نسب جده الشيخ موسى أبي العمران ينتهي نسبه إلى السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

وكان ﷺ لا يظهر ذلك أبداً ولا يفتخر به ويقول إن رسول الله ﷺ نهى عن الافتخار بالنسب ويقول ﷺ لا يقدر الإنسان حقيقة إلا عمله ولو كان من أولاد أكابر الصحابة رضي الله عنهم. وكان ﷺ يقول انظروا إلى الذين صحبوا رسول الله ﷺ كسلمان وبلال وغيرهما كيف صار شأنهم بطاعة الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ.

قال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله وكان أهل الجامع الأزهر يضربون به المثل في شدة الاجتهاد وإذا رأوا شاباً عنده اجتهاد قالوا هذا يريد أن يعمل مثل الشيخ علي الشعراني وذلك أنهم كانوا لا يجدونه فقط في الليل والنهار فارغاً وكان نومه خفقات يخفقها وهو جالس مدة إقامته في الجامع الأزهر الخمس سنين.

وفرغ كعكه الذي كانت والدته ترسله له فلم يأكل من مصر القاهرة خبزاً وسافر إلى والدته تغذى عندها بعد أن طوى يومين. وكان ﷺ يقول طعام مصر سم في الأبدان ما أكله أحد وأفلح في طريق الله عز وجل.

(١) المقصود: سيدي أحمد البدوي رضي الله تعالى عنه وعنا به.

قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله أخبرني سيدي خضر الذي كفلني يتيماً قال لي كان جدك إذا جاء من مصر في حاجة بعد أن أقام بزاويته في الريف يأتي بجرابه فيه الخبز ومعه إبريق يملؤه من بحر أبي المنجا فيشرب منه مدة إقامته في مصر. وقال سيدي عبد الوهاب أيضاً في عبارة أخرى قال لي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله أن سبب خروج جدي سيدي علي الشعراني من مصر إلى الريف أن والدته جاءت به بزاده من الكعك كما تقدم فنزلت عند جماعة في مصر عند أهل بلدها فأخذت قميصه تغسله له فرأت فيه شيئاً يشبه المنى فقالت له يا علي إن كنت في طاعتي فساfer معي في هذه المرة أزوجك فإني أخاف عليك من النظر قال وكان رحمه الله باراً بوالدته فساfer معها وتزوج.

وكان رحمه الله يقول قطعني والدي وأنا أخضر قبل أن أبلغ مبلغ الرجال وكان خلق كثير يقرءون عليه في القراءات السبع والأصول والفقه وغير ذلك فسألوا والدته أنها تتركه في الأزهر حتى يفرغوا من قراءة هذه العلوم عليه فأبت. قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله وأخبرني الشيخ زكريا الأنصاري رحمه الله تعالى أن والد جدي هذا توفي وجدي طفل فما رباه إلا والدته.

قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله وأخبرني شيخ الإسلام زكريا الأنصاري رحمه الله أن جدي الشيخ نور الدين على الأنصاري لما توفي والده كانت والدته تغزل وتكسوه. فقال لها يا أمي أكريني أرعى البهائم وأقتات فأكرته وصار يرعى بالكرأ ويكتب لوحه في البلد ويأخذه معه الغيط فيحفظه ويكتب غيره حتى حفظ القرآن كله وحفظ أبا شجاع والأجرومية فمر عليه شخص من أرباب الأحوال فقال له يا ولدي شاور والدتك وسافر للجامع الأزهر فاشتغل بالعلم على أهل العلم فأجابته لذلك.

وكان رحمه الله صائم الدهر منذ وعى على نفسه. وكان رحمه الله يأخذ غذاءه وهو يرعى البهائم فيطعمه للصغار في الغيط ويطوى.

قال سيدي عبد الوهاب أخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله تعالى قال كان والدي الشيخ علي لا يمكن أحداً من أهل البلدان يمسك شيئاً مما يقذفه البحر من المراكب التي تغرق من رمان أو قصب أو بطيخ ويقول يا أخواننا تشغلون ذمتكم بشيء غرق على رغم أنف أصحابه ولو أخذتموه لا تعرفون له صاحباً حتى تستأذنوه في أكله ودعا ربه أن لا يصح في بيت أحد من ذريته برج حمام فبنوه بعده كذا كذا مرة فلم يدخله طير حمام وأبراج غيره معمرة بكثرة الحمام وعمل له والده جلباً ولم يصح.

قال سيدي عبد الوهاب وأخبرني والدي أن والده رآه يوماً ومعه فول أخضر وهو داخل به الدار فقال له من أي مكان جئت به فقال من الغيط الفلاني فأخذه ومضى به إلى الغيط وأرسل خلف صاحبه وأعطاه الفول فقال يا سيدي والله خاطري طيب بذلك فلم يسمح له ثم قال له يا أحمد مررت مرة على مارس قمح فأعجبني سنبلة منه وهي فريك فأخذتها وفركتها ثم تذكرت الحساب يوم القيامة فرميتها في مارس صاحبها فرأيت تلك الليلة كأثر القيامة قد قامت ونادى المنادي لتقم أرباب الحقوق فجاء صاحب السنبلة وادعى علي بين يدي الله عز وجل وأنا أرعد كالقصة من الخوف فقلت يا ربي إني تذكرت هذا الموقف فرميتها في مارسه فقال يا ربي صدق وصل إلى القمح والجريدة الجامعة للبروج ولكن لم يأتني بتبن البروج الذي طار في الهواء قال فعرضت عليه أعمال الصالحة فلم يرض وقال لا آخذ إلا تبني فما استيقظت من هذا النوم حتى كدت أن أهلك فمن ذلك اليوم ما أكلت فريكاً ولا فولاً أخضر إلا إن أعطاه لي شريكبي بيده أو يكون ذلك لي وحدي.

وكان ﷺ إذا زرع مارس قمح يجعل بينه وبين مارس غيره خطأ من فول أو زرع فولاً يجعل بينه وبين مارس جاره خطأ من قمح أو غيره خوفاً من أن يجيء شيء من مارس جاره في زرعه أيام الحصاد أو حال رعيته البهائم.

وكان ﷺ يجعل للبهائم التي له كهائم خوفاً من أن ترعى في مارس الغير ولم يأكل لبن الجاموس قط لعدم ضبطه على مارس صاحبه. وقال سيدي عبد الوهاب

وأخبرني جماعة ممن قرءوا عليه القرآن وكتاب المنهاج وعدة كتب قالوا لم نجد أن كاتب الشمال كتب عليه شيئاً في ساعة من ليل أو نهار.

وكان ﷺ يهجر الواحد منا الأيام إذا سمعه يغتاب أحداً قالوا وما رأينا له ساعة فراغ قط لأنه كان إما يقرأ القرآن أو يصفّر الخوص يعمل قففاً للناس أو يعلم أولاده رسم الخط وإما يجودوا عليه القرآن وإما يخط وإما ينسخ مصاحف للحسنة وإما يملأ الأسبلة وإما يبيع في دكانه على باب الزاوية آلات الطعام بعد صلاة العصر قالوا وكان ﷺ كل طفل قرأ عليه يسهل الله عليه حفظ القرآن وإن كان أبله فيحفظ القرآن في مدة يسيرة.

وقال سيدي عبد الوهاب أخبرني والدي أنه حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين وأخبرني أيضاً أنه لما خطب وهو ابن سبع سنين طلع جدي الشيخ علي الأنصاري فحمله من فوق المنبر حتى أقامه في المحراب وهو يبكي سروراً به.

وكانت زوجته تقول له أشتهي من الله أني أراك ليلة واحدة نائماً عندنا طول الليل كما يفعل الناس فيقول لها نحن ما دخلنا هذه الدار للنوم وإنما دخلناها للجد والتعب والاجتهاد في العبادة وسوف ننام نوماً طويلاً في القبر إن شاء الله تعالى إذا متنا إلى قيام الساعة. وكان ﷺ إذا وقف عليه أحد من شيوخ البلاد أو غيرهم ممن في ماله شبهة يشتري أرزاً أو عسلاً أو زيتاً أو فلفلاً أو غير ذلك لا يرده بل يعطيه ويقول له احفظ لي الثمن عندك حتى أحتاج إليه ولا ترسله لي حتى أطلبه منك.

قال سيدي عبد الوهاب وكان جدي الشيخ علي ﷺ إذا أقرض شيئاً من الدراهم لأحد لا يطالبه قط إلى أن يجيء به بنفسه. وكان ﷺ يكفن الفقراء والأرامل احتساباً لله عز وجل. قال سيدي عبد الوهاب وأخبرني عمي الشيخ عبد الرحمن رحمه الله أن سبب عمارة بيوت الخلاء في الزاوية أن شخصاً يقال له الشيخ سراج الدين التلواني مر عليه ضيفاً، وكانت عمامته كبيرة فاحتاج إلى البول، فجلس وأطفال البلد ينظرون إليه. فقال: والله إني أود أن الأرض تبتلعني ولا أرى الأطفال يتفرجون على

الشيخ سراج الدين التلواني وهو يقضي حاجته فحفر تلك الليلة خمس بيوت خلأ من شدة مروءته، فما مضى عليه جمعة حتى بناها.

وكان ﷺ إذا سرح للحصاد يأخذ معه الإبريق للوضوء وفي بعض الأوقات يملأ جراراً من الماء ويدور على الحصادين وقت الصبح يوضئهم ويصلي بهم الصبح في الغيط ويقول: كل طعام اكتسب بالمعصية فلا ينبغي أكله، ومن ضيع الصلاة لأجل الحصاد فلا ينبغي الأكل من حبه.

وكان ﷺ يقول: بلغني أن الأرض لا تأكل جسماً نبت من حلال وإنما تأكل ما نبت من الحرام والشبهات. قال سيدي عبد الوهاب واطلع والدي الشيخ أحمد على نسبتنا فرآها تنتهي إلى الإمام محمد بن الحنفية فصار والدي يكتب كتبه أحمد القرشي المطلبية فنهاء جدي سيدي علي الأنصاري عن ذلك وقال له: يا ولدي لا يظهر شرف النسب لك حتى تجاوز الصراط يوم القيامة.

قال سيدي أحمد وكانت أم والدي أنصارية فكنت أكتب الأنصاري فمنعني والدي كذلك. انتهى.

وكتبوا له مرة مستنداً ولقبوه بالشيخ نور الدين فغضب وضرب على هذه الكتابة وقال لهم اكتبوا علي بن أحمد فقط فإني لست بنور الدين. وكان ﷺ يقول: كم من ضريح يزار وصاحبه في النار وكراماته أكثر من أن تحصى.

مات رحمه الله سنة إحدى وتسعين وثمانمائة وله من العمر سبع وخمسون سنة نفعا الله والمسلمين ببركاته ودفن ببلدته ساقية أبي شعره وقبره بها ظاهر يزار.

«الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين علي الأنصاري»

الخامس الشيخ الإمام العالم العلامة والخبر البحر الفهامة الفقيه المحدث النحوي المقرئ الورع الزاهد الشيخ شهاب الدين أحمد ابن الشيخ نور الدين علي الأنصاري والد سيدي عبد الوهاب الشعراني.

قال سيدي عبد الوهاب قرأت علي والذي هذا النصف الأخير من القرآن قال وسمعت منه الحديث وسأل لي الإجازة من الشيخ الحافظ جلال الدين السيوطي الشافعي حافظ عصره ومحدث وقته فأجازني الجلال السيوطي رحمه الله بجميع مروياته وعمري إذ ذاك نحو عشر سنين أرسل لي ورقة مع والذي بإجازته لي بجميع مروياته ومؤلفاته.

قلت وهذه كرامة وكشف صريح للجلال السيوطي حيث عرف فضيلة سيدي عبد الوهاب قبل ظهورها فيه وكرامة لسيدي عبد الوهاب أيضا حيث أجاز وهو ابن عشر سنين، والله أعلم.

قال سيدي عبد الوهاب ثم أني لما جئت إلى مصر قبيل موته اجتمعت به مرة واحدة قرأت عليه بعض أحاديث من الكتب الستة وشيئا من المنهاج في الفقه تبركاً به ثم بعد شهر سمعت ناعيه ينعي موته فحضرت الصلاة عليه عند الشيخ الأباريقي بالروضة التي بقرب المقياس عقب صلاة الجمعة وفي سبيل المؤمنين وعند الجامع الجديد بمصر العتيق.

قال سيدي عبد الوهاب في طبقاته الوسطى لبست الخرقة يعني الخرقة المعروفة بين الصوفية وهي عرقية وجبة ورداء من يد حافظ العصر الشيخ جلال الدين السيوطي حين اجتمعت به مع والذي في روضة المقياس بمصر المحروسة في ثاني عشر ربيع الأول سنة إحدى عشرة وتسعمائة. انتهى.

كان الشيخ أحمد هذا قواماً بالليل صواماً بالنهار ولا يأكل من طعام أحد من الولاة وأعوانهم ولا من شرابهم ولا غير ذلك. قال سيدي عبد الوهاب سمعت

والذي رحمه الله تعالى مرة يقول قد جمعت بحمد الله تعالى من العلوم ما لو اجتمع على سائر علماء الجامع الأزهر لقطعتهم بالحجج الصحيحة الواضحة.

وكان ﷺ إذا صلى بالليل وقرأ القرآن يبكي الناس من الخشوع ويخر بعضهم إلى الأرض. صلى خلفه الشيخ كمال الدين الطويل فكاد أن يخر إلى الأرض فقال له أنت لا يناسبك إلا الإقامة بالجامع الأزهر لا بلاد الريف. وكان ﷺ له الباع الطويل في إنشاء الخطب والنظم وفي علم الفلك.

وكان ﷺ يعمل الدوائر ويشد المناكب ومع ذلك لا يخل بأمر معاشه ومعاده من حرث وحصاد ودراس وشهادة بين الناس في ضبط خراجهم وغيره وتهجد وصيام وأذان وإقامة وإمامة وخطابة وشفاعة وتدريس علم وتلاوة قرآن وذكر احتساباً لله عز وجل.

وكان ﷺ ينشئ الخطبة حال صعوده المنبر. وبلغه أن الإمام علي بن أبي طالب ﷺ خطب مرة خطبة لا ألف فيها حين تذاكر عند العرب أن الألف أصعب الحروف في إسقاطها من الكلام فأنشأ خطبة ليس فيها حرف الألف. وجمع فيها الأركان أولها «حمدت ربي ورب كل مخلوق بحمد عظيم صدر من قلب مؤمن صدوق. يسبح بحمده شجر ومدر ونجوم وعيون وبروق وشمس وقمر وبحر وبر وغروب وشروق.

ومن جملة وعظها. عليكم بتطهير قلب شغف بحب كل فسوق. مسود من غل وحقد وحسد ودنس به معلوق. فقد علمتم سرعة مسيركم للمحشر ودموعكم دلق. مع كل شخص منكم شهيد يشهد عليه وحيث له يسوق. يومئذ تعرضون ثم تميزون فمؤمن معه بينة ومجرم معه يغوث ويعوق. إلى آخر ما قال. وكان ﷺ له توجه صادق في قضاء حوائج الناس وقيام طويل في الليل بثلاث القرآن وأكثر في كل ليلة.

وأناه مرة شخص من العصاة الذين يقطعون الطريق، فقال له: اكتب لي ورقة بأن لي عند فلان ثمن ثور فقال: حتى يأتي لي أحد يشهد لك بما تقول، فغضب العاصي عليه وتوعده بالقتل، وصار يكمن لقتله في كل ليلة، فقال له ولده الشيخ عبد القادر

الشعراني يا سيدي ادع على هذا المنافق فقال: يا ولدي في الله تعالى كفاية، ثم نام سيدي أحمد تلك الليلة فرأى هاتفاً يقول له: بعد غد نقطع رأس عدوك في ساحل البحر قبل طلوع الشمس، فكان الأمر كذلك، فبينما نحن راجعون معه بعد صلاة الصبح إذ وجده حسام الدين بن بغداد فقطع رأسه.

وكان رحمه الله اشتغاله بالعلوم على والده. ووالده أخذ العلم عن شيخ الإسلام الشيخ صالح البلقيني وعن الشيخ يحيى المناوي وعن الحافظ ابن حجر قال سيدي عبد الوهاب وقد كنت أقرأ عليه في سورة والصفات فلما بلغت قوله تعالى: ﴿فَأَطْلَعَ فَأَرْأَاهُ فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِنْ كِدَتْ لَتُرْدِينَ^(١)، فبكى حتى أغمى عليه وصار يتمرغ في الأرض كالطير المذبوح. قال سيدي عبد الوهاب وكان عمري إذ ذاك نحو ثمان سنين وصنف والدي عدة مؤلفات في علم الحديث والنحو والأصول والمعاني والبيان فنهبت مؤلفاته كلها فلم يتغير. وقال قد ألفناها لله عز وجل فلا علينا أن ينسبها الناس إلينا أم لا.

مات رحمه الله خامس شهر صفر الخير سنة سبع وتسعمائة ودفن بجانب قبر والده بزاويته في ناحية ساقية أبي شعره بالمنوفية رحمه الله ونفعنا والمسلمين ببركاته.

«الشيخ عبد القادر الشعراني»

السادس الشيخ الصالح والولي الناجح العالم العلامة الفقيه الصوفي سيدي عبد القادر أخوه شقيقه وصنوه.

وهو أول من قبضه الله تعالى بكفالة سيدي عبد الوهاب بعد موت والده لعلمه تعالى بأنه أحق بكفالته من كل أحد وأولى بها له من كل الوجوه ولكونه أيضا أقرب الناس إليه في مطالبه وأشفق عليه من جميع أقاربه.

وكان سيدي عبد القادر رحمه الله من أولياء الله عز وجل بشهادة سيدي عبد الوهاب. وكان رحمه الله له مناقب كثيرة في الزهد والورع والعفة والتوحيد حتى شاع ذلك

(١) سورة الصفات: الآية الكريمة / ٥٥، ٥٦.

عنه وذاع وملاً جميع الأسماء واشتهر بذلك كله عند الخاص والعام حتى الإنس والجن واعتقد فيه الصلاح والولاية كل من عرفه أو رآه أو سمع به.

وكان ﷺ على قدم أسلافه الكرام وأخلاقهم العظام. وكان ﷺ يقدم مصالح إخوانه المسلمين على مصالح نفسه. وكان ﷺ على جانب عظيم من الأدب والسكون وضبط الجوارح الظاهرة والباطنة عن سائر ما حرم الله تعالى ولم يسمع عنه طول عمره أنه رُويَ على أمر مكروه شرعاً.

قال سيدي عبد الوهاب في طبقاته الوسطى «ومنهم الشيخ المتقن في العلوم الشيخ عبد القادر ﷺ أخي وشقيقي الذي كفلني بعد موت والدي كان على قدم عظيم في الزهد والورع وترك الدنيا ومع ذلك كان يقري الضيوف مع اختلاف طبقاتهم ويقوم بالأرامل والأيتام والمساكين ويكسوهم ويطعمهم ويغسل الموتى ويكفّنهم من عنده.

وكان ﷺ ليلاً ونهاراً في عبادة. وكان ﷺ لا يبيت على دينار ولا درهم ولما حججت معه سنة بلوغي بالحلم وذلك في سنة أربع عشرة وتسعمائة فما رأيت أوسع خلقاً منه وكان معنا ثلاث جمال فحصل لهم أمر في وادي المنصرف فبرك الثلاثة وتصفى الحج كله ودخل علينا وقت العشاء وهو يضحك ويقول لي ولزوجته لا تخافوا فإن معكم الماء والزاد فإذا فرغ جلس الإنسان منا مستقبل القبلة ومات كما مات الصالحون - فبينما نحن كذلك إذ جاءنا بدوي فقال لا تخافوا وحول أحمالنا على جماله وساق جمالنا عرباً فمشت إلى العقبة فأعطى الجمال شيئاً فلم يرض وقال ما حملتكم إلا الله تعالى فبرك منا جمل آخر بعد ذلك فرقد فتصفى الحج فأعطونا فيه ديناراً فأبيت فبينما أنا كذلك إذ جاءنا البدوي الأول كم أعطوكم فيه فقلنا له ديناراً فقال علي بذلك فأعطاه له الأخ فطاب الجمل ثاني يوم وحمله البهار فأتى البدوي به له وقال يا سيدي جملك طاب فخذ فلم يرض الأخ فساق عليه العرب وقال ما طاب الجمل إلا على ذمتك فلما وصل إلى مصر باعه بثلاثين ديناراً».

قال سيدي عبد الوهاب وأخبرني الشيخ أحمد ابن الشيخ حسن وكان رجلاً صالحاً قال ذهبت أنا والشيخ عبد القادر نفتح مطلباً قلت يا شيخ عبد القادر اقرأ أنت العزيمة لكوني لا أعرف الخط وأنا إذ ذاك شاب أمرد فلما قربنا من المطلب بعد المغرب ضحك خدام المطلب وقالوا لي أين الزكية التي معك للذهب ثم قالوا للشيخ عبد القادر ما هي عادتك يا شيخ عبد القادر تحب الدنيا، فخجل الشيخ عبد القادر ورجع فما قدرت عليه يقرأ العزيمة. انتهى.

فانظر شهادة الخدام من الحق له بأنه لا يحب الدنيا وهي منقبة عظيمة له. وكان ﷺ إذا زرع زرة يخرج التقاوي لشريكه ومن ذلك الوقت لا يعرفه حتى يدخل الدار. وقالوا له مرة أين جرن غلتك؟ فقال: والله ما أدري في أي ناحية هو. وكان ﷺ يقول: ما قسمه الله لنا لا يقدر الشريك أن يأخذ منه حبة وكانت داره كأنها مارستان كل امرأة مرضت أو عجزت يرسلها الناس له وكذلك الأيتام والأرامل.

وكان ﷺ ينفق على الكل ويكسوهم ولا يعلم أحد من أين ينفق ومن أين يأتيه الأكل والدجاج والأوز والغنم مع أنه لا ثور له ولا بقرة ولا حمار وكل شيء عنده بالكراء ويقرى الضيوف الواردة ولو كثروا.

قال سيدي عبد الوهاب وأخبرني بعض الثقات قال أمسيت في السفر فدلوني على دار الشيخ عبد القادر فوجدت أن الزقاق ملاّن رجالاً وبهائم وما وجدت لي موضعاً أدخل بهمارتي فقرى الكل في تلك الليلة.

وقالوا له مرة لم لا تشتري لك بهائم فقال لهم إذا اشتتت النفس شيئاً من ذلك وقفت على كوم البلد وقت رجوع البهائم كلها من المرعى فأقول لنفسي كل هذه البهائم لك فإنه لا فرق عندي بين كون تلك البهائم في داري أو في دور جميع أهل البلد لأنني لا أرى لي ملكاً لشيء مع الله تعالى.

وكان ﷺ أكثر أعماله سرية. وكان ﷺ جميل الأخلاق حسن المعاشرة بشوشاً لا تراه مقبوض خاطر أبداً. وكان ﷺ إذا علم أن أحداً شعر بأحواله التي يمدح

عليها يتعاطى بحضرته أفعالاً ترده عن ذلك المدح. قال سيدي عبد الوهاب وما رأيته قط يدعي شيئاً من الكمالات وإنما الناس يصفونه بها وربما كان لا يشعر هو بكماله.

قال سيدي عبد الوهاب ولما حججت سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة طلب مني الإخوان الذين كنا بصحبتهم أن يجتمعوا بأحد من أولياء الله عز وجل الذين يحضرون الموسم في كل سنة ممن نعرفهم من أهل بلادنا فقلت لهم اقرءوا الفاتحة سبعا ونحن في الحجر تحت الميزاب وقلت لهم قولوا لهم قولوا اللهم اجمعنا في هذه الليلة على أحد من أوليائك وأطلعنا على أحد ممن اصطفتهم لحضرتك من أهل بلادنا ولا يشعر هو بنفسه، فبينما نحن بين النائمين واليقظانين إذا رأى جماعة منهم الفقير قائلاً يقول وهو داخل من فتحة الحجر يمين المعتلي في الحجر هؤلاء ممن اصطفاهم الله تعالى حجالسته في هذا الزمان فنظرت فإذا خلفه اثني عشر رجلاً فعرفت منهم أخي الشيخ عبد القادر هذا، وعرفت منهم القاضي أبا البقاء بن جبيلات صاحب محكمة بيت الوالي خارج باب زويلة والشيخ حسن الحديدي الفقيه بجامع الأزهر والشيخ مبارك التاجر بباب اللوق البرلسي فهؤلاء هم الذين عرفتهم، وقد تتبعت صفات هؤلاء الأربعة فوجدتهم متقاربين في أحق الأعمال، فلا يكاد أحد يلحق بأنهم من الصالحين إلا كان من أهل الكشف على مقامات الرجال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وأخبرني الأمير يوسف من جند السلطان سليمان قال: طفت بلاد حلب والروم والشام والعجم ومصر وزرت فقراءها، فما رأيت أحداً على قدم أخيك الشيخ عبد القادر في الأخلاق التي أعطاها الله له، ثم قال: والله لو وضع الشيخ عبد القادر أخوك في كفة ووضع جميع مشايخ مصر الذين نعرفهم في كفة لرجح عليهم الشيخ عبد القادر ﷺ.

قال وكأن الله تعالى ألقى محبته في سائر القلوب فلم يجد أحداً ينقصه بل يشنون عليه حتى النصارى واليهود والظلمة الذين يردون عليه. وكان ﷺ إذا اشتد غيظه على أحد يقول لا بارك الله تعالى في شيطانك.

وكان ﷺ إذا بلغه من بلده أنه استحقّ النفي من بلده يقول له يا حبيبي أنا ما بقيت أمكنك تسكن في بلدي وإن شاء الله تعالى ما أرسلك إلا إلى مكان كذا وكذا ويذكر له مكاناً محبوباً له كبلاطة لطيفة أو جامع الأزهر أو نحوهما فيعلم ذلك الشخص أن عنده منه غيظاً فيقول له يا سيدي أي ذنب وقع مني تخبرني عنه أتجنبه وأتوب منه فيقول له وقع منك كذا وكذا فيقول أنا تائب من ذلك ومن كل ذنب يا سيدي فيقبل منه ذلك ويدعو له بالتوفيق والصلاح.

وكان ﷺ إذا بلغه عن إنسان أنه مسرف في دينه يأتي إلى داره بهدية ككسوة أو دراهم أو ما تيسر له ووقف على دار ذلك المسرف ويطره بلطف فيقول من الباب، فيقول الفقير عبد القادر فيفتح له الباب ويقبل يده ويفرح بقدومه ويدخله إلى داره ويسأله عن السبب في قدومه عليه فيقول لا سبب في ذلك إلا محبتي ومودتي لك وشفقتي عليك ومحبتني فيك وأناي حامل همك في هذه الأيام المباركة الحال من جهة كثرة الظلم وقلة المكاسب وكثرة العيال وضيق الحال وقد تيسر لي هذه النفقة أو هذه الكسوة أو هذه الهدية فأحببت أن آتيك بها إلى بيتك في هذا الوقت لتوسع بها عليك وعلى عيالك وما حملني على الحضور إليك بنفسي وعدم إرسالها مع غيري إلا خوف أن تردها فيقبلها ذلك الشخص المسرف منه ويكرر عليه الهدايا المرات العديدة حتى يعلم الشيخ عبد القادر منه أنه ما بقي يخالفه في أمر من الأمور فهناك يأخذ في نصحه شيئاً شيئاً حتى يصير على أحسن حال وأتم استقامة. وصورة نصحه أنه كان يقول للشخص يا أخي إني جئتكم مشفقاً وناصحاً فهل تقبلني. فيقول نعم. فيقول له يا أخي أعلم أن مرتبتك رفيعة وأنت من بيت كبير ولا يسهل عليّ أن يقع منك شيء تشان به في دينك أو دنياك وبلغني عنك كذا وكذا فإن كان ذلك حقاً فأنا أستفتيك على نفسك إن قلت إن ذلك قبيح فتب إلى الله تعالى منه وخذ في البعد عن مواطنه وعمن يحسنه لك فإنه من إخوان الشياطين، وإن كان ذلك باطلاً فذلك هو الظن بك وهو أحب إلينا، فما يقوم من عند الشخص المسرف حتى يتوب إلى الله تعالى من ذنبه ويرجع بالندم والاستغفار إلى ربه.

وربما كان يأتي إلى العاصي فيحادثه ثم يقول إني جلست للوضوء البارحة
فرأيت بياض بدني وحسنه وما أنعم الله علي من العافية فيه والجاه والنعم المترادفة
وتذكرت يوم القيامة وشدائدها وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ
عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا
هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾^(١) فبكيت بكاءً شديداً وتأملت حالي
في القبر وعند سؤال منكر ونكير وتفكرت في الحشر والنشر وتطاير الصحف
والحساب والميزان والصراط المحدود على متن جهنم وما أعد الله فيها لمن أراد الله
عذابه من العصاة فكدت أذوب خوفاً من ذنوبي ومجازاتي عليها بالعذاب الأليم المقيم
ويكرر ذلك حتى يقشعر العاصي وترتعد فرائصه ويدخل ذلك الكلام في قلبه
وتذرف عيناه بالدموع ويسأله الاستتابة فبعد ذلك يمسك عن الكلام ويستتب
ويتوب هو معه من سائر الذنوب.

فهذه سياسته في استتابة العصاة. انتهى.

ومن زيادة يقينه وزهده وورعه وعفته ما وقع له مع سيدي عبد الوهاب
الشعراني أنه كان يزرع في كل سنة للمقيمين عنده في الزاوية شيئاً من البطيخ ويخزنه
عنده فيكفي المقيمين عنده والواردين عليه طول السنة فأرسل سيدي عبد الوهاب في
سنة من السنين لأخيه الشيخ عبد القادر مكتوباً يقول له فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته وبعد فإنك يا أخي تعلم أن البطيخ
المزروع في جزيرة كذا إنما هو على اسم الفقراء ليس عليه حارس ولا بواب ولا هو في
بلد ينظر إليه الناس وإنما هو في جزيرة وسط بحر ونخشى من بعض الناس أن يؤذونا
فيه من البر أو البحر بالمراكب فإن رأيت أن تنظر لنا أحداً يحرسه أو يذهب إليه كل
قليل فافعل وأجرك على الله تعالى ولا تتهاون في ذلك».

(١) سورة الحج: الآية الكريمة / ٢.

فكتب سيدي عبد القادر إلى سيدي عبد الوهاب كتاباً جواباً وأرسله على يد قاصده إليه وصورته:

بسم الله الرحمن الرحيم

السلام عليك يا أخي ورحمة الله وبركاته وبعد فقد كنت أظنك في غير هذه الرتبة أما إذا أنت على ما ذكرت لي من الحال فاعلم أن ما قسمه الله تعالى لأهل مصر لا يستطيع أهل الريف أن يأكلوه أبداً وأن ما قسمه الله تعالى لأهل الريف لا يقدر أحد من الثقلين أن يوصله إليك أبداً. وبالله العجب تقول أنك زرعت ذلك للفقراء وأي فارق بين الفقراء المقيمين عندك والفقراء المنتشرين في أقطار الأرض وفي أي كتاب نزل يحرم فقراء الرياف وبر فقراء الأمصار والحمد لله وحده انتهى.

فانظر يا أخي هذا القدم العظيم في التفويض والتسليم إلى الله تعالى وعدم الاهتمام بالحرص على حطام الدنيا وإن كان فيه ما فيه.

والأكمل والأتم ما كان عليه سيدي عبد الوهاب الشعراني من حيث الناس والأتباع إذ حقيقة حاله أنه إنما التمس من أخيه عبد القادر حفظ الزرع عن غير مستحقه شرعاً وفي هذا من التقيد بظاهر الشريعة المطهرة ما لا يخفى على الشيخ عبد القادر ولكن لا يخلو حال الشيخ عبد القادر من أحد الأمرين إما أن يكون ما تكلم به هو مقامه في نفس الأمر أو يكون مقامه فوق ذلك ولكن خشي على جماعة أخيه القاصرين عن درجته أن يظنوا في شيخهم أن وصيته على الزرع حرص منه على الدنيا فيعدموا النفع به أو يتبعوه على حسب ظنهم قبل أن يفطموا عن محبة الدنيا على يد المربي فيهلكوا في دينهم وهم لا يشعرون أو أراد أن يخرجهم من ورطة الشيخ بهذا الرد الشديد زيادة لتقبيح الحرص في عينهم وهذا أقرب من الأول.

وطلب أخوه الشيخ أحمد أن يتزوج بزوجه بعد موته فقال له سيدي عبد الوهاب الشعراني لا تفعل ذلك احتراماً لأخيك عبد القادر، فخالفه وعقد عقد

نكاحه عليها فجاءه الشيخ عبد القادر في النوم بحربة من نار وقال له لولا أنت أخي
لطعنتك بهذه الحربة وقتلتك ونخسه بها في ذراعه فلم يرجع فلم يزالا في خصام وهي
تمنعه من نفسها إلى أن طلقها ثلاثاً ثم ماتت هي بعد الطلاق. وأخلاقه الطاهرة
الظاهرة وأوصافه الزاهية الباهرة أكثر من أن تذكر وأصل نجابة سيدي عبد الوهاب
الشعراني من رضاع أدب أخيه سيدي عبد القادر رضي الله تعالى عنهما.

مات رحمته الله في ثالث عشر شهر صفر الخير من شهور السنة ست وخمسين
وتسعمائة ودفن بمقبرة بلده وهي ساقية أبي شعره وقبره بها ظاهر يزار رحمة الله عليه.
وهذا آخر الباب الأول والحمد لله رب العالمين.

الباب الثاني

في بيان مناقبه الخاصة به وبيان ما وقع له
من خوارق العادات وبيان أحواله من ولادته إلى وفاته
على ما بينته فيما تقدم في أوائل الكتاب فأقول وبالله التوفيق.

نسبه الشريف

هو سيدنا ومولانا الشيخ أبو المواهب وأبو الفتوحات عبد الوهاب الشافعي
الشعراني الأشعري الشناوي الأحدي الوفائي العلوي الأنصاري الصوفي القرشي ابن
الشيخ أحمد بن الشيخ علي بن الشيخ أحمد بن الشيخ محمد بن الشيخ موسى بن
السلطان فاشين بن السلطان محيي بن السلطان ذوفا بن السلطان ريان ابن السلطان
محمد بن السيد موسى بن السيد محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب ابن عبد
المطلب جد النبي ﷺ.

مولده ونشأته ورحيله إلى القاهرة

كان مولده ﷺ في سنة تسع وتسعين وثمانمائة بعد الهجرة النبوية، قال ولده
سيدي عبد الرحمن رحمه الله ولد والدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني في دار جده
لأمه بقرية من إقليم القليوبية تسمى «قلقشندة» لأن والدته رضي الله عنها كانت إذ
ذاك عند أهلها بالناحية المذكورة بسبب أمر مقتض لذلك. انتهى.

ثم جيء به إلى بلد أبيه وهي «ساقية أبي شعرة» بإقليم المنوفية على نهر نيل
مصر تجاه بلد يقال لها «البراشيم» بإقليم القليوبية إلى أن هاجر منها إلى مصر المحروسة
ﷺ ولذلك انتسب إليها فيقال له الشعراوي بالواو والشعراني بالنون كما وجدته
بخطه بالواو والنون.

قال سيدي عبد الوهاب ﷺ في أول كتاب من مؤلفاته يقول: مؤلفه العبد
الفقير إلى عفو الله ومغفرته عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراني نسبة إلى قرية مدينة

«منف» المعروفة بـ «ساقية أبي شعرة» عفا الله عنه. انتهى. نقلت ذلك من خطه حرفاً بحرف.

قلت يشير سيدي عبد الوهاب الشعراني نفعنا الله تعالى ببركاته إلى قول العلماء رضي الله عنهم بصحة النسبة في كل منهما أما النسبة بالواو فعلى القياس من إبدال الهمزة واواً في النسب كما تقول في النسبة إلى الصفر أو السود الصفراوي أو السوداوي وأما النسبة بالنون فزيادة النون في النسب كما قالوا الرازي نسبة إلى الري والنواوي بزيادة الواو. وهذا كما قرئ إن كانت النسبة إلى «ساقية أبي شعرا» بالهمزة أما إذا كانت النسبة إلى «ساقية أبي شغره» بالهاء كما هو بخطه أيضاً فالنسبة على خلاف القياس في كل من الشعراني والشعراوي وكل من النون والواو زائدة والنسبة على كل حال صحيحة فإن الزيادة كثيراً ما تدخل النسب وبحال القياس الشعري بحذف الهاء كما قالوا التمري نسبة إلى التمرة والسدري نسبة إلى السدرة، والله أعلم.

نشأته المباركة وانتقاله إلى القاهرة

وكانت مهاجرة سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله من بلده المذكورة إلى مصر المحروسة في افتتاح سنة إحدى عشرة وتسعمائة وكان عمره إذ ذاك اثنتي عشرة سنة. نشأ رحمه الله يتيم الأبوين تولى الله تربيته وتوفيجه وتأديبه من صغره إلى انتهاء عمره ثم مات والده العبد الصالح الشيخ شهاب الدين أحمد حين بلغ من العمر نحو ست سنين وقيل نحو تسع سنين. والصحيح الأول على القول الآتي في حفظ القرآن على أخيه فليتأمل.

وكان لسيدي عبد الوهاب عمان هما محمد وعبد الرحمن، وكان له رحمه الله عشرة أخوة لوالده وشقيقه سيدي عبد القادر المتقدم ذكره آخر المقدمة.

قال ولده سيدي عبد الرحمن ومن خطه نقلت وأبقى الله تعالى لوالدي في علمه السابق الأزلي والدته التي هي أشفق أقاربه عليه حين ذاك إلى سن تمييزه الذي هو غاية شدة الحاجة إليها بالنسبة إلى ما بعد ذلك ثم أبقى له والده إلى سن مراهقته الذي هو مظنة غاية شدة الحاجة إلى الوالد السالم من شوب التنقيص بحقوق التكليف فحسم

الله عنه كثيراً من حقوق الوالدين فقبضهما عند انتهاء الغاية التي يلزم فيها غالباً حصول التعب والمشقة التي قد لا تيسر من غيرهما في حق الولد عادة ليحصل للولد كمال اللطف في زمن شدة الحاجة.

ثم إن الله تبارك وتعالى إذا أذقه حر اليتيم فترتب على ذلك مقتضاه السابق في علمه لكن من لطفه به فيه أنه بعد موت والده صار في كفالة أخيه شقيقه الشيخ عبد القادر المذكور فيما تقدم.

وحفظ سيدي عبد الوهاب القرآن كله على أخيه المذكور وهو ابن سبع سنين وكان ﷺ مواظباً على قيام الليل بالقرآن كله. وكان ﷺ يصلي به كثيراً في ركعة واحدة في الجامع الأزهر بجانب المنبر وهو دون البلوغ. وكان ﷺ مواظباً على الصلوات الخمس في مواعيها من ذلك السن إلى أن توفاه الله تعالى. كان ﷺ محفوظاً في الظاهر والباطن من جميع المخالفات لا تخطر بباله من قبل تكليفه ولا من بعده.

شيوخه في العلم

وتفقه ﷺ على أخيه شقيقه الشيخ عبد القادر المذكور قبل مهاجرته إلى مصر المحروسة ثم من بعد مهاجرته إلى مصر تفقه على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري الشافعي والشيخ الحافظ الجلال السيوطي والشيخ شهاب الدين أحمد بن حمزة الرملي والشيخ عبد القادر الشاذلي تلميذ الحافظ الجلال السيوطي الشافعي والشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري الشافعي والشيخ شمس الدين الدواخلي والشيخ شمس الدين السمنودي والشيخ أحمد المسيري والشيخ نور الدين المحلي والشيخ الملا علي العجمي والشيخ جمال الدين الحنفي والشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي والشيخ شمس الدين اللقاني المالكي أخيه والشيخ شهاب الدين أحمد الفتوحي الحنبلي وغيرهم نحو سبعين شيخاً وهؤلاء بعضهم. وأما مشايخه الذين تفقه عليهم في الأربعة مذاهب وغيرها ومشايخه في الطريق فهم نحو المائتين من الأسياف فأكثر وماتوا كلهم وهم عنه راضون وذلك من أكبر نعم الله عليه.

قلت ولم أذكر من أشياخه إلا من كان جامعاً بين العلم والعمل والحمد لله رب العالمين. واطلع عليه على سائر أدلة المذاهب كلها المستعملة والمندرسة وعلم استنباطات كل مذهب منها لكثرة محفوظاته من الكتب ومقروءاته على المشايخ في الأربع مذاهب ومطالعته فيها.

محفوظاته وما طالع من كتب الشريعة وشيوخه في العلم

وأما محفوظاته من كتب الشريعة وآلاتها فهي كتاب أبي شجاع وكتاب متن الأجرومية وحل الثلاثة^(١) على أخيه الشيخ عبد القادر قبل مهاجرته إلى مصر، وبعد مهاجرته إلى مصر حفظ كتاب المنهاج للنووي وكتاب ألفية ابن مالك وكتاب التوضيح وكتاب جمع الجوامع وكتاب ألفية العراقي وكتاب تلخيص المفتاح وكتاب الشاطبية وكتاب قواعد ابن هشام وغير ذلك من المختصرات حفظاً جيداً حتى صار يعرف متشابهاتها كالقرآن من جودة حفظه ثم ارتفعت همته فحفظ كتاب الروضة إلى باب القضاء على الغائب أو أواخر الكتاب فلقبه رجل من أولياء مصر^(٢) وقال له قف على باب القضاء على الغائب، فلم يقدر بعد قول ذلك الولي على حفظ لوح واحد منه بعد باب القضاء على الغائب حتى أنه كتب لوحاً منه بعد قول الولي وقرأ فيه حتى بال الدم فلم يحفظه فتحقق بعد ذلك إشارة الولي إلا أنه طالع بقية الروضة نحو مائة مرة حتى رسخ في عقله.

وأما ما قرأه من الكتب وشرحه على أشياخه وهم نحو خمس وسبعين شيخاً من كتب الشريعة وآلاتها فكثير لا يحصى. قرأ على شيخه الإمام العالم العلامة الفقيه المحدث المقرئ الصوفي الشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري شرح المنهاج للجلال المحلي، وكان أعلم أشياخه بنكت الشرح لكونه قرأ بعضه على مؤلفه، وبقيته على أصحاب المؤلف كالشيخ فخر الدين المقسمي والشيخ شمس الدين الجوجري

(١) هكذا وردت العبارة في الأصول والمذكور كتابان فقط لا ثلاثة، ولعل ثالثها أحد متون العقيدة أو الحديث أو الفرائض.

(٢) هو سيدي أحمد البهلول رحمته. انظر الطبقات الكبرى، ط الآداب ص ٧٤٥.

والشيخ شمس الدين بن قاسم. وكان يطالع عليه القوت للأذرعى وشرح المنهاج للإسنوي وللسبكي ولابن الملتن، وشرحه لابن قاضي شهبة، وشرح الروض لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري قبل أن يشتهر الكتاب، وكان يلخص زوائد هذه الكتب على حواشي شرح الجلال المحلي ويلصق فيه أوراقاً حتى ربما تصير الحواشي أكثر من الكتاب ويقرأها كلها عليه وكان ذلك لضيق يده عن شيء يشتري به الكتب.

وكذلك قرأ على الشيخ أمين الدين أيضاً شرح جمع الجوامع للجلال المحلي وحاشيته لابن أبي شريف وكذلك قرأ عليه شرح ألفية العراقي للسخاوي وشرح ابن عقيل على الألفية وكان يطالع عليه شرح الأعمى والبصير وشرح التوضيح وشرح ابن قاسم وشرح المكودي وشرح الشواهد للعيني ويكتب زوائدها على شرح ابن عقيل ويقرأها كلها عليه وكذلك قرأ عليه الكتب الستة في الحديث والفيلايات ومسند عبيد بن حميد وأجازه بجميع مروياته وكان له السند العالي، أخذ عن الحافظ بن حجر العسقلاني.

وقرأ على الشيخ الإمام العالم العلامة الشيخ شمس الدين الدواخلي هذه الشروح المذكورة بحواشيتها بعد الشيخ أمين الدين وكان فقيهاً محدثاً للأبحاث، وكذلك قرأ عليه شرح الإرشاد لابن أبي شريف وكان يطالع عليه شرح البهجة الكبير للشيخ زكريا وشرح الإرشاد للجوجري والقوت للأذرعى والتوسط والفتح للأذرعى.

وكذلك قرأ عليه شرح الروض إلى أثناء باب الجزية وحصل له رمى دم، فمرض، فلم يتمه عليه، وكان يطالع على هذا الشرح الخادم والقوت وجميع المواد التي استمد منها شارحه كان يتتبع نقوله بسوابق الكلام ولواحقه وألحقها بشرح الروض حتى صارت الحواشي أكثر من الشرح.

وكان الشيخ يتعجب من سرعة مطالعته لهذه المواد ويقول لولا أنك تلخص زوائدها لقلت إنك لم تنظر فيها فضلاً عن أن تطالعها كلها.

وكذلك قرأ عليه شرح الألفية لابن المصنف^(١) وللأعمى والبصير ولابن أم^(٢) قاسم وهو المرادي^(٣)، وشرح التوضيح للشيخ خالد الأزهرى وغير ذلك. وكذلك قرأ عليه المطول بحواشيه كاملاً. وكذلك قرأ عليه شرح ألفية العراقي للسخاوي وشرح جمع الجوامع للمحلي بحاشيته. وكذلك قرأ عليه شرح الشاطبية وغير ذلك.

وكذلك قرأ على الشيخ العالم العلامة الشيخ شمس الدين السمنودي الخطيب بالجامع الأزهر نحو النصف من شرح المنهاج للجلال المحلي وقطعة من شرح الطوالع، ثم سافر من مصر إلى المحلة الكبرى فأقام بها إلى أن توفي^(٤) فأكملها على الشيخ شهاب الدين المسيري.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام المحقق الشيخ نور الدين المحلي شرح جمع الجوامع بحاشيته، وكان يقرأ عليه الشرح والحاشية في الغالب على ظهر قلب وهو ممسك عليه الكتاب فيتعجب من جودة حفظه وتوقيعه الحاشية على الشرح. وكذلك قرأ عليه شرح العقائد للتفتازاني وحاشية ابن أبي شريف عليه^(٥).

وكذلك قرأ عليه شرح المقاصد وكتاب سراج^(٦) العقول للشيخ أبي طاهر القزويني وهو كتاب مشتمل على أربعين باباً في علم الكلام كل باب يجمع فيه سائر مشكلاته ويتكلم عليها وما رأيت في علماء الكلام أطول باعاً منه.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام الزاهد العلامة نور الدين السنهوري الضرير الإمام بجامع الأقمر عدة كتب منها شرح نظمه للأجرومية ومنها شرح شذور الذهب ومنها شرح الألفية للمكودي وغير ذلك.

(١) بالمطبوع: «لابن المعتز»، وغير واضحة بالمخطوط، وما أثبتناه من الميزان، ط الفكر: ٥٢، ومن لطائف المنن ط عالم الفكر: ٥٨.

(٢) بالمطبوع: «لابن القاسم»، والمثبت من المخطوط والمرجعين السابقين.

(٣) بالمطبوع: «المرادي»، والمثبت من المخطوط.

(٤) المقصود الشيخ شمس الدين.

(٥) أي على شرح السعد للعقائد، وهي النسفية.

(٦) بالأصول: «سروج»، والمثبت من اللطائف واليوافيت.

وكذلك قرأ علي الشيخ الإمام العالم الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة الشيخ ملا علي العجمي بباب القرافة قطعة من المطول والعضد وقطعة من تفسير البيضاوي ثم مات.

وكذلك قرأ علي الشيخ جمال الدين العناني والشيخ عيسى الإخنائي^(١) والشيخ شمس الدين الدمياطي الواعظ بالجامع الأزهر كلٍ منهم قطعة من شرح المنهاج ثم مات.

وكذلك قرأ علي الشيخ العالم العلامة الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة الشيخ شهاب الدين أحمد القسطلاني غالب شرحه علي البخاري وكتاب المواهب اللدنية كاملاً ثم مات. وكذلك قرأ علي الشيخ العالم العلامة الشيخ مجلي قطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي إلى أثناء باب القضاء هو والشيخ أبو الحسن البكري الصديقي ثم مات.

وكذلك قرأ علي الشيخ نور الدين الأشموني قطعة من شرحه علي المنهاج الذي نظمه وكذلك قرأ عليه شرح نظمه لجمع الجوامع وغير ذلك.

وكذلك قرأ علي الشيخ سعد الدين الذهبي شرح ألفية العراقي وقطعة من شرح المنهاج للجلال المحلي، وأمره بمطالعة الخادم والقوت فطالعهما كاملين وكان يراجعهما في مشكلاتهما. وكذلك قرأ علي شيخ الإسلام الشيشيني^(٢) الحنبلي قطعة من تفسير البغوي ثم مات.

وكذلك قرأ علي شيخ الإسلام برهان الدين القلقشندي دروساً من شرح المنهاج ثم مات وأجازه بجميع مروياته وكان عالي السند.

وكذلك قرأ علي شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري عدة كتب من مؤلفاته أولها شرح رسالة القشيري في التصوف كتبه من خطه وقرأه عليه كاملاً وأجازه بإقرائه.

(١) بالمطبوع: «الإحنائي»، وغير واضحة بالمخطوط وما أثبتناه يؤيد ما بلطائف المنن ص ٥٩.

(٢) بالمطبوع: «الشيشيني»، كان عالماً فقيهاً زاهداً متواضعاً إماماً في التفسير والمذهب وكان يعظ الناس ويملاً كلامه بالزواجر فيبيكهم. توفي رحمه الله سنة ٩١٩ هـ. وانظر في الطبقات الصغرى ص ٤٥ ط مكتبة الآداب.

وكذلك قرأ عليه شرح مختصره لجمع الجوامع، ومختصر آداب العفتالة وشرح التحرير، وشرح القطعة التي وضعها على مختصر المزي. ولما شرح البخاري كان يطالع له شرح البخاري للحافظ بن حجر، وشرحه للعيني، وشرحه للكرماني وشرحه للبرماوي، وشرحه للقسطلاني، ويلخص منها ما يختاره حتى صارت هذه الشروح نصب عينيه من جودة الفهم ونباهة الخاطر.

وكذلك قرأ عليه الكشف مع حواشيه. ولما قرأ عليه شرحه للروض كان يطالع عليه جميع المواد التي استمد منها ونبهه على نحو أربعة عشر موضعاً ذكر أنها من أبحاث الزركشي، والحال أنها من كلام الأصحاب فأصلحها، وكذلك نبهه على عدة مواضع ذكر أنها من زوائد الروض على الروضة، والحال أنها مذكورة في الروضة في غير أبوابها فأصلحها.

ومن جملة ما كان يطالعه على شرح الروض من المواد كتاب المهمات وكتاب القوت وكتاب الخادم وكتاب شرح المذهب والروضة والرافعي الكبير وكتاب المطلب لابن الرفعة والكفاية له والقطعة والتكملة وشرح ابن قاضي شهاب وشروح التنبيه كابن يونس وابن الملحق.

وكذلك قرأ عليه القواعد الكبرى للشيخ عز الدين، وقواعد الزركشي وقواعد العلائي وغير ذلك مما كان متيسراً في خزانة المدرسة المحمودية وغيرها.

وكذلك قرأ على الشيخ الإمام العلامة محقق الزمان وقدوة الأعيان الشيخ شهاب الدين الرمي كتاب الروضة من أولها إلى أثناء باب الخيار والإعفاف في النكاح، فحصل له رمى دم، فلم يتمه عليه. وكان يطالع عليه كل درس قرأه عليه، وكتاب المهمات والخادم، وشرح المذهب، وشرح المنهاج، وشرح الإرشاد، وشرح البهجة وغير ذلك، ويكتب زوائد جميع هذه الكتب على الحواشي، وكان يقرأها كلها عليه وينبهه على الراجح وغيره، وكان يتعجب من مطالعته لهذه الكتب ويقول له: بدايتك نهاية غيرك، لأنه ما رؤيَ أحد يتيسر له مطالعة هذه الكتب كلها في هذا

الزمان أبداً، لأنه كان يطالع الجزء الكبير في ليلة ويكتب زوائده على الكتاب الذي يقرؤه^(١).

فهذا ما استحضره الشيخ مما قرأه على الأشياخ من كتب الشريعة، وأما ما طالعه لنفسه من الكتب المتقدمة وغيرها مراراً عديدة، فطالع كتاب شرح الروض لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري: طالعه نحو ثلاثين مرة. وطالع كتاب شرح الروض لابن سولي مرتين. وطالع كتاب الأم للإمام الشافعي رحمه الله ثلاث مرات حتى كان يستحضر غالب نصوصه على ظهر قلب. وطالع كتاب مختصر المزني مرة واحدة. وطالع كتاب مسند الإمام الشافعي ثلاث مرات، وطالع كتاب شرح مسند الإمام الشافعي للجاولي مرتين، وطالع كتاب المحلى لابن حزم في الخلاف العالي ومختصره للشيخ محي الدين بن العربي مرة واحدة وهو ثلاثون مجلداً ضخماً. وطالع كتاب الأحكام السلطانية له مرة.

وطالع كتاب فروع ابن الخداد مرتين، وطالع كتاب الشامل مرة، وطالع كتاب المحيط لأبي محمد الجويني ولم يتقيد في كتابه المحيط على مذهبه، وطالع كتاب الفروق له مرة واحدة. وطالع كتاب الوسيط، وطالع كتاب البسيط، وطالع كتاب الوجيز، الثلاثة للغزالي، كل واحد من الثلاثة مرة. وطالع كتاب الرافعي الكبير والصغير ثلاث مرات، وطالع كتاب الروضة سبع مرات، وطالع كتاب المذهب نحو خمسين مرة، وطالع كتاب تكملة السبكي على شرح المذهب مرتين، وطالع كتاب شرح مسلم للإمام النووي خمس عشرة مرة. وطالع كتاب المطلب مرة واحدة لابن الرفعة، وكان يراجع الشيخ كمال الدين الطويل في تحرير أبحاثه.

وطالع كتاب المهمات ثلاث مرات. وطالع كتاب التعقيبات مرتين. وطالع كتاب القوت للأذرعي مرة واحدة، وطالع كتاب الخادم مرتين ونصفاً، وطالع كتاب العمدة لابن الملتن مرة واحدة، وطالع كتاب العجالة مرة، وطالع كتاب شرح المنهاج

(١) فإين علم من يحطون على الإمام من المتسلفه وغيرهم من علمه بالشريعة، فضلاً عن علمه بالطريقة والحقيقة.

لابن قاضي شهبة مرة واحدة، وطالع كتاب شرح الإرشاد مرة واحدة، وطالع شروح التنبيه للزنكلوني ولابن الملقن كل واحد مرة، وطالع شرح الجلال المحلي أكثر من ثلاثين مرة، وطالع كتاب تصحيح ابن قاضي عجلون أكثر من ثلاثين مرة.

وطالع كتاب شرح ابن قاضي شهبة، وطالع كتاب زوائد شرح البهجة والروض عليه، وطالع كتاب شرح البهجة للولي العراقي خمس مرات، وطالع كتاب شرح البهجة لشيخ الإسلام مرتين، وطالع كتاب شرح الإرشاد لابن أبي شريف ثلاث مرات، وطالع كتاب شرح الإرشاد للجوجري مرة واحدة.

وطالع كتاب قواعد الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى نحو خمس مرات، وطالع كتاب قواعد العلائي مرة، وطالع كتاب قواعد الزركشي ثلاث مرات ثم اختصرها. وطالع كتاب الأشباه والنظائر مرة، وطالع كتاب الألفاظ للإسنوي مرة كل ذلك في الفقه وتوابعه.

وطالع من كتب الحديث كتاب فتح الباري على البخاري ثلاث مرات. وطالع كتاب شرح الكرمانى على البخاري مرتين. وطالع كتاب شرح البرماوي خمس مرات. وطالع كتاب شرح القيرواني على البخاري ثلاث مرات. وطالع كتاب شرح العيني على البخاري مرتين. وطالع كتاب شرح القسطلاني على البخاري ثلاث مرات. وطالع كتاب شرح البخاري للفاسي مرة. وطالع كتاب شرح مسلم للقاضي عياض مرة واحدة. وطالع كتاب شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري على مسلم خمس مرات. وطالع كتاب شرح الترمذي مرات عديدة. وطالع من كتب التفسير كتاب تفسير الخازن ثلاث مرات. وطالع كتاب تفسير ابن عادل سبع مرات. وطالع كتاب تفسير الكواشي^(١) عشر مرات. وطالع كتاب تفسير ابن زهرة مرة. وطالع كتاب تفسير القرطبي مرتين. وطالع كتاب تفسير ابن كثير مرة. وطالع كتاب تفسير البيضاوي خمس مرات.

(١) بالمطبع: «الكراشي».

وطالع كتاب تفسير ابن النقيب المقدسي مرة وهو مائة مجلد ضخمة، ما رؤي على القرآن تفسير أوسع منه.

وطالع كتاب تفسير الواحدي البسيط والوجيز ثلاث مرات. وطالع كتاب تفسير الشيخ عبد العزيز الديريني الكبير والصغير كل واحد نحو سبع مرات. وطالع كتاب تفسير الجلالين نحو ثلاثين مرة.

وطالع كتاب تفسير الجلال السيوطي الكبير ثلاث مرات وهو غريب في فنه. وطالع كتاب تفسير الإمام سعيد وهو تفسير نفيس تطلبه الحافظ الجلال السيوطي عشرين سنة فلم يظفر به.

وطالع كتاب تفسير الزمخشري بحواشيه مرة ونصفاً، وأعظم حاشية عليه الطيبي وكل الحواشي عولت عليها. وطالع كتاب الانتصاف لابن المنير وهو مبني لمواضع الاعتزال منه. وطالع كتاب الانتصاف للعراقي الذي جعله حكماً بين الكشف والانتصاف. وطالع كتاب مختصر الإنصاف لابن هشام. وطالع كتاب البحر لأبي حيان المغربي وعرف المواضع التي ناقش فيها الزمخشري من حيث الإعراب. وطالع عليه كتاب إعراب السمين. وطالع عليه كتاب إعراب السفاقسي. وطالع عليه كتاب حاشية الشيرازي في مجلدين. وطالع قطعة من حاشية الجاربردي.

وطالع كتاب سعد الدين، وطالع كتاب حاشية الجرجاني، وطالع عليه قطعة من حاشية أكمل الدين وهي في مجلدين، وطالع عليه كتاب حاشية أبي زرعة العراقي وأبي حيان وأجوبة السمين والسفاقسي مع زيادة تخريج أحاديثه. وطالع عليه كتاب حاشية شيخ الإسلام^(١) على تفسير البيضاوي خمس مرات. هذا ما طالعه على الكشف وقليل من يتيسر له مطالعة غالب هذه الكتب بل بعضهم لم يعرف أسماءها فضلاً عن الخوض فيها، وكان الحق تعالى قد سخر له الشيخ شمس الدين المظفري فكان كل كتاب احتاج إليه يأتيه به.

(١) يعني شيخ الإسلام سيدي زكريا الأنصاري رحمته الله وعنا به.

وطالع من كتب الحديث والتصوف وأدلة المذاهب كلها ما لا يحصى له عدد. فمن جملة ما طالعه من كتب الحديث طالع الكتب الستة، وطالع كتاب صحيح ابن خزيمة، وطالع كتاب صحيح ابن حبان، وطالع كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وطالع كتاب موطأ الإمام مالك بن أنس رحمه الله. وطالع كتاب معاجيم الطبراني الثلاثة، وطالع كتاب جامع الأصول لابن الأثير، وطالع كتاب الجامع الكبير للجلال السيوطي رحمه الله، وطالع كتاب الجامع الصغير.

وطالع كتاب زيادة الجامع وهي عشرة آلاف حديث والثلاثة أجمع الكتب التي صنفت في الحديث لا يكاد يخرج [عنها]^(١) من أحاديث الشريعة إلا ما كان مفرقاً في تفسير أو تاريخ.، وطالع كتاب السنن الكبرى للبيهقي ثم اختصره. وطالع كتاب المنتقى من الأحكام لابن تيمية هو الشيخ مجد الدين وليس هو صاحب الفتنة، وطالع كتب ابن تيمية كلها، وطالع كتاب الهدى النبوي^(٢) ثم اختصره. وطالع كتاب دلائل النبوة للبيهقي، وطالع كتاب المعجزات والخصائص للجلال السيوطي ثم اختصرها، وطالع من كتب اللغة كتاب صحاح الجوهري، وطالع كتاب القاموس، وطالع كتاب النهاية لابن الأثير، وطالع كتاب تهذيب الأسماء واللغات للإمام النووي خمس عشرة مرة.

وطالع من كتب الأصول والكلام كتاب شرح العضد مع حاشيته كذا كذا مرة، وطالع كتاب منهاج البيضاء، وطالع كتاب المستصفى للغزالي، وطالع كتاب الآمال لإمام الحرمين، وطالع كتاب شرح المقاصد، وطالع كتاب الطوالع، وطالع كتاب المطالع، وطالع كتاب سراج العقول، وطالع كتاب شرح العقائد للتفتازاني، وطالع كتاب حاشية ابن أبي شريف.

وطالع من فتاوى العلماء المتقدمين والمتأخرين ما لا يُحصى له عدداً، فمما طالعه كتاب فتاوى أبي زيد المروزي، وطالع كتاب فتاوى القفال، وطالع كتاب

(١) الزيادة من عندنا كي يستقيم المعنى.

(٢) كذلك بالأصول ولعله كتاب الطب النبوي لابن القيم الحنبلي.

فتاوى القاضي حسين، وطالع كتاب فتاوى الماوردي، وطالع كتاب فتاوى الغزالي،
وطالع كتاب فتاوى ابن عبد السلام، وطالع كتاب فتاوى ابن الصباغ، وطالع كتاب
فتاوى النووي، وطالع كتاب فتاوى السبكي مرات، وطالع كتاب فتاوى البلقيني،
وطالع كتاب فتاوى شيخ الإسلام الشيخ زكريا الأنصاري، وطالع كتاب فتاوى
الشيخ أحمد الرملي، وطالع من كتب قواعد الشيخ عز الدين الكبرى والصغرى.

وطالع كتاب قواعد العلائي، وطالع كتاب قواعد السبكي، وطالع كتاب
قواعد الزركشي ثم اختصرها وهي أجمع القواعد وأوضحها وأفصحها عبارة ثم جمع
بين القواعد كلها في كتاب وحذف منها المكرر وكذلك فعل في الفتاوى المذكورة،
وطالع من كتب السير كتاب سيرة ابن هشام، وطالع كتاب سيرة ابن إسحاق، وطالع
كتاب سيرة الكلبي، وطالع كتاب سيرة أبي الحسن البكري، وطالع كتاب سيرة
الطبري.

وطالع كتاب سيرة الكلاعي، وطالع كتاب سيرة ابن سيد الناس، وطالع
كتاب سيرة الشيخ محمد الشامي^(١) التي جمعها من ألف كتاب وهي أجمع كتب السير
كلها فيما يُظن، وطالع كتاب المعجزات والخصائص للجلال السيوطي كذا كذا مرة.

وطالع من كتب التصوف والدقائق ما لا يُحصى له عدداً. فطالع كتاب القوت
لأبي طالب المكي، وطالع كتاب الرعاية للمحاسبي، وطالع كتاب الحلية لأبي نعيم،
وطالع كتاب رسالة القشيري وشراحها^(٢)، وطالع كتاب عوارف المعارف
للسهروردي، وطالع كتاب الإحياء للغزالي، وطالع كتاب الفتوحات المكية ثم
اختصرها وحذف منها المواضع المدسوسة على الشيخ فيها، وطالع كتب اليافعي
كلها، وطالع كتاب رسالة النور للزاهد وهي في مجلدين، وطالع كتاب منح المنة في
التلبس بالسنة وهي في ست مجلدات للشيخ محمد الغمري، وطالع كتاب منازل

(١) هو موسوعة «سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد»، وقد صدر منها ثلاثة عشر مجداً من المجلس الأعلى
للشئون الإسلامية.

(٢) أي ما كتبه عليها شارحوها.

السائرین للهروي، وطالع كتب شُراح الفصوص^(١) كلها. وطالع كتاب شرح شعب الإيمان. وهذا ما استحضره الشيخ في وقت الكتابة. وأما ما غفل عنه فلا يحصى عدده إلا الله تعالى.

وقد كتب بعض الحسدة له سؤالاً وقدموه إلى شيخ الإسلام أحمد الفتوحي الحنبلي في كلام يتعلق ببعض مؤلفاته فرد السؤال وقال كيف أكتب على سؤال يتعلق بشخص طالع من الكتب كتباً لا نعرف أسماءها فضلاً عن الخوض فيها؟! بل لو ادعى بعضها لم يجد له منازعاً في دعواه قال: فرضي الله عن أهل الإنصاف وغفر لجميع الحسدة آمين.

وأما ما طالعه من كتب أئمة المذاهب الثلاثة زيادة على مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنهم أجمعين ليعرف مسائل الإجماع أو ما اتفق عليه ثلاثة فيعمل به بمزيد التأكيد، فطالع من كتب الحنفية كتب شراح الكنز كلها، وطالع كتاب مجمع البحرين، وطالع كتاب الحدادي، وطالع كتاب فتاوى القاضي خان، وطالع كتاب القدوري، وطالع كتاب البزازية، وطالع كتاب الخلاصة، وطالع كتاب شرح الهداية، وطالع كتاب تخريج أحاديثها للإمام الحافظ الزيلعي وكان يراجع في مشكلاتها على الحنفية كالشيخ نور الدين الطرابلسي والشيخ شهاب الدين بن الشلبي وأضرابهما.

وطالع من كتب المالكية كتاب المدونة الكبرى بإشارة من رسول الله ﷺ وهي عشرة مجلدات، وطالع كتاب الموطأ للإمام مالك، وطالع كتاب رسالة ابن أبي زيد، وطالع شراح مختصر الشيخ خليل كلها، وطالع جميع كتب ابن عرفة، وطالع جميع كتب ابن فرحون.

وطالع من كتب الحنابلة كتاب الخرقى وعدة مختصرات لكون الإمام أحمد بن حنبل لم يدون له مذهباً، وإنما مذهبه إملاء من صدور أصحابه بل كان ﷺ مذهبه

(١) بالمطبوع النصوص.

الحديث ويقول ليس لأحد منا كلام مع رسول الله ﷺ ويقال إنه وضع ثلاثين مسألة في الصلاة فقط، والله أعلم.

وصار ﷺ بعد هذه المطالعة والقراءة يقرر مذاهب الأئمة الأربعة وغيرها من المذاهب المندرسية كمذهب عائشة، ومذهب عطاء، ومذهب مجاهد، ومذهب الليث، ومذهب سفيان بن عيينة، ومذهب سفيان الثوري، ومذهب إسحاق، ومذهب الأعمش، ومذهب داود بن علي، ومذهب ابن مسعود، ومذهب الإمام ابن جرير الطبري، ومذهب عمر بن عبد العزيز، ومذهب الشعبي، وغيرها من المذاهب حتى لا يكاد أحد يظن أنه متقيد بمذهب الإمام الشافعي ﷺ لإحاطته بأدلتهم ومعرفته بمنازع أقوالهم، فإن منهم من أخذ بصريح الحديث ومنهم من أخذ بما استنبطه، ومنهم من أخذ بالمفهوم، ومنهم من أخذ بما استنبطه من المفهوم، فلا تجد لهم قولاً إلا وهو مستند إلى آية أو حديث أو أثر أو قياس صحيح، فكان مذاهبهم نسجت من الشريعة المطهرة سداها ولحمتها.

سند الإمام الشمراني في الفقه

قال سيدي عبد الوهاب في طبقاته الوسطى وقد حجب إليّ أن أصدر هذا الباب بذكر سندنا بالفقه إلى رسول الله ﷺ ليعرف الطالب أباه في العلم، فقلّ من الطلبة من يعرف ذلك. فأقول: أخذت العلم الشرعي وهو علم الفقه وعلم التفسير وعلم الحديث وغير ذلك عن جماعة بأسانيد مختلفة أخصرها طريق شيخ الإسلام زكريا الأنصاري وقد خدمته وقرأت عليه عشر سنين.

قال وقد ذكر لي بلفظه أنه أخذ علم الفقه عن شيخ الإسلام جلال الدين البلقيني والحافظ ابن حجر العسقلاني والشيخ جلال الدين المحلي وأخذ هؤلاء الثلاثة الفقه عن الشيخ عبد الرحيم العراقي عن الشيخ علاء الدين ابن العطار عن محقق المذهب ومرجحه العالم الصالح يحيى بن شرف النووي عن الشيخ الإمام سلال الأربلي عن الشيخ محمد بن محمد صاحب الشامل الصغير عن الشيخ عبد الغفار

القزويني صاحب الحاوي عن أبي القاسم الرافعي شيخ المذاهب عن الإمام محمد أبي الفضل عن محمد ابن يحيى عن حجة الإسلام أبي حامد الغزالي عن أبي المعالي محمد إمام الحرمين عن والده الشيخ أبي محمد الجويني عن أبي بكر القفال المروزي عن الإمام أبي زيد المروزي عن أبي العباس ابن شريح عن أبي سعيد الأماطي عن أبي إسحاق إبراهيم المزني عن الإمام الأعظم محمد بن إدريس الشافعي المطلببي القرشي عن الإمام مسلم بن خالد الزنجي عن محمد بن جريج عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن سيدنا ومولانا محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين. انتهى.

شيوخ الإمام الشعراني في الطريق الصوفي

فلما تبهر في علوم الشريعة إلى هذا الحد والوصف لقيه رجل من أكابر أولياء الله تعالى بعصره وهو سيدي أحمد البهلول الذي زوجه بطريق الكشف بأول زوجاته وهي زينب بنت خليل القصبي وقال له يا عبد الوهاب يكفيك ما جمعت من معرفة علوم الشريعة واطلب لك شيخاً يرشدك إلى طريق الله عز وجل يوصلك لحضرة ربك.

سيدي علي الخواص^(١)

فشرع سيدي عبد الوهاب ﷺ في التماس شيخ له واستشار غالب أصحابه ومشايخه في علوم الشريعة وغيرها في شيخ من مشايخ العصر ومسلكي أهله يأخذ عنه طريق الصوفية فأجمع رأي الغالب منهم على أن يأخذ العهد على سيدي علي الخواص ﷺ لأنه كان عارفاً بالله تعالى وصاحب تصريف كامل في مصر وقراها. وكان ﷺ يجتمع برسول الله ﷺ يقظة ومشافهة على مصطلح الصوفية ويراجعه في أموره كلها.

(١) انظر ترجمته بالطبقات الكبرى ص ٧٥٨، ط الآداب.

وكان ﷺ إذا رأى أنفَ إنسان يعرف جميع ما انطوت عليه ذاته من الحسنات والسيئات.

وكان ﷺ إذا رأى ليقة الدواة يعرف جميع ما يكتب منها من الكلمات والحروف وأول حرف يوضع من الدواة وآخر حرف يكتب منها إلى أن يفنى المداد.

وكان ﷺ إذا رأى الميضة التي يتوضأ منها الناس يعرف جميع ما سقط فيها من الخطايا على التعيين من كبائر وصغائر ومكروهات وخلاف الأولى ويميز بين غسالة كل ذنب وبين غسالة ذنب آخر.

وكان ﷺ مطمح بصره اللوح المحفوظ لا ينقل خبراً إلا عنه فكان ﷺ لا يخطئ في شيء مما أخبر به أبداً، وكذلك علومه كلها، وكان ﷺ لا ينقلها إلا عن اللوح المحفوظ.

وكان شيخه سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ له سباط في كل سنة يعمله على سد أجوج ومأجوج ويحضر فيه سائر الأولياء والأحياء والأموات ويأكلون منه فلما ورث سيدي علي الخواص مقام شيخه بعده عمل السباط على السد كشيخه فحضر سباطه سائر الأولياء والشهداء والأنبياء والمرسلين فزاد سباطه على سباط شيخه حضور من ذكر فيه وهم الشهداء والأنبياء والمرسلون. وكان ﷺ من الأولياء العلماء الراسخين في العلم لما تقدم نفعا الله ببركاته آمين.

ولما اجتمع به سيدي عبد الوهاب قال له سيدي علي الخواص ما تريد؟ قال أريد السلوك إلى طريق الله عز وجل فقال: ما صنعتك؟ قال أطلب العلم.

فقال له: عندك كتب كثيرة؟ قال نعم. فقال: لمن تنتسب؟ قال: للسلطان أحمد بتلمسان المغرب. فقال له: ما الأصل في نسبك الأعلى؟ قال: أنتسب لابن الحنفية ابن الإمام علي. فقال له: سلطنة وشرف وفقر^(١) لا يجتمعن. فقال له: أفوت ماعدا

(١) المراد بالفقر ههنا: التصوف، فهو من جملة أسماؤه.

الفقر. فقال له: ومرادك طريق الصوفية؟ فقال: نعم. قال له: اذهب وبع كتبك كلها وتصدق بأثمانها وتحضر إليّ.

فقال: سمعاً وطاعة. ثم شرع في بيع كتبه فباعها كلها ماعدا شرح الجلال المحلى على المنهاج عز عليه بيعه لكثرة الكتابات عليه وخدمته وقراءته على المشايخ ثم حضر له العقل الذكي وقال لنفسه كيف ما أفوت طريق الوصول إلى حضرة ربي بكتاب ثم باعه وتصدق بأثمانها كلها.

وجاء إلى سيدي علي الخواص. فقال: بعته؟ فقال: نعم. فقال له: اذهب واترك طلب العلم سنة كاملة ولا تحضر مجلس علم ما، وتحضر إليّ بعد العام، فامثل لأمره وترك العلم وأهله سنة، ثم حضر له بعدها فقال له: بقيت فارغاً والفارغ يملأ ولا يتغير ما فيه.

ثم أجلسه بين يديه ولقنه الذكر وأخذ عليه العهد وأعطاه الورد وقال له يا عبد الوهاب لا يفتح عليك إلا بروضة المقياس فاذهب إليها في غد بالدواة والقرطاس وانتظر الفتح الإلهي فلما أصبح سيدي عبد الوهاب أخذ الدواة والقرطاس وتوجه إلى روضة المقياس وجلس فيها فإذا بباب علم من علوم الله عز وجل فتح في قلبه فكتب نحو سبعة كراريس من عين قلبه وجاء بها وعنده فرح شديد وعرضها على شيخه سيدي علي الخواص رحمته الله فقال له سيدي علي الخواص شيخه: هذه كلها ناشئة عن فكر وتأمل فامحها بالماء فمحها ثم قال له شيخه توجه في غد إلى روضة المقياس أيضاً وانتظر الفتح الإلهي ففعل مثل الأول وعرضها على شيخه أيضاً فقال مثل ما قال في الأول.

ثم قال له توجه أيضاً. فتوجه سيدي عبد الوهاب ثالث يوم إلى روضة المقياس وأنتظر الفتح الإلهي. ففتح الله تعالى عليه بعلم آداب العبودية. فلما عرضه على شيخه لقد تم أمرك وعلا قدرك وشاع ذكرك روى قلبك عن ربك فاكتب ما شئت.

ثم إن سيدي عبد الوهاب سمي هذا الكتاب «الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية». وهو أول مؤلفاته. وهو موجود إلى وقتنا هذا وعلوم هذا الكتاب جمعت سائر العلوم لأن من علم آداب العبودية علم حقوق الربوبية والكونان ما فيها الأرب واحد ولكل منهما أدب واحد. فبهذه العلوم أوصله شيخه سيدي علي الخواص رحمه الله لحضرة معرفة الله تعالى الخاصة والأدب الكامل ولم يحوجه إلى غيره.

قال سيدي عبد الوهاب في كتابه «الدر المكنون والجوهر المصون» - ومن خطه نقلت -

فهذه درر التقطتها وجواهر استخرجتها حين غطست في بحر علوم سيدنا ومولانا الشيخ الإمام الكامل والراسخ المحقق من تحقق من رسول الله ﷺ بالوراثة التامة والصدقية الكبرى والعبودية الخالصة التي لا يشوبها ربوبية ولا هوى، شيخنا وقدوتنا إلى الله تعالى مولانا نور الدين علي الخواص أعاد الله علينا وعلى المسلمين من بركاته وبركات علومه في الدنيا والآخرة آمين. وغطست في بحر علومه ﷺ خمس مرات، فلما أردت أن أغطس فيه السادسة استحال البحر حجراً، ولما غطست وجدت في كل مرة صيداً من خزائن علومه ﷺ.

ففي المرة الأولى وجدت خزانة على بابها قفل ففتحتها بقول لا إله إلا الله فوجدت فيها جملة العلوم التي برزت من اللوح المحفوظ إلى جميع هذا العالم على اختلاف طبقاته من الصديقية الكبرى إلى آخر درجات الولاية مشتملة على علوم لا تحصى إلا بتعريف من الله عز وجل مكتوب على كل علم اسمه فأخرجت جميع تلك العلوم وجعلتها عندي في ذخيرتي.

فلما غطست الثانية وجدت خزانة أخرى على بابها قفلان ففتحتها بسم الله فوجدت في الخزانة جملة من آيات القرآن العظيم من أول سورة الحمد إلى آخر القرآن ووجدت تفسير كل آية من تلك الآيات مكتوباً تحتها فأخرجتها ووضعتها في الذخيرة بجانب علوم الخزانة الأولى.

فلما غطست الثالثة وجدت خزانة أخرى عليها ثلاثة أقفال ففتحتها بالرحمن الرحيم فوجدت فيها جملة من الأحاديث النبوية ووجدت شرح كل حديث بجانبه فأخرجتها ووضعتها في الذخيرة بجانب آيات الخزانة الثانية.

فلما غطست الرابعة وجدت خزانة أخرى عليها أربعة أقفال ففتحتها بحسبنا الله ونعم الوكيل فوجدت فيها علم التأويل فأخرجت منه جملة صالحة خاصة بتأويل كلمات أخذت عن الكمل من أهل الله تعالى ووضعتها قريباً من أحاديث الخزانة الثالثة.

فلما غطست الخامسة وجدت الخزانة الخامسة وليس على بابها قفل ففتحتها بسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فوجدت فيها جملة صالحة من حقائق متفرقة تقبلها العقول ولا تنكر منها شيئاً فأخرجتها ووضعتها بجانب علم التأويل ثم غلقت باب ذخيرتي ووضعت عليه عشرة أقفال ولم يقع بصر أحد على ما أخرجته ولا ما ادخرته ولم أعلم بذلك أحداً ولا أطلعته لعدم الأمن عليه من منكر حتى جاءني وارد الحق ثانياً على لسان هاتف ثانياً وثالثاً وقال أما تعلم أن الجنة حرام على كل بخيل فحينئذ انشرح صدري وقوى عزمي على إفشائها ورقمها في السطور وسطرتها على ترتيب ما وجدت حرقاً بحرف ورأيت مكتوباً على ظهر باب كل خزانة باب كذا باب كذا إلا الخزانة الخامسة فلاني وجدت على بابها خاتمة فترجمتها كما رأيتها.

قال ﷺ:

إن بحر علوم شيخنا ﷺ لا يدرك له القرار ولذلك قصدت حين غطست فيه المواضع القريبة من الساحل رفقاً بالسامعين إذ الغور في ذلك لا مرقى لغالب الأولياء فضلاً عن غيرهم.

واعلم أن مبنى جميع علومه ﷺ يعني سيدي علياً الخواص على الكشف الصحيح والتعريف الإلهي لا مدخل للفكر والنظر فيها بوجه من الوجوه

وبعضها من الوجه الخاص الذي بين كل عبد وبين ربه عز وجل يخاطب منه ربه بارتفاع الوسائط ويقول إياك نعبد وإياك نستعين ومن هذا الوجه أخذ الخضر عليه الصلاة والسلام علمه الذي وقع فيه من موسى عليه الصلاة والسلام الإنكار عليه ولو كان علم الخضر المذكور مما جاء بواسطة الملك لم يقع فيه إنكار.

واعلم أن جملة المنازل التي ينزلها الأولياء وتخلع عليهم علومها مائة ألف منزل وأربعون ألف منزل ماعدا منزل الخضر عليه الصلاة والسلام فإنه دون منزل الرسالة وفوق منزل الصديقية الكبرى فلا بد لكل من حق له قدم الولاية الكبرى أن ينزل جميع هذه المنازل ويخلع عليه في كل منزل منها من العلوم والمعارف والآداب ما لا يحصى لأحد من الخلق.

قال سيدي عبد الوهاب «قال شيخنا سيدي علي الخواص ؑ، ولما أدخلت المنزل الأول، خُلِعَ عليّ فيه مائتا ألف علم وسبعة وأربعون ألف علم وتسعمائة وتسعة وتسعون علماً.

قال سيدي عبد الوهاب ؑ «فإذا كان هذا في منزل واحد فكيف بجميع ما ذكرناه من المنازل»؟! قال سيدي عبد الوهاب وكان شيخنا سيدي علي الخواص ؑ يقول «من الأولياء - ويعني نفسه - من يعطيه الله تعالى علم حكمة كل حرف تكرر في القرآن العظيم ومنه من يعطيه الله تعالى من العلم والقوة ما يقدر به على تخريج جميع أحكام القرآن وجميع الكتب المنزلة من أي حرف شاء منه «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم».

قال سيدي عبد الوهاب «وقد كنت ألقت فيما مضى من الزمان كتاباً سميته «تنبيه الأغبياء على قطرة من بحر علوم الأولياء» ذكرت فيه نحو أحد وسبعين ألف علم ثم رأيت غالب العقول تحيرت منه ولم تحصل منه فهم شيء من العلوم المذكورة فيه فغسلته في البحر واكتفيت عنه بما سأذكره في هذا الكتاب من العلوم فإن القصد بذلك تنبيه إخواننا على غزارة علم أهل الله تعالى ليقبل منهم الإنكار عليهم». انتهى.

فانظر هذه الفضيلة لسيدي علي الخواص رحمه الله نفعنا الله ببركاته والمسلمين آمين.

مات سيدي علي الخواص رحمه الله في سنة خمس وأربعين وتسعمائة^(١) ودفن بضريح شيخه سيدي محمد أبي البركات الخياط^(٢) بالحسينية خارج باب الفتوح من مصر المحروسة وكان شيخه رحمه الله يقول له: يا علي لا يشتهر هذا الضريح والمزار إلا بك.

فكان الأمر كما قال له شيخه وأن المزار الآن لا يعرف إلا بسيدي علي الخواص من حين دفن فيه مع أنه لم يَبْنِ هذا الضريح إلا لسيدي محمد أبي البركات، ولم يَدْفن فيه سيدي علي الخواص إلا بعد شيخه المذكور رحمة الله عليهما آمين.

سيدي علي المرصفي

ومن مشايخه مولانا الشيخ علي المرصفي العمرى كانوا يشبهونه بالجنيدي زمانه وكان رحمه الله من الأئمة الراسخين في العلم وله المصنفات النافعة في طريق الصوفية واختصر رسالة القشيري رحمه الله وتكلم على مشكلاتها.

قال سيدي عبد الوهاب وقرأتها عليه بعد قراءتها على شيخ الإسلام زكريا الأنصاري فكنت أعرض عليه ما سمعته من شرح شيخ الإسلام زكريا لها فيقره ويمدحه ويقول لي: الذي أراه أن الشيخ زكريا من العارفين ولكنه تستر بالفقه. انتهى.

(١) هكذا في الأصول وصوابه في شهر جمادى الآخرة من سنة ٩٣٩ كما ذكره الإمام الشعراني في مخطوط الطبقات الوسطى وهو أعلم بشيخه وتابعه عليه المناوي في طبقاته والخزى في كواكبه. وأما قول الإمام الشعراني في الكبرى: «وكان - سيدي علي الخواص يقول ونحن في سنة إحدى وأربعين وتسعمائة: جميع أبواب الأولياء ترحزحت للخلق وما بقي الآن مفتوحاً إلا باب رسول الله ﷺ فأنزلوا كل ضرورة حصلت لكم به ﷺ» الطبقات ص ٧٦٢ - فمشكل بالنظر إلى ما تقدم.

(٢) الثابت أن «بركات» اسم لا كنية. وليس في طبقات سيدي الشعراني ولا المناوي أن «بركات» جزء من كنية. ولعل صوابها أبو محمد بركات فيصير كنيته «أبو محمد» وبركات اسمه، وتوفي سنة ٩٢٣ هـ. الطبقات الكبرى ص ٧٣٨ ط الآداب.

كان سيدي علي المرصفي رحمه الله في بداية أمره أمياً واجتمع بسيدي مدين رحمه الله وهو ابن ثمان سنين ولم يأخذ عنه الطريق فلما كبر اجتمع بسيدي محمد ابن أخت سيدي مدين المذكور وأخذ عنه الطريق واجتمعت عليه الفقراء في مصر وقراها حتى صار هو المشار إليه فيها وسموه جنيد^(١) عصره وكان من شأنه رحمه الله إذا كان يتكلم في دقائق الطريق وحضر أحد من غير أهل الطريق ينقل الكلام إلى مسائل الفقه إلى أن ينصرف الغريب من أهل الطريق ويقول ذكر بين غير أهله عورة.

قال سيدي عبد الوهاب لقني سيدي علي المرصفي الذكر ثلاث مرات:

«الأولى»

جئت إليه وقلت له: لقني الذكر بحال قوي فقال بسم الله يا ولدي وأطرق رأسه ساعة ثم قال قل لا إله إلا الله فما استتمها الشيخ علي المرصفي حتى غبت عن إحساسي فما استفتت إلا في وقت المغرب ولم أجد عندي أحداً فمكثت خمس عشرة سنة لا أستطيع الاجتماع عليه لسوء أدبي معه من قولي له لقني الذكر بحال قوي.

«الثانية»

أني جئته فلقني الذكر فسمعت منه لا إله إلا الله ثلاث مرات ثم غبت كذلك ثم رأيت في تلك الليلة كأن الشيخ بيده ثلاث ميابر فغرزها في خدي إلى آخرها فلما أصبحت ذكرت ذلك له، قال الحمد لله الذي أظهر^(٢) فيك أثرها.

«الثالثة»

لقني الذكر حين لقن الشيخ أبا العباس الحريشي رحمه الله لكونه كان أصفى قلباً مني وأكبر سناً وأعرف بمقام الرجال ثم لازلت أتردد عليه مدة حياته.

(١) بالأصول: «جنيد»، وهي لغة دارجة.

(٢) وبالأصل: «ظهر».

وذكر سيدي أبو العباس الحريشي عن نفسه لسيدي عبد الوهاب أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات. فذكر ذلك سيدي عبد الوهاب لشيخه سيدي علي المرصفي. فقال سيدي علي المرصفي: الفقير^(١) وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة في كل درجة ألف ختمة.

فقال له سيدي عبد الوهاب بالحرف والصوت؟ فقال نعم، مد الله تعالى لي في الزمان إكراماً لرسول الله ﷺ لكوني من أتباعه.

وكان سيدي علي المرصفي رحمه يقول: ما جلست لتربية المريدين إلا بإذن من الله عز وجل على لسان رسول الله ﷺ في بعض الوقائع.

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني وكنت إذا وقع بصري عليه أمثله بالشمس في الدنيا وبالجبل الراسي في مصر لا تزلزله الرياح.

مات رحمه في سنة نيف وثلاثين وتسعمائة^(٢) ودفن بزاويته بقنطرة الأمير حسين بمصر المحروسة وقبره بها ظاهر يزار.

قلت وزرته كثيراً فالحمد لله رب العالمين والله أعلم. قال سيدي عبد الوهاب لما رجعنا من جنازته صارت مصر وقراها مظلمة قليلة النور كوقت الغيم فرأينا أن ذلك النور كان نور سيدي علي المرصفي رحمه الله عليه.

وكذلك الشيخ محمد الشناوي الأحدي رحمه الآتي ذكره في آخر المشايخ إن شاء الله تعالى لم يحوجوه إلى غيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

طائفة أخرى من شيوخ الإمام الشعراني رضي الله تعالى عنهم

والشيخ محمد بن عنان، والشيخ عبد الحلیم بن مصلح، والشيخ نور الدين الشوني المدفون بباب زاوية الشيخ، والشيخ شهاب الدين النشيلي، والشيخ عبد القادر

(١) يعني بالفقير نفسه رضي الله تعالى عنه وعنا به.

(٢) وذكر الغزالي أنه توفي كما نقله من تاريخ العلائي سنة ٩٣٠ هـ.

الدشوطي، والشيخ محمد المغربي الشاذلي، والشيخ أبو العباس الغمري، والشيخ أبو الحسن الغمري ولده، والشيخ نور الدين الحسني، والشيخ علي النبتيتي، والشيخ علي بن الجمال، والشيخ عبد القادر بن عنان، والشيخ محمد العدل، والشيخ محمد بن داود، والشيخ محمد أبو البركات، والشيخ محمد بن أبي الحمائل السروي، والشيخ تاج الدين الذاكر، والشيخ أبو السعود الجارحي، والشيخ محمد بن المنير، والشيخ أبو بكر محمد الشربيني، والشيخ أحمد السطيحة، والشيخ علي الذويب، والشيخ محمد دمرداش المحمدي، والشيخ شاهين بالجبل المقطم، والشيخ أحمد الرومي، والشيخ أحمد الزواوي، والشيخ علي الشرنوب، والشيخ أحمد البهلول، والشيخ أفضل الدين محمد أبو الفضل^(١) الأحدي، والشيخ كمال الدين الطويل، والشيخ أمين الدين إمام جامع الغمري، والشيخ يوسف الكردي، والشيخ خضر، والشيخ عمر البجائي، والشيخ محمد الدلحي كان سيدي محمد بن عنان يجلس بين يديه كالطفل الصغير، والشيخ حسن المطراوي، والشيخ حسن الریحاني، والشيخ ناصر الدين النحاس، والشيخ شهاب الدين الجعفري، والشيخ أبو القاسم الفاسي، والشيخ إبراهيم المواهي، والشيخ أبو الفضل الوفاي، والشيخ شرف الدين الصعيدي الذي زلزل قطعة الجبل بعكازه أيام السلطان الغوري، والشيخ شمس الدين الدواخلي، والشيخ علي البحيري، والشيخ أبو النجا الفؤي، والشيخ عبد القادر النبتيتي، والشيخ حسن العراقي، والشيخ علي أبو خوده، والشيخ بهاء الدين المجذوب، والشيخ إبراهيم عصفور ويقال عصيفير بالتصغير، والشيخ محسن البرلسي، والشيخ أبو الخير الكلبياتي، والشيخ علي الشونوري، والشيخ عبيد البلقيني، والشيخ عبد الرزاق التربي، والشيخ مخلص، والشيخ صدر الدين البكري، والشيخ إبراهيم العجمي، والشيخ ناصر الدين أبو العمايم، والشيخ علي البليلي، والشيخ إبراهيم أبو لحاف،

(١) وكتابنا هذا هو الوحيد الذي ذكر اسم هذا العارف إذا تذكره بقية المصادر إما بكنيته «أبو الفضل»، وإما بلقبه «أفضل الدين»، ولعمري إن هذا لمن فوائد هذا الكتاب القيمة.

والشيخ محمد بن زرعة، والشيخ وحيش، والشيخ علي الدميري^(١)، والشيخ علي الكازواني، والشيخ أحمد الرومي، والشيخ عبد القادر السبكي، والشيخ أحمد الكعكي، والشيخ علي الهندي، والشيخ محمد الصوفي، والشيخ سليمان الحانوتي، والشيخ إبراهيم الرجبى، والشيخ إبراهيم القيرواني، والشيخ عبد الرحمن المناوي، والشيخ حسن الجركسي، والشيخ سويدان، والشيخ خال القلعي^(٢)، والشيخ علي الدميري، والشيخ شعبان، والشيخ عبد المتعال، والشيخ حسن بن ابريق، والشيخ عبد الودود والشيخ علي الأتمدي، والشيخ عبد القادر الشاذلي، والشيخ قاسم المغربي القصري، والشيخ يوسف الهندي الشريف، والشيخ جلال الدين البكري الصديق، والشيخ أبو الحسن البكري، والشيخ علي النجار المقيم بباب سعادة، والشيخ محمد الشناوي الأحمدى العباسي الشافعي الأشعري رضي الله عنهم أجمعين.

قلت أخذ عن هؤلاء كلهم الأدب والطريق وعلمي الشريعة والحقيقة وكان تمام تربيته وفطامه على يد ثلاثة أشياخ من هؤلاء كلهم ولم يحوجوه إلى غيرهم وهم سيدي علي الخواص، وسيدي علي المرصفي، وسيدي محمد الشناوي الأحمدى.

سند الإمام الشعراني في الطريق وترجمة سيدي محمد الشناوي

قال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تلقنت الذكر وأخذت العهد ولبست الخرقة وأجزت بتلقين الذكر وأخذ العهد وتربية المريدين والمشي تحت السيارة في شهر ربيع الأول من شهور سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة على يد سيدي محمد الشناوي، ولما لقنني الذكر وأخذ عليّ العهد وأدبني تمثل بهذا البيت وأنشد^(٣) يقول:

أَهِيْمُ بِلَيْلِي مَا حَيْتُ وَإِنْ أُمْتُ أَوْكُلُ بِلَيْلِي مَنْ يَهِيْمُ بِهَا بَعْدِي

(١) تكرر هذا الاسم مرتين في هذا السياق وأثبتناه مرة واحدة.

(٢) مكرر في الأصل.

(٣) بالأصول «أنشأ» وما أثبتناه من الطبقات الكبرى وبحقيق عبد الرحمن حسن محمود.

وكان ذلك كله بحضور جمع عظيم في مولد شيخه سيدي محمد بن أبي
الحمائل السروي بمصر المحروسة.

وكان من جملة الحاضرين الشيخ شهاب الدين بن حجر الهيثمي الشافعي
المدفون الآن بمكة المشرفة، والشيخ أحمد السواح، وأخوه الشيخ علي أولاد الشيخ
عبد الرزاق بكوم النجار بالغربية.

فقال بصريح لفظه: اشهدوا عليّ كلكم أني أذنت لولدي هذا عبد الوهاب أن
يلقن الذكر ويربي المريدين ويلبسهم الخرقة على سبيل التشبه بالقوم. قال ثم سافر
صباح تلك الليلة وهو مريض.

فقلنا خاطرك علينا فلعل ذلك آخر العهد. فقال لا بد من الاجتماع فدخلت
عليه وهو محتضر في محلة روح، ففتح عينيه لي وقال: أسأل الله تعالى أن يترك بين يديه
فمات تلك الليلة ﷺ في سنة اثنتين وثلاثين وتسعمائة من الهجرة النبوية في مدة
السلطان سليمان ابن السلطان سليم.

ثم فشا مع الناس بأن الشيخ الشناوي أذن لي فجاءوا إليّ من مصر أفواجا
أفواجا يطلبون مني التلقين فشاورت شيخي وأستاذي الشيخ الكامل في سائر العلوم
والمعارف سيدي علياً الخواص فقال لي لا تفعل فإن هذا زمان قد قل فيه الصدق
وطلب الطريق ثم أنه غلب عليّ جماعة وسألوني لله تعالى التوفيق أن ألقنهم فلقنهم
الذكر فلم يفلح منهم غير واحد

قلت وهو سيدي محمد بن الترجمان^(١)، والله أعلم.

وقوله فلم يفلح غير واحد يعني الذين تلقنوا بعد نهي سيدي علي الخواص،
وأما قبل نهي فتلقن عليه جماعة وأفلحوا فالحمد لله رب العالمين. قال وكانوا ثلاثين
نفساً، يعني الذين سألوه في تلقينهم الذكر تصديقاً لكلام سيدي علي الخواص ﷺ.

(١) انظر ترجمته في الباب الرابع من كتابنا هذا.

وقد كان سيدي محمد بن أبي الحماثل السروي رحمه الله يقول لقنت نحو عشرة آلاف نفس فلم يفلح منهم أحد غير سيدي محمد الشناوي رحمه الله. انتهى.

قال مع أني قلت لسيدي محمد الشناوي لما أذن لي يا سيدي لست بأهل لمثل ذلك فقال: لا يا ولدي بل أنت أهل له وقد أذن لك فإن انشرح صدرك للجلوس للطريق فقد صار معك الإذن وإن لم ينشرح صدرك لذلك لفقد الشروط فأنت أعلم بالحال إذ ذاك.

وقال الشناوي له: أنا فعلت ذلك معك خوفاً عليك من أن تجلس بلا إذن فتكون لقيطاً في الطريق ولو بالاسم فقط وقد يزرع الشيخ في قلب المريد زرعاً فلا^(١) يثمر إلا بعد موته وقد يرضع الشيخ طفلاً ويكون فطامه على يد غيره. انتهى.

وقال سيدي عبد الوهاب وهذه النعمة من أكبر نعم الله تعالى على إذ سترني بين العباد بهذا الإذن من هذا الشيخ فإن الجالس للطريق بغير إذن لا يصلح للطريق ولا للأدب.

قال وقد كثر هذا النوع من أهل هذا الزمان فقال فيهم من أذن له شيخه فضلوا وأضلوا بل إنهم لم يصلوا إلى مقام المريدين فضلاً عن العارفين.

وكان سيدي علي الخواص رحمه الله يقول: مثال من يفتح باب المشيخة في هذا الزمان مثال من يفتح المكتب لقراءة الأطفال عصر يوم الخميس ويتنظر مجيئهم للقراءة أو مثال من يريد تقطير جمال الحجاج في جملة إذا رجعوا ورأوا نخيلها فلا يجيبه أحد منهم لذلك بخلافهم في ابتداء السفر فإنهم يسألونه في ذلك ويبذلون له الدراهم والهدايا حتى يقبلهم يقطرون معه ويشكرون فضله وإحسانه على ذلك وهذا مثال الزمن الأول في المريدين والمشايع رحمة الله عليهم أجمعين.

قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله وكان سيدي محمد الشناوي رحمه الله من أولياء الله تعالى الراسخين في العلم من أهل الإنصاف والأدب في أولاد الفقراء وكان رحمه الله قد

(١) بالأصول: «فلم».

أقامه الله تعالى في حوائج الناس ليلاً ونهاراً وربما يمكث نحو الشهر ينظر إلى بلده ولا يمكنه الطلوع إليها وهو في حوائج الناس.

وكان أهل الغربية لا يعملون مُهماً حتى يحضروه فيه تبركاً، وكان ﷺ يقول: أشعلنا نار التوحيد في هذه الأقطار فما تنطفئ إلى يوم القيامة.

وكان ﷺ قد جعل بهائمه وحبوبه على اسم المحاويج لا يختص منهم بشيء. وكان ﷺ لا يقبل هدايا العمال ولا المباشرين ولا أرباب الدولة وأهدى له نائب مصر قاسم كزل باشا أصوافاً وشاشات ومالا فردده عليه وقال للقاصد: الفقراء أغنياء الله غير محتاجين لغيره، وعزة الله تعالى عندي جِلَّةُ البهائم خير من هديتك هذه ولا تعد تأتيني بشيء أبداً.

وكان ﷺ لم يزل في مقاعده جبائر القطن ملصقة من كثرة الركوب في حوائج الناس، قال وما رأيت أوسع خلقاً منه رحمه الله تعالى.

سند سيدي محمد الشناوي في الطريق

وتلقن سيدي محمد الشناوي على والده سيدي علي وسيدي علي تلقن على والده سيدي أحمد وسيدي أحمد تلقن على والده سيدي نور الدين علي وسيدي نور الدين علي تلقن على سيدي عبد الله وسيدي عبد الله تلقن على جده سيدي عمر الأشعث السطوحي وسيدي عمر الأشعث السطوحي تلقن على شيخه الحسيب النسيب القطب العلوي سيدي أحمد البدوي وتلقن سيدي أحمد البدوي على سيدي بري وسيدي بري تلقن على الشيخ أبي نعيم والشيخ أبي نعيم تلقن على شيخ الشيوخ سيدي أحمد بن الرفاعي وسيدي أحمد بن الرفاعي تلقن على الشيخ أحمد الواسطي والشيخ أحمد الواسطي تلقن على الشيخ أبي الفضل كامخ والشيخ أبو الفضل كامخ تلقن على الشيخ ابن علام والشيخ ابن علام تلقن على الشيخ علي بن بارباي والشيخ علي بن بارباي تلقن على الشيخ علي العجمي والشيخ علي العجمي تلقن على أبي بكر

الشبلي وأبو بكر الشبلي تلقن على شيخ الطائفة الصوفية الإمام أبي القاسم الجنيد والإمام أبو القاسم الجنيد تلقن على خاله الإمام سري السقطي والإمام سري السقطي تلقن على الإمام معروف الكرخي والإمام معروف الكرخي تلقن على الإمام الطائي والإمام داود الطائي تلقن على الإمام الحسن البصري والإمام الحسن البصري تلقن على الإمام علي بن أبي طالب والإمام علي بن أبي طالب تلقن على سيد المرسلين وسيد المرسلين تلقن على أخيه جبريل عليه السلام وأخوه جبريل تلقن كلمة التوحيد من الله عز وجل في بعض التجليات الإلهية.

سند الإمام الشعراني في خرقة التصوف

وأما سند لبس الخرقة فقال سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله: اعلم يا أخي أني لبست الخرقة وهي طاقية من قطن من يد سيدنا ومولانا شيخ الإسلام أبي زكريا الأنصاري وهو لبسها من يد سيدي محمد الغمري الواسطي وهو لبسها من يد الشيخ أحمد الزاهد وهو لبسها من يد سيدي حسن التستري^(١) وهو لبسها من يد سيدي يوسف العجمي وهو لبسها من يد الشيخ محمود الأصفهاني وهو لبسها من يد سيدي عبد الصمد التطري وهو لبسها من يد الشيخ نجيب الدين علي بن برغوش الشيرازي وهو لبسها من يد الشيخ شهاب الدين عمر السهروردي وهو لبسها من يد عمه أبي النجيب السهروردي الشهير بعمويه وهو لبسها من يد الشيخ أحمد الدينوري وهو لبسها من يد الشيخ عمشاد الدينوري وهو لبسها من يد الإمام أبي القاسم الجنيد البغدادي وهو لبسها من يد أبي جعفر الحداد وهو لبسها من يد أبي عمر الإصطخري وهو لبسها من يد شقيق البلخي وهو لبسها من يد إبراهيم بن أدهم وهو لبسها من يد موسى بن يزيد الراعي وهو لبسها من يد الإمام أويس القرني وهو لبسها من يد سيدنا عمر بن الخطاب وسيدنا علي ابن أبي طالب بأمر النبي صلى الله عليه وآله لها بذلك قبل وفاته صلى الله عليه وآله.

(١) بالأصول: «الشستري»، وانظر ترجمته في الطبقات الكبرى ص ٥٧١.

وعمر وعلي رضي الله عنهما لبساها من يد رسول الله ﷺ، لبسها من يد جبريل عليه السلام في بعض الإسراءات السماوية. انتهى.

قلت إن الخرقة لا تختص بالطاقيّة وإنما المراد بها الأثر ولو قميصاً أو رداء أو جبة أو عمامة أو صوفة وفي إلباسها للمريد أو خلعها عليه إشارة إلى خلع العلوم والمعارف مع الأثر على المريد وإمداده بها ظاهراً وباطناً، والله تعالى أعلم.

الطرق التي تلقاها الإمام الشعراني

وأخذ سيدي عبد الوهاب الطرق كلها عن مشايخه المتقدمين رضي الله عنهم أجمعين وهي طريقة الرفاعية، وطريقة القادرية، وطريقة الأحمدية، وطريقة البرهانية، وطريقة الشاذلية، وطريقة السهروردية، وطريقة النقشبندية، وطريقة الجشتية، وطريقة الوفاية، وطريقة القشيرية^(١)، وطريقة المدينية، وطريقة الفردوسية، وطريقة الخلوتية، وطريقة الأويسية^(٢)، وطريقة الهمدانية، وطريقة الطيفورية، وطريقة الشطارية، وطريقة الخضرية، وطريقة الأدهمية، وطريقة العزيزية، وطريقة السعودية^(٣)، وطريقة المصافحة، وطريقة الطيلسان، وطريقة الرداء، وطريقة المشرر، وطريقة إرخاء العذبة.

وكل طريقة من هذه الطرق لها سند متصل من الشيخ عبد الوهاب الشعراني إلى شيخ تلك الطريقة إلى رسول الله ﷺ إلى الله عز وجل بواسطة جبريل عليه السلام. وإنما لم أذكر هنا سند كل طريقة من هذه الطرق خوف الإطالة ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابي المسمى «سرور القلب وقرّة العيون في بيان نسب الأدب لا نسب»^(٤) الظهور والبطون^(٥) فإن فيه ما يشفي الصدور ويقر العيون فالحمد لله رب العالمين.

(١) بالأصول: «الكشيرية».

(٢) بالأصول: «الأويسية».

(٣) نسبة إلى سيدي أبي السعود بن أبي العشائر المتوفى سنة ٦٤٤ هـ والمدفون بسفح المقطم قرب السادة الوفاية.

(٤) في الأصل: «في نسب» وما أثبتناه أنسب سياق.

(٥) قال العلامة عبد الحي الكتاني في فهرس الفهارس عن هذا الكتاب هو من أندر الكتب في بابه ج ٢ / ١٠٥١.

مؤلفات الإمام الشعراني

ولما كمل حاله ﷺ في هذه الطرق كلها على يد مشايخه المتقدمين شرع ﷺ في تأليف هذه الكتب النفيسة الآتي بيان بعضها قريباً التي تزيد على ثلاثمائة كتاب في الشريعة وآلاتها منها كتاب فرائد القلائد في علم العقائد، وكتاب مختصر فرائد القلائد في علم العقائد، وكتاب منهاج الوصول إلى علم الأصول، وكتاب لباب الأعراب المانع من اللحن في السنة والكتاب، وكتاب أدب المرید الصادق مع من يريد الخالق، وكتاب النور الفارق بين المرید الصادق وغير الصادق، وكتاب مختصر الهدى النبوي، وكتاب الاقتباس في علم القياس، وكتاب وصايا العارفين لعوام التجار والفقراء والمؤمنين، وكتاب البروق الخواطف لبصر من عمل بالهواتف، وكتاب مفحم الأكباد في مواد الجهاد، وكتاب لوائح الخذلان على من لم يعمل بالقرآن، وكتاب التبع والفحص على حكم الإلهام إذا خالف النص، وكتاب مختصر المدونة للإمام مالك، وكتاب الأسئلة والأجوبة، وكتاب منهج الصدق والتحقيق في تفليس غالب مدعي " الطريق وكتاب لواقع الأنوار في طبقات الأخيار وهي الكبرى، وكتاب لواقع الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية وهي الوسطى، وكتاب الطبقات الصغرى، وكتاب ذيل الطبقات الوسطى خلافاً لمن ظن أنه ذيل الطبقات الكبرى"، وكتاب لطائف المنن والأخلاق في وجوب التحدث بنعمة الله على الإطلاق وهي الكبرى، وكتاب المنن الوسطى، وكتاب المنن الصغرى، وكتاب السر المرقوم فيما اختص به أهل الله من الأخلاق والعلوم، وكتاب الجوهر المصون في علوم كتاب الله المكنون، وكتاب الجوهر المصون فيما تنتجه الخلوة من الأسرار والعلوم، وكتاب المفاخر والمآثر في بيان علماء القرن العاشر، وكتاب طهارة أجسام الموحدين من سوء الظن بأحد المسلمين، وكتاب المنهج المطهر للقلب والفؤاد من سوء الظن بأحد من العباد، وكتاب طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالسعداء من العباد، وكتاب مختصر المعجزات

(١) بالمخطوط: «مدعين»، وهو لحن ظاهر.

(٢) وما ذكره المؤلف هنا هو الصواب.

والخصائص، وكتاب الأجوبة عن الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين، وكتاب بهجة الأبصار والفهوم فيما تميز به أهل الله من الأخلاق والعلوم، وكتاب حد الحسام على من أوجب العلم بالإلهام، وكتاب المنهج المبين في بيان أخلاق العلماء والصالحين، وكتاب وصايا العارفين، وكتاب وصايا العارفين المقتبسة من حضرة رب العالمين، وكتاب الدرر المضيئة في بيان الأخلاق المتبولية، وكتاب الدرر السنية شرح الوصية المتبولية، وكتاب الجواهر والدرر، الكبرى نحو مجلدين، وكتاب الجواهر والدرر ست مؤلفات غير الأولى كل كتاب منها على غير طريقة الآخر، وكتاب درر الغواص في فتاوى الخواص، وكتاب رسالة الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية وهو أول مؤلفاته بإشارة شيخه سيدي علي الخواص رحمته الله كما تقدم، وكتاب الأنوار القدسية في بيان قواعد الصوفية، وكتاب الفصول في علم الأصول، وكتاب كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان، وكتاب القول المبين في دليل لبس الخرقة والتلقين، وكتاب موازين الرجال القاصرين^(١)، وكتاب اليواقيت والجواهر في عقائد الأكابر، ألفه في شهر وعدوه من كراماته رحمته الله، وكتاب الكبريت الأحمر في علوم الشيخ الأكبر، وكتاب نسخ مبايعة اليهود والنصارى، وكتاب الأنوار القدسية في بيان عقائد الصوفية، وكتاب النفحات القدسية في بيان قواعد الصوفية وهي القواعد الوسطى، وكتاب الإشارة في شرح حديث الاستخارة، وكتاب الأخلاق الصغرى، وكتاب لواقح الأنوار القدسية مختصر الفتوحات المكية، وكتاب القواعد الكشفية لمعاني الصفات الإلهية، وكتاب الأجوبة المرضية عن أئمة الفقهاء والصوفية، وكتاب تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا، وكتاب إرشاد المغفلين من الفقهاء والفقراء إلى بيان معرفة صحبة الأمراء، وكتاب الدرر واللمع في بيان الصدق في الزهد والورع^(٢)، وكتاب مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية، وكتاب البحر المورود في الموائيق والعهود وهي عهود المشايخ الكبرى، وكتاب البحر المورود في الموائيق

(١) أورده بروكلمان باسم «موازين القاصرين من الرجال».

(٢) طبع بتحقيق الفقير محمد نصار وأحمد المزيدي وصدر عن دائرة الكرز ٢٠٠٥.

والعهود الوسطى، وكتاب البحر المورود في الموائيق والعهود وهي العهود الصغرى^(١).

قلت ولما ألف سيدي عبد الوهاب هذه الكتب الثلاثة التي ذكر فيها عهود مشايخه التي أخذوها عليه قال له الحسدة: المشايخ لم تأخذ عليك ولا على غيرك من المريدين هذه العهود كلها ولا بعضها وإنما تقولت هذه العهود عليهم، فشرع بعد هذا القول منهم في تأليف كتاب مشارق الأنوار القدسية في بيان العهود المحمدية المتقدم وقال فيه: أخذ علينا العهد العام من رسول الله ﷺ كذا وكذا في كل عهد ذكره في هذا الكتاب رداً عليهم فيما أنكروه عليه من أخذ مشايخه عليه هذه العهود التي ذكرها في كتابه البحر المورود وأيد قوله بأحاديث كتاب الترغيب والترهيب لابن المنذر ثم اختصره، والله أعلم.

وكتاب البدر المنير في غريب أحاديث البشير النذير، وكتاب النور الزاهر في الأجوبة عن الأكابر والأصاغر، وكتاب الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال المجتهدين ومقلديهم إلى الشريعة المحمدية وهي الميزان الكبرى في المذاهب الأربعة أي وبعض أحكام من غيرها من المذاهب المدرسة كمذهب داود أو عائشة أو الليث أو غيرهم في بعض الأحيان، وكتاب الميزان الخضرية وهي أصل الميزان الكبرى والكبرى كالشرح لها، وكتاب ميزان العقائد الشعرانية المشيدة بالكتاب والسنة المحمدية، وكتاب الميزان الدرية المبينة لعقائد الفرق العلية، وكتاب إرشاد الطالبين إلى رسوم طريق العارفين، وكتاب إرشاد الطالبين إلى مراتب العلماء العاملين، وكتاب الميزان الشعرانية المقررة لجميع عقائد أهل السنة المحمدية، وكتاب طهارة الجسم والفؤاد من سوء الظن بالله تعالى وبالعباد وكتاب مختصر طهارة الجسم والفؤاد المذكور وهو على النصف منه، وكتاب تطهير أهل الزوايا والرواق من خبائث الطوايا

(١) وهذا غريب، ولم يرد في المصادر المعروفة أن للإمام ثلاثة كتب بهذا العنوان، ولعل السبب في ذلك الدس الذي حدث في الكتاب وكذا بعض التقديم والتأخير في نسخته. انظر مقدمة تحقيق البحر المورود لمحمد أديب الجادر ط الكتب العلمية.

والأخلاق، وكتاب طهارة الجسم والجنان من سوء الظن بالله والملائكة والجان، وكتاب الميزان الشعرانية في بيان قواعد أكابر الصوفية، وكتاب القواعد السنية في توحيد أهل الخصوصية، وكتاب الدر المكنون والجوهر المصون، وكتاب مدارج السالكين إلى رسوم طريق العارفين، وكتاب الأخلاق المتبوية المفاضة من الحضرة المحمدية وهي أكبر مؤلفات الأخلاق، وكتاب المنهج المبين في بيان أدلة مذاهب المجتهدين، وكتاب كشف الغمة عن جميع الأمة، وكتاب مختصر قواعد الزركشي، وكتاب إرشاد الطالبين إلى طريق التخلق بأخلاق العلماء العاملين، وكتاب مختصر الترغيب والترهيب، وكتاب في بيان سنده في قراءة الكتب من طريق الحافظ الجلال السيوطي، وكتاب في ذم الرأي وتبرئة الأئمة الأربعة المجتهدين منه، وكتاب مختصر عقيدة الإمام البيهقي، وكتاب بهجة النفوس والأحداق فيما تميز به القوم من الآداب والأخلاق، وكتاب مختصر تذكرة القرطبي، وكتاب مختصر تذكرة السويدي في علم الطب، وكتاب تنبيه المغترين في أواخر القرن العاشر على ما خالفوا فيه سلفهم الطاهر، وكتاب الفلك المشحون في بيان أن التصوف هو ما عليه العلماء العاملون، وكتاب وصايا الإخوان فيما يجب عليهم استعماله في هذا الزمان، وكتاب العقائد، وكتاب شرح ورد الأقطاب، وكتاب في ربح العبادات على مذاهب الصوفية، وكتاب منح المنة في التلبس بالسنة، وكتاب هادي الحائرين إلى رسوم أخلاق العارفين، وكتاب الدرر المنثورة في بيان زبد العلوم المشهورة، وكتاب الفتح المبين في بيان جملة من أسرار الدين، وكتاب في تفسير الأحلام، وكتاب تفسير القرآن على وجهي الشريعة والحقيقة لم يسبق مثله.

فهذه شردمة قليلة من مؤلفاته وهي جملة الكتب التي اطلعنا عليها في كتبه أو رأيناها وأما بقيتها فلم نطلع عليه لأن غالب كتبه سار به الركبان إلى بلاد الروم وبلاد الغرب وبلاد الشرق ومكة والمدينة والسند والهند والعجم وسائر أقطار الأرض وهذه المؤلفات أجل مراتب الشرف والسيادة له ﷺ. قال سيدي عبد الوهاب إن من خصائص كتبه أنها تسلك بغير شيخ لكل من طالع فيها وتأملها، ولا يشاركها في ذلك

كتب الصوفية التي لغيره من المؤلفين والعيان من الأعيان، يشهد بذلك وبه يعترف الجنان ممن عنده حسن إيمان^(١).

وحصل في هذه المدة القليلة هذه الكتب الكثيرة مع ما حفظه عن ظهر قلب من كتب الشريعة وآلاتها وقراءة كتب الشريعة في المذاهب الأربعة وغيرها من كتب الحديث والتفسير والعقائد والدقائق والسير والنحو والتصوف والميقات والطب وغيرها على المشايخ ومطالعتها بنفسه واختصار بعضها وجميع تأليفاته الرائقة الفائقة النافعة في علم التصوف وعلوم الشريعة التي تزيد على ثلاثمائة مؤلف منها ما هو في خمس مجلدات ضخمة وغالبها في جزئين ضخمين ودروس العلم التي كان يقرأها ﷺ في مدرسته في علم التصوف وعلوم الشريعة وآلاتها ومجالس الذكر في جميع الأوقات الخمس والشفاعات والضيافات والتزهات بجماعته والمجاورين بزوايته ترويحاً حتى يرجعوا إلى العبادة بجدة واجتهاد.

وقال بعض من اطلع على مؤلفاته لو ضبطت الكراريس من مؤلفاته وحسبت أيام حياته من ولادته إلى وفاته لزادت في كل يوم على ثلاث كراريس وهذا شيء تعجز عنه طاقة ما لم تسعفه العناية الإلهية.

وكان ﷺ لا يختص عن المجاورين عنده بشيء مما يأتي إليه وكل شيء دخل في يده من الدنيا أعطاه لهم حتى ما وقف عليه وحده فيصرفه عليهم ويأكل معهم كواحد منهم. وبلغ عدد العميان عنده في الزاوية إلى تسعة وعشرين نفساً. وبلغ الذين حفظوا القرآن بزوايته عشرين سنة نحو ألفي نفس ﷺ.

وبلغ الذين يعجنون العجين بالنوبة عشرون نفساً. وبلغ العجين عنده في كل يوم إردباً وثلاثاً. وبلغ الواردون عليه في الزاوية من الضيوف خلاف المجاورين

(١) وما يشهد لذلك أن شيخنا القطب الغوث سيدي الشيخ جودة إبراهيم النقشبندي الكائن ضريحه بمنى القمع بالشرقية كان يطيل المكث عند زيارة سيدي الشعراي خاصة وإذا سُئل في ذلك يجيب قائلاً: كتبه هي التي ربنا، هذا مع كونه قد تلقى الطريقة النقشبندية عن شيخه سيدي أحمد ضياء الدين الكمشخانوي رضي الله تعالى عنها.

السبعين نفساً وأكثر. وأجرى الله تعالى له جميع ما يحتاج إليه المجاورون وعبادهم وأولادهم في البيت فلا يحتاج إلى شراء شيء من السوق إلا في النادر وكلما كثرت أولاد المجاورين يفرح بهم كأنهم أولاده من غير فرق.

وزوج منهم نحو أربعين نفساً ووزن عنهم المهر من فضل الله تعالى عليه ويعمل لهم طعام العرس ولم يكلفهم بشيء وكثيراً ما يشتري لهم ولعبياتهم اللبان الشامي والشمع والقليل والخضاب والزينة والكحل والتوتية واللبان الحجازي والخيط والاسفيداج والنورة وغير ذلك ويفرقه عليهم لمصالحهم ومصالح زوجاتهم الظاهرة والخفية ولا يحوجهم إلى غيره أبداً.

وكان خزينه ﷺ في كل سنة من عسل النحل نحو عشرة قناطير ومن عسل القصب نحو خمسة عشر قنطاراً إلى عشرين قنطاراً ومن القمح أكثر من ثلاثمائة إردب.

وبلغ الاستمرار للقول الحار أيام الشتاء ستين إردباً ومن الكشك خمسة إردب، غير ما يأتي من الهدايا ومن الحمص والعدس والبسلة نحو خمسة وعشرين إردباً وبلغ عجين الكعك في عيد الفطر كل سنة خمسة أراذب ومن هدايا الريف نحو أربعة أراذب ومن الجوز واللوز والبندق والتمر والخرنوب والزبيب والتين اليابس نحو عشرة قناطير ومن البطيخ الهندي يعني الصيفي برسم الضيوف والمرضى والواردين نحو ألفين بطيخة صيفي تأتيه من الجزيرة الموقوفة عليه وعلى ذريته فيصير الفقراء يأكلون منه طول سنتهم ويرسل منه للمرضى إذا سألوه منه شيئاً.

طرف مما اطلع عليه ﷺ من الغيبات

وكان ﷺ قد أطلعه الله على حوادث الزمان، أطلعه على وقت رفع الأمانة من أهل الأرض جملة واحدة، وعلى وقت رفع علوم القوم الصوفية، وعلى وقت تقديم الناس أمر دنياهم على آخرتهم، وعلى وقت رفع الرحمة من قلوب الناس وكذلك الحكام، وعلى رد شفاعات العلماء والصالحين وعدم قبولها عند الحكام والأمراء وغيرهم، وعلى وقت تخرب فيه مصر، وعلى وقت ترفع فيه الزكاة جملة واحدة، وعلى وقت انقطاع طريق

الحج، وعلى وقت رفع الحكم بالشرعية المطهرة، وعلى وقت يعق فيه الولد أمه ويطيع زوجته، وعلى وقت يتسافد فيه الرجال والنساء في الشوارع كالحمير، وعلى وقت تمني الشخص أن يكون مكان صاحب ذلك القبر، وعلى وقت تبطل فيه الجمعة والجماعة والعيذان، وعلى وقت يقع فيه المسخ في هذه الأمة قردة وخنازير، وعلى وقت يرفع فيه القرآن من القلوب وعلى وقت يكون فيه واعظ القوم أرذلهم وأقلهم ديناً، وعلى وقت تجلس فيه الشياطين على الكراسي تعظ الناس وغير ذلك.

عظم جوده في كسائه الجم الغفير بأنواع الأكسية الفاخرة

وكسا عليه السلام خلقاً كثيراً لا يحصى عددهم، وكسا شيخه سيدي نور الدين عليا الشوني جوخة، وكسا سيدي أبا العباس الحريشي جبة سوداء وكسا سيدي محمد بن الغمري^(١) لما عراه اللصوص جوخة^(٢)، وكسا الشيخ شرف الدين بجامع الحاكم ثوباً بعلبكياً، وكسا الصامتي^(٣) ثوبين، وكسا الشيخ عبد الكريم خليفة المقام الأحدي صوفاً جديداً^(٤)، وكسا الشيخ أبا البقاء ولد عمه صوفاً أخضر، وكسا الشيخ عبد الحليم بن مصلح^(٥) كثيراً الأردية والقمصان والعمايم، وكسا أبا الصفا بن عنان جبة بيضاء مضرية، وكسا الشيخ شهاب بن داود الثياب والأردية كثيراً، وكسا الشيخ سالم الأحدي جبة بيضاء، وكسا الشيخ حسنا خادم قبة سيدي أحمد البدوي عليه السلام مضرية بإشارة سيدي أحمد البدوي في المنام، وكسا الشيخ حسنا الذي يملأ ميضأة سيدي أحمد البدوي عليه السلام جبة بيضاء، وكسا الشيخ شمس الدين الأحدي وولده سيدي أبا بكر كل واحد منهما ثوباً لما جاء من الحجاز، وكسا الشيخ خطاب البرهاني جبة،

(١) بالأصول: «الغمري».

(٢) محمد بن أبي الحسن الغمري وهو غير سيدي محمد الغمري المتوفي عام ٨٤٩، وتما الاسم من لطائف المنن: ٥٩٦ ط عالم الفكر.

(٣) في لطائف المنن «أحمد المصامتي».

(٤) في اللطائف تقي الدين بن عبد الحليم بن مصلح رضي الله عنهما. توفي سيدي عبد الحليم بن مصلح المنزلاوي سنة ٩٣١ على ما نقله محقق الكواكب الدرية عن ابن العماد في الشذرات، وعليه يكون ما في المنن أصوب.

(٥) في المنن «وكسوت ولده بدر الدين المضرية» وليس في المخطوط ولا المطبوع.

وكسا سيدي الشيخ أبا الفضل شيخ بيت بني الوفا جبة بيضاء مختنة بنحو مائتي نصف، وكسا أخاه الشيخ أفضل الدين الأحدي مراراً الجيب السود والحر المضرية، وكسا الشيخ يوسف البشلاوي مراراً، وكسا الشيخ زين العابدين البكري صوفاً أخضر تفضلاً منه، وكسا الشيخ عبد الدائم بن عنان مراراً، وكسا الشيخ إبراهيم بن داود قميصاً ورداءً، وكسا سيدي الشيخ محمد سبط الحنفي جبة حمراء، وكسا صهره سيدي أبا الفتح جبة بيضاء، وكسا الشيخ عبد القادر الشاذلي قميصاً مقصوراً وأوصى أن يدفن فيه ففعلوا به ذلك، وكسا القاضي عبد القادر الرزمكي^(١) قميصاً ودفن فيه عملاً بوصيته، وكسا الشيخ عبد الله العجمي خادم الإمام زين العابدين جبة حمراء وعبامة سوداء وهو رجل سني^(٢)، وكسا الشيخ محمد الجزيري المقتول جبة حمراء وعبامة، وكسا الشيخ أبا هدوان الشناوي قميصاً بعلبكياً، وكسا سيدي محمد الحموي التاجر بمرجوش جبة، وكسا الشيخ تقي الدين الأشموني المدرس بجامع يونس جبة حمراء وقميصاً أزرق وقلنسوة، وكسا سيدي محمد الكويس جبة بيضاء في ختم الشيخ بركات لكتاب البخاري، وكسا أبا شعرة المادح جبة بيضاء ورداء في ختان ولده سيدي عبد الرحمن، وكسا جميع نساء المجاورين كل واحدة قميصاً في تلك الليلة، وكسا الشيخ محيي الدين المادح بالنحارية^(٣) صوفاً أخضر وعبامة وقلنسوة وقميصاً، وكسا الشيخ بركات الأحدي جبة بيضاء، وكسا الشيخ محمد الصوفي المقيم بنواحي الفيوم جبة سوداء وأخرى خضراء وله الفضل في ذلك، وكسا الشيخ يوسف الطهوائي جبة^(٤) صوف بيضاء، وكسا الشيخ الصالح شهاب الدين السبكي جبة عودية^(٥)، وكسا ابن الشيخ عبد الرازق المادح في سيدي عمر بن الفارض قميصاً

(١) بالمطبوع: «الرزمكي» وما أثبتناه من المخطوط.

(٢) في لطائف المنن: وهو رجل يحب أبا بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما.

(٣) بالمطبوع: «بلخارية» وما أثبتناه من المخطوط.

(٤) بالمطبوع: «جندة».

(٥) بالمخطوط: «عودي».

مقصوراً، وكسا عمير الظريف مضرية كندكية^(١)، وكسا الشيخ محمد الجوخى الذي يحج كل عام جبة سوداء بسؤاله وله الفضل، وكسا سيدي أبا الفضل القباني جبة سوداء ملطية وجوخة من بعض فضله عليه ومحبه له، وكسا سيدي محمد الغمري وولد عمه سيدي عليا وابن عمتهم سيدي يحيى مراراً، وكسا أبا بكر بن بوبه^(٢) وخاله الشيخ إبراهيم الجيب الحمر مراراً، وكسا الشيخ يوسف الهندي الذي ذكر أن عمره ثلاثمائة سنة وشيء صوفاً أخضر وملاءة مقصورة وعرقية جوخ، وكسا الشيخ إبراهيم الرجبى باب الجامع جبة حمراء وله الفضل في القبول، وكسا صهره أبا الفتح القصري^(٣) صوفاً وجوخة من ملبوس الغورى كما تقدم، وكسا أخاه الشيخ عبد القادر من الجوخ والأصواف والقمصان ما لا يحصى عدده، وكسا محمد ابن بغداد ثوباً بعلبكياً بطلبه له منه، وكسا الأمير محيى الدين جبة بيضاء مضرية من ثياب شيخه سيدي نور الدين الشونى فكان الأمير يلبسها في ورد الليل إلى أن مات، وكسا الشيخ إسماعيل النقيطي بالغمري الجيب مراراً، وكسا الشيخ شمس الدين الطنخي القمصان والجيب مراراً، وكسا ولده محمد الطنخي القمصان والجيب مراراً، وكسا محمد الطلخاوي الوقاد مراراً، وكسا الشيخ شمس الدين المتبولي مؤدب الأطفال بزاوية الدشطوطي جبة سوداء، وكسا بدر الدين جبة، وكسا الشيخ شعبياً الخطيب بالجامع الأزهر^(٤) صوفاً أخضر، وكسا الشيخ عمر المليجي مراراً، وكسا الفقيه أحمد العباسي مراراً، وكسا الشيخ يوسف البمبي مراراً عديدة، وكسا الشيخ عبد القدوس ولد شيخه الشيخ محمد الشناوي القمصان البعلبكية والملاءات المقصورة مراراً لما يأتي من الحجاز، وكسا الشيخ يحيى صاحبه مرتين القمصان، وكسا ولده عبد القدوس برنساً أسود وملاءة مقصورة، وكسا شمس الدين تابع بن بغداد جبة بيضاء، وكسا

(١) بالمخطوط: «كندكي».

(٢) باللطائف: «من عبد ربه».

(٣) باللطائف: «القصبي».

(٤) باللطائف: «بجامع الغمري».

شرف الدين العصامي جبة حمراء، وكسا الشيخ مروان المجذوب جبة سوداء وبشتاً^(١) بسؤاله في ذلك، وكسا سيدي زين العابدين ابن بنت المرصفي ملاءة بيضاء، وكسا الشيخ محمد العوضي^(٢) الجلب والقمصان مراراً، وكسا الشيخ صالح المسلمي جبة سوداء، وكسا المقدم الزردكاش مراراً الفراء والثياب، وكسا صاحب جهة المغاني صوفاً أخضر واسمه العيار، وكسا الغزاوي صوفة العودي، وكسا الحاج علي فليفل جبة حمراء، وكسا سيدي شرف الدين بن الأمير جبة بيضاء وقميصاً بعلبكياً، وكسا الحاج بدر الدين القلعي الجلب الأحمر والقمصان مراراً، وكسا ولد أخيه مراراً، وكسا سيدي محمد بن الموفق مراراً، وكسا ولد عمته، وكسا ابن خاله مراراً، وكسا الشيخ حسن الشامي الضرير وأولاده مراراً الأصواف والثياب، وكسا الشيخ أبا الخير الصفطي قميصاً، وكسا ابن السلطان الملك الكامل قميصاً، لقي الشيخ في باب القنطرة وقال له انظر قميصي المقطع فدخل الشيخ عليه السلام دكاناً وخلع قميصه وأعطاه له، وكسا ابن أبي الفتح بن الجمال قميصاً، وكسا الشيخ عمر النبتيتي جبة بيضاء مبطنة بعلبكية، وكسا جمال الدين ولد ابنة عمه جبة حمراء وعليها فروة، وكسا مثلها للشيخ يحيى بن بنت العمري^(٣)، وكسا الشيخ نعيم السناوي جبة سوداء، وكسا أخاه الشيخ نور الدين فقيه ابن الرمي جندة^(٤) صوف بيضاء، وكسا الشيخ عبد الرحمن الأجهوري جبة، وكسا الشيخ أبا الخير الغمري مراراً، وكسا الشيخ يحيى الحلبي وكسا ولده كلا منهما قميصاً، وكسا علم الدين العبادي قميصاً، وكسا سيدي محمداً شيخ سوق أسير الجيوش قميصاً بعد كيا، وكسا الشيخ شهاب الدين القصبي وأولاد أخيه الجوخ

(١) البشت: كلمة فارسية معربة ومعناها العباءة الواسعة من نسج غليظ كالصوف يلبسها الرجال في دول الجزيرة العربية، وقيل البشت هو ثوب يستعمل في الريف كالعباءة القصيرة دون الركبة حتى لا يعرقهم في أشغالهم. المعجم العربي للملابس ٦٤، باختصار.

(٢) باللطائف: «الفرض».

(٣) باللطائف: «الغمري» ص ٥٩٨.

(٤) باللطائف: «جبة» ص ٥٩٨.

والجيب والقمصان مراراً، وكسا أخوته وأولاد أخواله وخالاته الفقراء والجوخ والجيب والقمصان والعباء وغيرها، وكسا الحنفي بسوق أمير الجيوش قميصاً بسؤاله. وأما مشايخ البلاد والمترددون بالهدايا فلا يحصى لهم عدد وممن كساهم من مشايخ البلاد الحاج إبراهيم الأكيادي نافع شيخ الساقية والحاج علي بن هلال شيخ شطانوف وأحمد وابن عمه أولاد ابن أبي الحسن مشايخ ناحية قها.

هذا ضبطه نقيه مما اطلع عليه، وأما خلعه على الناس من الثياب والعمائم في غيبة النقيب فلا يحصى عدده.

ولما سافر سيدي عبد الوهاب الحجاز كسا أولاد ابن أبي كثير كل واحد قميصاً خماسياً، وكسا الشيخ شرف الدين الديصطي جبة بيضاء خلعها عليه عند الحجر الأسود فأعطوه فيها ثلاثين ديناراً فأبى، وكسا الشيخ أبا سلمة المنوفي وجماعة من فقراء اليمن والشام كانوا بمكة، وكسا أبا سلمة ابن عم الطرابلسي في كل حجة قميصاً، وأما ما كساه من العمام فلا يحصى عدداً ذهاباً وإياباً في المناهل وغيرها.

ولما أقبل على المدينة المشرفة تلقاه رجل وقال له: أريد أن أزورك سيدنا رسول الله ﷺ. فقال له: ما اسمك؟ فقال: تقي الدين بن مقبول. فأخذ الشيخ من ذلك الفأل الحسن فدخل معه إلى أن أوقفه تجاه وجه سيدنا رسول الله ﷺ وصار يسأله من الأسئلة والحوائج في الدنيا والآخرة ما كان يستحي الشيخ أن يتلفظ بها بين يديه ﷺ فخلع الشيخ عليه صوفه الأخضر المضرب فأعطوه فيه خمسين ديناراً فأبى. وأما القمصان التي فرقها في الحج فكثيرة حتى أنه خلع ثيابه وثياب ولده سيدي عبد الرحمن وفرقها على أهل المدينة فرحاً بقدومه عليهم. وفرق في الحرم المكي على فقراء الدوا وخدام البيت نحو قنطار ونصف من السكر كان ﷺ يكسر القمع ويرميه للناس حول المطاف فيلتقطه الناس وتارة يلقيه للفقراء وقال له خدام البيت ما رأينا في عمرنا من فرق السكر وغيره مثلك. وكتب نقيه جملة كساوى الشيخ في مدة عشرين سنة فبلغت سبعمائة زيقاً فجزاه الله عن المسلمين خيراً ورضي عنه وأرضاه آمين.

شيء من مراني الإمام رضي الله عنه ومشاهدته البرزخية

وكان ﷺ إذا تعوق عن زيارة الإمام الشافعي ﷺ يأتي إليه في المنام ويقول له يا عبد الوهاب إني عاتب عليك في قلة زيارتك لي. فقال له مرة: في غد أزورك. فقال له الإمام لا أطلقك حتى أمضي بك إلى مكاني وأخذ بيده إلى أن طلع به على ظهر قبه تحت المركب التي عليها وفرش له حصيرة جديدة ووضع بين يديه سفرة فيها خبز لبن وجبن أزرار^(١) وشق له بطيخة عبد اللاوي^(٢). وقال له: كل يا عبد الوهاب في هذا المكان الذي ماتت ملوك الدنيا بشهوة^(٣) أكلة فيه.

وزار ﷺ مرة رأس الحسين ابن الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنهما في المشهد الحسيني هو وشيخ الإسلام ابن الشلبي الحنفي، وكان ينكر دفن رأس الحسين بهذا المشهد ولا يسلم لمن يقول بذلك، فأدخله سيدي عبد الوهاب إليه وجلس هو وإياه فيه وقرأ شيئاً من القرآن وأهدياه لروح الإمام الحسين ثم طرق شيخ الإسلام ابن الشلبي سنة من النوم فرأى شخصاً خرج من القبر الحسيني ووضع رجلاً عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم والأخرى عند قبر رأس الحسين كالنقيب فصلى وسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه ثم قال للنبي صلى الله عليه وسلم من داخل القبر والشيخ أحمد بن الشلبي يسمع [يا رسول الله أحمد بن الشلبي] وعبد الوهاب زار قبر رأس ولدك الحسين، فقال رسول الله ﷺ: اللهم تقبل منها واغفر لها^(٤) فجزاهم الله تعالى عن ولدي خيراً. انتهى. فاستيقظ ابن الشلبي من نومه وقال آمنت بدفن رأس الحسين في هذا المشهد وصار يزوره إلى أن تُوفيَّ إلى رحمة الله تعالى.

(١) كذا بالأصول وباللغات.

(٢) كذا بالأصول وباللغات.

(٣) في اللغات: «بحسرة».

(٤) بالمن: «الجلبي» وهو لقب شائع بالعراق، وينطق في مصر: شلبي، نحو نطقهم «وجه»: وش

(٥) ما بين المعرفتين ساقط من الأصول واستكملناه من لطائف المنن ص ٣٥٩.

وزار ﷺ مرة السيدة نفيسة رضي الله عنها ووقف خارج مشهدها لحرمتها وأدباً منه فجاءته تلك الليلة وقالت له إذا جئت فادخل واجلس قبالة وجهي فصار يفعل ما أذنته فيه.

وزار ﷺ مرة سيدي عمر بن الفارض فلم يجد البواب يفتح له فقرأ الفاتحة ورجع ولم يدخل. فجاء سيدي عمر ﷺ بعد عشر درج إلى منزله وقال له اعذرني فياني كنت غائباً وواحدة بواحدة جزاء.

وجاءه ﷺ سيدي أحمد البدوي ودعاه إلى مولده وقال له: إن جئت إلى مكاني طبخت لك ملوخية وحكمتك في بلادي فلا يدخل علي أحد إلا بعد استئذانك. فسافر فطبخ له سائر أصحابه ببلده تلك الليلة ملوخية.

وصار كل من دخل القبة يبدأ بزيارة سيدي عبد الوهاب قبل زيارة سيدي أحمد البدوي حتى استحي سيدي عبد الوهاب وصار يقول لهم زوروا قبلي سيدي أحمد البدوي وتعالوا لي بعده فيأبون ذلك.

وجاء له سيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ وقال زرنى الله تعالى يا عبد الوهاب وإن زرتني نزلت لك عما بيدي من قراءة الحديث في الحجرة النبوية وقدر من العلم بالحرم. ثم نزع عمامته سيدي إبراهيم وألبسه إياها، ثم نزعها منه ثم ألبسه عمامته فحصل لسيدي عبد الوهاب بذلك أنس كبير واستبشار.

واتفق له ﷺ في ليلة من الليالي أنه أراد أن يمد رجله فكلما يمم ﷺ بها إلى جهة من الجهات يرى بها ولياً من أولياء الله تعالى فكف رجله وإذا بسيدي محمد بن عنان ﷺ جاءه وقال له «مد رجلك إلى ناحيتي البساط أحدي» وسحب رجله بيده فانتبه ونعومة يده في رجله ﷺ.

بعض من أوراده وأذكاره ﷺ

وكان ﷺ من جملة أوراده أن يقول ألف مرة أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ويقول ألف مرة سبحان من سبقت رحمته غضبه، ويقول ألف مرة

سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، ويقول ألف مرة سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك، سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك، ويقول ألف مرة سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح، ويقول ألف مرة اللهم لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك، ويقول ألف مرة الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم أعلم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم أعلم.

وكان يقول في دعائه باسمه اللطيف يا لطيف ما أسرعك لتفريج الكرب عند الشدائد حي صمد باق له كنف واق ليس لها من دون الله كاشفة أنت لها ونكل عظيمة يا رسول الله، ويقرأ قل هو الله أحد ألف مرة. ويقول ألف مرة جزى الله سيدنا ونبينا محمد ﷺ عنا خيراً بما هو أهله.

ويصلي ويسلم على رسول الله ﷺ ألف مرة، وكان ﷺ يقول أحب لكل أحد من إخواني أن يصلي ويسلم على رسول الله ﷺ بهذه الكيفية في كل يوم ألف مرة وهي: اللهم إني أسألك بك أن تصلي وتسلم على سيدنا محمد وعلى إخوانه من النبيين والمرسلين وآلهم وصحبهم أجمعين وأن تغفر لي ما مضى وتحفظني فيما بقى^(١). انتهى.

وكانت أوراده كثيرة ولا تحصر وأذكاره الخفية أكثر من أذكاره الظاهرة لأنه يحب السر في جميع أعماله وأقواله إلا ما كان يتبع فيه ويقتدى به.

وكان ﷺ إذا ضاق عليه وقت قيام الليل يقرأ في صلاة الليل في الأولى آية الكرسي والإخلاص وفي الركعة الثانية آخر الحشر والإخلاص. وكان ﷺ يقدم أهم العبادات وأنفعها كالصلاة والأوراد والزهد والإحسان والصبر والمبادرة بالتوبة والطهارة حساً ومعنى.

ولما حج ﷺ وقف تحت الميزاب في الحجر وسأل الله تعالى الزيادة في العلم فسمع قائلاً يقول له من ناحية الميزاب: أما يكفيك أن الله تعالى أعطاك ميزاناً للشيعة لم تجد لها ذائقاً من علماء عصرك، فقال: الحمد لله رب العالمين على ذلك وكان ﷺ يرى نفسه دون كل جليس من المسلمين ولو فاسقاً شهوداً وذوقاً.

(١) وقد نسبها سيدي يوسف النبهاني في «أفضل الصلوات» إلى سيدي إبراهيم المتبولي ﷺ.

تحملة الأذى وعظيم عفوه ﷺ:

وكان ﷺ كثير التحمل للبلايا والمحن الواقعة له بواسطة وبغير واسطة. وكان ﷺ كثير التحمل للإنكار عليه ولو من جميع الناس. وكان ﷺ لا يؤاخذ من آذاه، ولا يدعو عليه، ولكن الله ينتقم من كل من آذاه فمنهم من جاءه مرسوم من السلطان بشنقه فأخبروه بذلك فانزعج فمرض فمات بعد عشرة أيام. ومنهم من كُيسَ " عياله بالفجور والسكر وذهبوا بهن إلى بيت الوالي صباح تلك الليلة التي جر قافيته فيها".

ومنهم من رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يعرض عنه، فقال له يا رسول الله ما ذنبي؟ فقال: كيف تؤذي عبد الوهاب وهو من أصحابي وعلى سنتي [فكان] " مستغفراً صبيحة ذلك المنام.

وكان ﷺ يحب من يناقشه في أقواله وأفعاله وأحواله ويظهر له عيوبه ولو على رؤوس الأشهاد.

وكان ﷺ يتمثل في ذلك بقول الشافعي ﷺ:

عِدَاتِي لَهُمْ فَضْلٌ عَلَى وَمَنَّةٌ	فَلَا قَطَعَ الرَّحْمَنُ عَنِّي الْأَعَادِيَا
فَهُمْ بَحْثُوا عَنْ زَلَّتِي فَاجْتَنَبْتُهَا	وَهُمْ نَاقَشُونِي فَارْتَقَيْتُ الْمَعَالِيَا

وكان ﷺ يقول لا ينبغي لعارف أن يقيم الحجة على من ضربه أو آذاه بل الضارب في الحقيقة هو الله تعالى. قال الله تعالى لسيدنا محمد ﷺ ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ " فليس لعاقل أن يقيم الحجة على العصا التي بيد الضارب وكل من أخذ القصاص منها نسبوه إلى الجنون أو الحماقة.

(١) أي ضبط.

(٢) أي سخر من كلامه سيدي عبد الوهاب.

(٣) ليس بالمخطوط.

(٤) سورة الأنفال: الآية الكريمة / ١٧.

وكان ﷺ يعفو ويصفح عن كل من جنى عليه في بدنه أو عرضه من هذه الأمة المحمدية إكراماً لله تعالى ولرسوله ﷺ لا لغرض غيرهما. وكان ﷺ يقول من نعم الله تعالى عليّ وجود جماعة من العلماء والصالحين وغيرهم يحبونني وأحبهم ويدعون لي وأدعو لهم ويقاسمونني في حسناتي وأقاسمهم في حسناتهم بطيب نفس مني. ومنهم. وأما المعتقدون في الخير فلا يحصي عددهم إلا الله تعالى.

جوانب ومضادة من رفيع زهده ومكارم أخلاقه رضي الله تعالى عنه

وكان ﷺ من صغره يساوي بين الذهب والتراب على حد سواء من جهة عدم الفرح به إذا كان عنده، ولو أن السماء أمطرت ذهباً ما وجد عنده داعية لأن يلتقط منه شيئاً، ولو أنه مر على أطلال الذهب والفضة من غير مزاحم عليها في الدنيا ولا حساب عليها في العقبى لم يطأ طيء لأخذ دينار منها إلا لحاجة ضرورية في ذلك اليوم فقط لا لغد.

ولو أنه كان عنده إردب من الذهب فسرق لم تتغير منه شعرة لأجله كل ذلك احتياطاً لنفسه وهواناً بالدنيا في عينه وخوفاً من الوقوف للحساب عليه.

وكان ﷺ يدخل في قضاء حوائج المسلمين من أبوابها وهو أنه يسأل أصحاب النوبة من الأولياء في كل بلد في قضاء تلك الحاجة ولا يتفرد بقضائها دونهم لأنهم يغارون على أدراكهم^(١).

قال سيدي عبد الوهاب وكان أصحاب النوبة في عصري سبعين رجلاً متفرقين في بيوت الحكام ومعروفين لأهل البصرة والكشف. انتهى.

وكان ﷺ يزيد في الإحسان لمن كفر بحسناته من مطعم وملبس ومال وتربية وزواج وتعليم علم أو قرآن ونحو ذلك لعلمه أن الذي لم يشكره على ذلك أسلم لنفسه من الوقوع في الرياء وعدم الإخلاص في الحسنات. وكان ﷺ لا يطلب الثواب

(١) الإدراك جمع درك: وهو الموضع الذي يكلف الولي بحفظه والتصرف فيه.

من الله تعالى على شيء من الطاعات التي مَنَّ الله تعالى عليه بها بل يرى الفضل لله تعالى الذي أهله للطاعات وحفظه من المخالفات.

وكان ﷺ لا يأكل من هدايا الظلمة وأعوانهم من العمال ومشايخ العرب والكشاف وشيوخ البلاد والمباشرين وقد أفطر مرة في رمضان عند بعض المباشرين بعد أن أقسم عليه بالله عز وجل أن يفطر عنده فأكل من خبره لقيمات بورقة فجعل ولم يتناول شيئاً من الطعام، فرأى في نومه تلك الليلة قائلاً يقول له: استعد يا عبد الوهاب لمن يحاربك على الصراط لأجل اللقم التي أكلتها بورقة الفجل ليلة البارحة. فأراد أن يتقيأ فلم يتيسر له. قال سيدي عبد الوهاب: فأسأل الله تعالى أن يحميني وأصحابي من مثل ذلك بقية عمرنا آمين.

وكان ﷺ منصفاً لكل من عامله ببيع أو شراء أو استئجار رزقه ولو أنه أعطاه شيئاً زائداً لا يقبله ولو قال له خاطري بذلك طيب. يقول له: أنا خاطري بذلك غير طيب. وكان ﷺ لا يأخذ أجره دولاب في أيام بطالته لعدم الحب. ولا يأخذ خراج رزقة أكل زرعها الدود أو شَرَقَتْ أو غرقت أو هافت أو أكلها الفأر، ولا يأخذ أجره مركب أيام بطالة المراكب.

وكان ﷺ لا يقبل خراج رزقة معجلاً ولا يأخذه إلا بعد الانتفاع لاحتمال أنه يموت أو المستأجر يموت قبل انتفاعه بالرزقة فتشتغل ذمته وذمة ورثته ويقع بينه وبينهم النزاع والخصام.

ومما وقع له مع بعض التجار الأزهرية أنه كان يُكرهه على السماع من بعض الحسدة، فأرسل الشيخ موسى إلى السوق جبة لبيعها فاشتراها التاجر بزيادة على ثمنها بنحو عشرة أنصاف فلما رأى الشيخ الزيادة عن قيمة الجبة جاء للتاجر وفرد له الجبة ليتأمل فيها التاجر لثلا يكون مغبوناً فيها، فقال له التاجر: خاطري بها طيب.. فقال الشيخ له أنا خاطري غير طيب بأخذك لها بزائد عن قيمتها، فاعتقده التاجر الأزهرى من ذلك اليوم وصار من أعز أصحابه.

ومما وقع له من الإنصاف أنه رمدت عينه فأتوا له بلبن امرأة ليضعه في عينه فلم يقبله إلا بثمره من جديد أو رغيف لما في اللبن من رائحة حق الولد ولا يعلم طيب نفسه لعدم إفصاحه، وهذا ورع لم يسبق إليه من أقرانه عليه السلام.

وكان عليه السلام يرى أن كل ما يقاسيه في هذه الدار من الشدائد والأهوال إنما هو رحمة من الله تعالى له لأنه كالإدمان لشدائد يوم القيامة وأهوالها، لأن من ذاق شدائد الدنيا وأهوالها هانت عليه شدائد الآخرة وأهوالها.

وكان عليه السلام يحبه جميع قضاة العساكر بمصر وأحبهم فيه: منهم شيخ الإسلام صالح، وشيخ الإسلام حامد، وشيخ الإسلام محمد بن عبد الكريم، وشيخ الإسلام محمد بن إلياس، وشيخ الإسلام محمد شاه.

واتفق له معه أنه حبس الشيخ أبا بكر الغمري فوق عقاربته في عرض الشيخ الشعراني^(١) واستشفعوا به عند شيخ الإسلام محمد شاه، فكتب له سيدي عبد الوهاب ورقة وأرسلها، وصورة ما كتبه له:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أما بعد، فيعلم مولانا محمد أفندي كان الله لنا وله وللمسلمين آمين أن من أعظم بيوت سلاطين الأولياء والأقطاب بمصر أربعة أولهم بيت السادات بني الوفا^(٢)، ومن كلامهم أولاد الفقراء كشجر الزيتون كلها طيب أصلها وفرعها ولا تخلو من زيت طيب وهم آثار أنوار الرحمن في الأرض فمن تهاون بهم فكأنها تهاون بالرحمن وقد أسرع الله تعالى بهلاكه، ومن عاونهم هناؤه الله تعالى بالجنة ومن سترهم ستره الله وجبر كسره.

(١) أي استغانوا بسيدي الإمام الشعراني أن يفك حبس الشيخ أبي بكر الغمري.
(٢) نسبة إلى القطب الكبير سيدي محمد وفا الشاذلي السكندري الأصل، ت سنة ٧٦٥هـ، وانظر ترجمته في الطبقات الكبرى ص ٤٧٥، وانظر ترجمة ولده سيدي علي وفا (ت ٨٠١هـ) المطولة بنفس المصدر ص ٤٧٨ وهي أطول تراجم الكتاب.

ثانيهم بيت سيدي محمد شمس الدين الحنفي^(١)، ومن كلامه إذا كان بنو الفقراء رماداً فلا تطأ عليهم بقدمك فتحرق ويوشك أن تقع في سوء الخاتمة.

ثالثهم سيدي مدين الأشموني، ومن كلامه لا تقاطع رحم أولاد الفقراء ينقطع فيهم رحم أستاذيك من أهل الولاية والعرفان.

رابعهم بيت سيدي أبي العباس الغمري^(٢) جد هذا الرجل الذي حبسته، ومن كلامه لحوم أولاد الفقراء مسمومة فمن عاداهم فقد عجل بهلاك نفسه بسم ساعة. ولقد عرضت نفسك لبلاء عظيم وداء لا دواء له، والرأي عندي التدارك منك بالدواء بإطلاقه واستعطافه واغتنام السلامة من العطب ونسأل الله الحفظ والأمان». انتهى.

فعندما قرأ المکتوب الشريف استعطف بخاطر الشيخ أبي بكر الغمري وأطلقه إلى حال سبيله واستغفر الله تعالى ورجع عن معارضته ومن الوقوع في مثل ذلك، واستمر يتردد إلى أعتاب سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني إلى أن توجه إلى الديار الرومية. انتهى.

وكان ﷺ لا يقبل هدية قيل له عليها قبل حضورها لاستشراف النفس لها وللنهي عن ذلك في الأحاديث والآثار. وكان ﷺ لا يبخل بشيء دخل في يده على مستحقه من نقد أو طعام أو ثياب أو غيرها فكان يعطي كل ما سئل فيه ولو كان هو يحتاج إليه فيؤثر به على نفسه.

(١) محمد بن حسن بن علي البكري الصديقي، أخذ طريق الشاذلية عن العارف بالله محمد بن الملق عن جده الشهاب أحمد بن الملق عن سيدي ياقوت العرمر عن سيدي المرسي عن العارف الشاذلي، رضي الله عنهم، ومكث المترجم له في القطبانية ٤٦ سنة، وتوفي سنة ٨٤٧ هـ وإليه يصل سند الإمام جلال الدين السيوطي في التصوف، حيث أخذ عن سيدي محمد المغربي الشاذلي، عن سيدي أبي العباس السري عن سيدي محمد الحنفي، رضي الله عنهم جميعاً. انظر تراجعهم بطبقات الإمام الشعراني.

(٢) هو سيدي أحمد بن سيدي محمد الغمري، أخذ عن أبيه طريق الإمام الجنيد عن سيدي أحمد الزاهد وأخذ عنه ولده سيدي أبو الحسن الغمري. انظر تراجعهم في نفس المصدر.

وأوصى له الشيخ خضر الذي رباه وهو يتيم بخمسمائة دينار ذهباً فردها على ورثته. وأوصت له أيضاً زوجة الشيخ خضر المذكور بنحو أربعين ذهباً فأخذها وفرقها على الفقراء في ساعة واحدة. وعرض عليه بعض الأكابر ثلاثة آلاف دينار وأنه يزوجه بابنته، فأبى وردها عليه. وأوصى له قاضي إسكندرية بثلاث ماله وكان نحو مائة ألف نصف فردها عليه من حيث كونه مال قاض فقط لا لعة أخرى.

وسأله مرة فقير في شيء لله تعالى فأعطاه جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ورجع إلى داره بمئزر في وسطه. فتبعه السائل من بعد حتى أتاه بالثياب خوفاً من تبعته لظنه أن به سُكراً أو جنوناً فأبى أن يقبلها الشيخ منه، فاشترى منها يحيى العامل من السائل صوفاً بستة عشر ديناراً.

ومن حين كان صغيراً ﷺ يأتيه الناس بالذهب والفضة فيردها ولا يقبلها وتارة يأخذها ويرميها في الأرض فيلتقطها الناس والأطفال والنساء وربما كان في هذه الحالة أحوج الناس إلى شيء مما رماه، وإنما يفعل ذلك هواناً بالدنيا في عيون الناس وليقتدوا به في فعل مثل ذلك.

وكان ﷺ يلبس الطيلسان ويجعله على رأسه لكثرة الحياء من الله عز وجل كما كان أبو بكر وعمر وغيرهم.

قال ولا يخفى أن من شرط الطيلسان أن يكون نازلاً قبالة الوجه حتى يصير الإنسان لا يرى من الأرض إلا مواضع قدميه.

قلت وذكرت في كتابي المسمى بـ «إطلاق اللسان بالتحدث بنعم الله والإحسان» وكتابي المسمى بـ «سرور القلب وقرة العيون في بيان نسب الأدب لا نسب الظهور والبطون» ما يشفى به الصدر وتقر به العين مما يتعلق بالطيلسان والرداء والمئزر والعمائم والعذبة مبيناً إن شاء الله تعالى.

طرف آخر من عظيم شمائله ﷺ

وكان ﷺ لا يقيم بقلبه على محبة شيء من محبوبات الدنيا بالطبع من زوجة أو ولد أو مال أو غيرها إلا إذا كانت محبتها بتحبیب الله تعالى فيها، وهي، يعنى الدنيا، غير ما أخذ من حِلِّه وصرف في حله من غير شراهة فيها، وشح نفس عليها. وكان ﷺ إذا وقع من إخوانه له فعل مذموم نسبته إلى إبليس ولم ينسبه له. وإن وقع منه لإخوانه فعل حسن نسبته إلى الله عز وجل حتى لا تصير له منة على إخوانه فكانوا يحبونه في الحالين.

وكان ﷺ لا يسيء الظن بأحد من المسلمين. وكان ﷺ يحمل الكلام الأكابر على أحسن الوجوه ولو لم يكن ذلك مراداً للمتكلم لنقص مقامه عن ذوق مثل ذلك. كل ذلك سداً لباب تنقيص أحد منهم بين أقرانه وغيرهم.

وكان ﷺ لا يطالب من يخل الوفاء بعهد الله وعهود رسوله أن يوفي بعهوده هو لأن الذي لم يوف بعهد الله ورسوله لم يوف بعهد غيرهما فكأن المرید للوفاء منه يريد محالاً يصح وقوعه منهم.

وكان ﷺ كثير الحذر من إبليس وجنوده كلما ترقى في المقامات لعلمه منه أنه بالمرصاد له سواء أكان مستقيماً أو أعوج، فإبليس يلازم المستقيم ليترقب له وقتاً يغويه فيه من غفلة أو سهو أو تأويل وأما الأعوجاج فهو من جملة حزبه.

وكان ﷺ لا يطالب من له عليه دين ما دام غنياً عن مثل ذلك الدين ولو بكسرة من خبز الشعير وخلقة من الخيش، ولكن إن أتاه المديون به من غير مطالبة منه قبله منه ابتداءً عطاءً من الله تعالى، وإن لم يأت به له لا يطالبه في الدنيا ولا في الآخرة لا بنفسه ولا بوكيله بانشرح صدر وطيب نفس، إلا أن يكون الحق فيه لغيره. وكان ﷺ لا يرى في نفسه أنه أحق بها عنده من النقود والثياب والطعام وغيرها من غيره إلا أن يكون هو أحوج من غيره.

وكان ﷺ لا يتفت إلى شيء وقع منه أو نسيه في مكان ولو إردباً من ذهب أو فضة ولا يبعث قط من دياً ينادي عليه هواناً بالدنيا وتنشيطاً لهمم المريدين. وكان ﷺ لا يزاحم على شيء فيه رئاسة دنيوية مطلقاً أو أخروية وكان هناك من هو أولى بها منه لكثرة علمه أو كبر سنه أو معرفته بسياسة الذين هم تحت رئاسته أو لكثرة احتمالهم أذاهم.

وكان ﷺ يكبر بإخوانه كثيراً عند الأمراء ويحبب الأمراء والكبراء فيهم وفي اعتقادهم وصحبتهم ويفرح إذا تغير اعتقاد الأمراء وغيرهم فيه بعد صحبتهم أو زال اعتقاد الأمراء وغيرهم فيه.

وكان ﷺ كثير الأجوبة عن أئمة الدين من العلماء والصوفية ولا يحملهم إلا على أحسن المحامل في فعالهم وأقوالهم، وإن عجز عن الجواب عنهم سلم لهم ووقف عن الإنكار عليهم، وذلك لعلمه بأن منازعتهم^(١) دقيقة عن عقول أمثاله. وكان ﷺ ينشر صدره لتقديم زبارة من ينكر عليه أو يكرهه على زيارة من يعتقده أو يحبه.

وكان ﷺ لا يرى له ملكاً مع الله تعالى في شيء أعطاه له بل كان ﷺ يخرج من ملكه إلى الله تعالى ولا يقيه على ذمته إلا بقدر ما يتحقق بالعطاء ليشكره عليه، وقد تحقق بذلك، فلا يرى له ملكاً مع الله تعالى في الدارين، إنما كان يرى نفسه عبداً غارقاً في صدقات سيده في الدنيا والآخرة لا غير. ووقع له في أوائل دخوله في طريق القوم أن شخصاً لقيه في سوق خان الخليلي لا يعرفه فقبض على طوقه وصار يصفعه في عنقه ويقول للناس إن هذا الرجل أفسد امرأتي وفي عبارة أفسد جاريتي فلا يزال يسحبه حتى قرب من الجامع الأزهر ثم نظر في وجهه وقال له: أنا قد غلطت فيك وأقول أستغفر الله تعالى، فلم تغير منه عليه شعرة بل صار ينظر إلى خالق تلك الحركة وذلك القول على جوارح ذلك الشخص ويتسم. انتهى.

(١) بالأصول: «منازعتهم»، والله: جواب ما أثبتناه مرافقاً لمصطلح سيدي عبد الوهاب في الميزان الكبرى وغيره.

ووقع له أيضاً أن جماعة السلطان ألزموه بإحضار الأمير محي الدين ابن أبي إصبع لكونه كان يتردد عليه قبل أن يستخفي ومدوه للقتل فصار يبتسم ولم تتغير منه شعرة وعلم من نفسه أنه تحقق بمقام التوحيد لله عز وجل.

وأخذ ﷺ على أصحابه العهد أنهم لا يثنون عليه في مجلس ولا يجيبون عنه عدواً لاسيما في مجالس الأكابر لكونه سامح جميع هذه الأمة المحمدية في كل ما يؤذونه به من سائر المؤذيات إلا أن يرد أحدهم عن عرضه امتثالاً للشارع فذلك مطلوب.

قلت ولا يقدر على العمل بمثل ذلك إلا من ثبت قدمه في معاملة الله عز وجل ولم يلتفت إلى قول أحد من الخلق اكتفاء بعلم الله تعالى، والله أعلم.

وكان ﷺ يخفض جناحه لفسقة المؤمنين كالحشاشين والمقامرين وجميع أصحاب الكتب المذمومة ولا يحقر أحداً منهم إلا من حيث فعله فقط بدليل قوله تعالى ﴿فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ﴾^(١).

وكان ﷺ كثير النصح لجميع إخوانه ولم يغش أحداً منهم مدة حياته في أمر مذموم ارتكبه ولا سكت عليه أبداً، والنكته في ذلك كونه يصحبهم الله تعالى على رضاهم مع عفته عما بأيديهم من الدنيا، ولو أنه صحبهم للدنيا لربما وقع في غشهم مراعاة لخاطرهم خوفاً عليهم أن ينفروا عنه.

وكان ﷺ يشهد أن الله تعالى هو الرزاق كشفاً و يقيناً لا إيماناً وتسليماً فقط. فإن الإيمان قد يُجَبُّ صاحبه بخلاف صاحب الكشف لا يقع له حجاب بعد الكشف، ومحل الصدق في ذوق^(٢) هذا المقام أن لو قام الولاية عليهم وأخرجوه من زاويته وأخذوا رزقته التي كان قوته منها لا تتغير منه شعرة وذلك لعلمه بأن الرزق يعطيه لمن يشاء، ومع ذلك كان ﷺ يشهد أن الخلق إنما هم واسطة بينهم وبين الحق تعالى في تحويل ذلك الرزق من حيث إن له بقاء الفعل بالآلة وبغير الآلة.

(١) سورة التوبة: الآية الكريمة / ١١.

(٢) بالأصول: «دون»، ولا مفهوم لها، وما أثبتناه أقرب للصواب.

قال ﷺ قد تحققت بحمد الله تعالى بهذا الخلق لما أخذ جماعة السلطان مكاتيب وقف زاويتي وأشاعوا أن أصل ذلك من إقطاع السلطان للعسكر فلم يتغير مني شعرة واحدة على جماعة السلطان.

وكذلك وقع لي لما أخذ عبد الله بن بغداد حليات عليّ وختم عليها وكانت نحو خمسمائة حالة^(١) لم تتغير حتى عليه شعرة ولم أتلظ بدعوة واحدة. انتهى كلامه بحروفه.

وكان ﷺ لا يتردد إلى بيوت جميع الحكام إلا لضرورة شرعية ترجع على عدم ترده مما ينفع أحداً من المسلمين.

وكان ﷺ يعظم ولاية زمانه كثيراً من قاض ومحتسب وكاشف وشيخ عرب على الوجه الشرعي أو العرفي أدباً مع الله تعالى الذي وَلَّاهُمْ لَا لَعْلَةَ أُخْرَى. وفي تواضعه لهم دققة قل من ينتبه لها وهي أن ذلك الأمير أو القاضي أو المحتسب مثلاً ما طلع لفقير ليزوره حتى خلع كبريائه وعظمته وفخامته^(٢) تحت عتبة الفقير ولم يجتمع بالفقير إلا وهو يرى نفسه دونه ولو أنه لم يخلع عظمته وكبريائه وفخامته ما طلع له قط على وجه الإجلال. وأما كونه ظلم نفسه أو غيره فكلنا كذلك خطاءون فلا مزية للفقير عليه فإذا: الأمير له الفضل على الفقير في تواضعه له وخلع عظمته لأجله فاللائق بالفقير إكرام الأمير إذا كان كذلك.

وكان ﷺ لا يحب تردد أحد من الأكابر إليه من عالم أو صالح أو أمير أو كبير فيتشوش من تردهم إليه تعظيماً لهم خصوصاً إن أتى أحد منهم ماشياً كما كان يفعله معه الشيخ شهاب الدين بن الشلبي الحنفي وأخوه الشيخ سراج الدين فكان ﷺ يذوب من الحياء منهما إذا فعلا ذلك.

(١) كذا بالأصول.

(٢) بالأصول: «فخامته»، وما أثبتناه أقرب للنصواب.

وكان ﷺ لا يخاف من تهديد أحد من الولاة بسبب كلام نقله إليهم أحد من الحسدة عنه في حقهم ونحو ذلك إلا إن كان ذلك الخوف من حيث تخويف الحق تعالى له أو لكونه تعالى أمره ألا يلقي بنفسه إلى التهلكة، كل ذلك لعلمه بأن الظلمة ليس لهم حكم إلا على من يحب الدنيا بقلبه وهو ﷺ ليست بقلبه ولا يحبها بطبعه وقلبه محشو بحب الله عز وجل ورسوله ﷺ والعلماء والصالحين وساكن البيت يحميه من كل ظالم واليقين الحق أن رسول الله ﷺ والعلماء والصالحين إنهم يحبونه.

وكان ﷺ يأمر بالمعروف كل كبير دخل عليه من أمير وكاشف وشيخ عرب وغيرهم ولو علم أن ذلك الأمر الذي نهاه عنه من علامات الساعة لأنه مقيد بذلك ولو خالفه الناس.

وكان ﷺ حسن السياسة لمن رآه يبغض أخاه المسلم بغير حق وذلك بإقباله عليه وبشاشته له فإذا مال إليه سارقه بذكر الصفات التي تميل الخاطر إلى عدوه شيئاً فشيئاً ولا يقول لأحدهما قط لا تعد تطلع لي إلا إن طاب خاطر فلان عليك لأن في ذلك إظهار العصبية مع أحد الخصمين فيصير خصماً آخر يحتاج إلى ثالث يصلح بينهم.

وكان ﷺ كثير التعظيم للأشراف وإن طعن الناس في نسبهم أدباً مع رسول الله ﷺ وكذلك كان يعظم أولاد العلماء الصالحين ويكرمهم ويجلهم ولو كانوا على غير قدم الاستقامة ومن تعظيمهم عدم الزواج بابنتهم أو زوجتهم التي طلقوها أو ماتوا عنها.

وكان ﷺ إذا كلمه أحد وهو يقرأ القرآن أو الحديث أو العلم لا يرد عليه إلا بعد قوله: دستور يا الله أكلم عبدك في حاجته، أو دستور يا رسول الله أكلم فلاناً، أو دستور يا سيدي محمد يا ابن إدريس مثلاً أريد أن أكلم فلاناً.

كل ذلك أدباً مع الله تعالى ورسوله ﷺ وأئمة دينه رضي الله عنهم أجمعين. وكان ﷺ لا يمد رجله في ساعة من ليل أو نهار إلا بعد قوله: دستور يا الله أمد رجلي وذلك لعلمه أنه بين يدي الله تعالى على الدوام شعر بذلك أم لم يشعر. قال فإن لم يمكن ذلك كشفاً وشهوداً فأيماناً ولهذا الأدب حلاوة عظيمة لا يقدر قدرها.

وكان ﷺ لا ينام في الثلث الأخير من الليل أو في ليلة الجمعة أو ليلتي العيدين أو ليلة النصف من شعبان أو ليالي القدر ونحو ذلك من الليالي الفاضلة. وكان ﷺ لا يحزن على شيء فاته من الدنيا ولا يتكدر ممن صدها عنه وذلك لعلمه بأن كل شيء فاته ليس هو رزقه. كيف يحزن على ما لم يقسمه الله تعالى له.

وكان ﷺ ينشرح صدره إذا بات وليس عنده شيء من الدنيا ويضيق صدره إذا بات وعنده دينار أو درهم ولا يأوي إلى بيته تلك الليلة حتى يجد من يأخذه منه ولم يزل على هذا الخلق إلى دخول سنة سبع وخمسين وتسعمائة وأطلع الله تعالى على أمر دعاه إلى أن يضع عنده دائماً نحو المائة نصف تسكينا للجزء الذي يضطرب في الإنسان ويهتم بالرزق وينسى ضمان الله تعالى لرزقه ويخاف أن يضيعه وهو تعالى يرزقه من حيث كان في بطن أمه ما نسيه يوماً واحداً.

وكان ﷺ دأبه الرضا من ربه عز وجل إذا قدر عليه سهواً أو غفلة كما يرضى من ربه إذا قدر له طاعة على حد سواء لكن من حيث الكسب لأن للسيد أن يستعمل عبده تارة في صحن المسك وتارة في ثقلب الزبل والله عليم حكيم.

وكان ﷺ لا يعتد بطاعاته على وجه الاعتماد عليها دون الله تعالى لأن كل من اعتمد على غير الله تعالى تخلى عنه في الآخرة.

وكان ﷺ يستحي أن يقول في صلاته خشع لك سمعي وبصري، وهو بخلاف ذلك فيعقبه بقوله «خشوعاً استحق به الخسف والمسح لولا حلمك وكرمك لأن سداي ولحمتي الذنوب والخطايا بالنسبة لجلال وجهك»، ومن كان هذا مشهده استغفر من جميع طاعاته لما فيها من سوء الأدب لقول رابعة العدوية «استغفارنا يحتاج إلى استغفار». انتهى.

ورأيت في آخر كتابه «الجواهر والدرر» صورة مكتوب كتبه لبعض معاصريه

وهو:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الفقير الحقير الدليل الذي استحق الخسف به حال صلاته فضلاً عن غيرها عبد الوهاب بن أحمد الشعراني إلى الأخ العزيز العالم الصالح الورع الزاهد الشيخ سعد^(١) الدين الذهبي نفعا الله تعالى ببركاته سلفه في الدنيا والآخرة آمين. سلام الله تعالى ورحمة الله وبركاته والصلاة والتسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

وبعد فلاني عبد مذنب قد صرت أسير الخطأ وما بقي يرجى لي صلاح حال ما بقيت في هذه الدار والمستول من فضل الأخ أن لا ينساني من الدعاء بإصلاح الحال والأمان من خسف الأرض بي في هذا الزمان فلاني عجزت عن رد نفسي عن المعاصي الظاهرة والباطنة وعن أكل الحرام والشبهات حتى اسودَّ قلبي ووجهي وقد صرت محسوبا على الأخ فيسأل الله تعالى أن يحميني من الأكل من هدايا الظلمة وكل من لا يتورع في كسبه فإن الأعمال الواقعة على جوارح العبد تكون بحسب اللقمة فإن أكل خلاف الأولى تولد من ذلك فعل خلاف الأولى.

ونقول أستغفر الله العظيم بعد السلام،

وكتبه عبد الوهاب عفا الله عنه حامداً مصلياً ومسلماً والحمد لله رب العالمين.

وكان ﷺ ينفر طبعه ممن يمدحه في المجالس بنظم أو نثر من حيث خوفه من رؤية نفسه لمثل ذلك ثم يشكر الله تعالى على إطلاق بعض الألسن بمدحه مع عدم

(١) بالأصول شمس بدلاً من سعد، ولعله جمع بين اللقبين إذ ذكره الغزي باسم محمد بن علي، والمعروف أن شمس الدين لقب لمن تسمى من العلماء بمحمد، وما اثبتناه من الطبقات الصغرى والشيخ سعد الدين من شيوخ المؤلف في العلم كان كثير الصدقة وأوصى بهال جزيل للفقراء والمساكين. توفي سنة تسع وثلاثين وتسعمائة على الأرجح كما في شذرات الذهب ٨ / ٣٥ والكواكب السائرة ٢ / ٧.

استحقاقه لذلك ثم يفتش نفسه فربما كان حب المدح كامناً فيها فيخرجه منها فكان
ﷺ ينظر بثلاث عيون: الأولى، خوفه من فتنة المدح. الثانية، اعترافه بنعمه الله عليه
بالمدح. الثالثة، يتفقد نفسه ويخرج منها كوامن محبة المدح. فتأمله فإنه نفيس.

وكان ﷺ لا يؤاخذ عدوه على عداوته لأنها إما أن تكون بحق فالمؤاخذة حماقة
وإما بغير حق فالعدو مسكين مبتلى في دينه تحت الرحمة به والدعاء له لا الغضب عليه
زيادة على ما هو فيه من المقت، فالعاقل من عامل الناس بما له فيه الأجر لا بما يجبر له
الأوزار.

وكان ﷺ يبالغ في مدح عدوه إذا مدح عنده وذلك سداً لباب العداوة. وكان ﷺ
لا يبادر بالإنكار على من رآه يأخذ شيئاً من الظلمة من مال أو طعام أو لباس أو غيرها
فربما يأخذه ويعطيه لمستحقه من المضطرين فيما بينه وبين الله عز وجل. وكان ﷺ لا
يعادي أحداً ممن يقوم في الليل أو بعضه من مُصَلٍّ أو ذاكر أو مؤذن بغير طريق شرعي،
فربما حفتهم العناية الربانية فغفر لهم ما مضى وما يأتي فصار أحدهم لا يرد له دعاء.
ولأن الشيخ كان من أهل الحضرة الإلهية وهي لا يدخلها مشاحن ولا مبغض ﷺ.

وكان ﷺ كثير الأدب مع قضاة زمانه ولا يبطل لهم حكماً في العقود والأنكحة
ويرى صحتها لأن طاعاتهم غلبت على معاصيهم من عدول وقضاة. وكان ﷺ لا
يخون إمامه بالغيب أو نائبه أو القاضي أو نائبه أو شيخه أو مؤدبه أو مربيه أو كافله
ونحوهم وفاء بحقهم لا خوفاً من عقوبته أو مؤاخذته فإن منعه السلطان أو نائبه أو
القاضي أو نائبه أو القاضي أو شيخه أو مؤدبه أو مربيه أو كافله من شيء لا
يفعله في غيبته حفظاً لعهودهم.

وكان ﷺ يضيق صدره من الأكل وحده كما يضيق إذا صلى منفرداً وينشرح
إذا أكل مع جماعة كما ينشرح إذا صلى مع جماعة على حد سواء لأمر الشارع بالجماعة في
كل من هذين الأمرين والعلة في الجماعة التعاضد والتآلف لنصرة الدين وإقامة
للحدود ودفعاً للمنكرات وإظهاراً للشعائر العبادات.

وكان ﷺ يكره الأكل من طعام النذور والأعراس الواسعة والعزائم والجمع وتمام الشهر. فلم يأكل ﷺ من ذلك مدة حياته تشريفاً لنفسه ومكرمة لها لأمرور يعلمها تدق على أمثالنا.

وكان ﷺ إذا ظلمه أحد في ماله أو عرضه بادر إلى شهود أنه من الله تعالى وفيه حكمة له ونفع باطني راجع إليه ولا يتكدر من ذلك الظالم بل يرى أن ذلك بعض ما يستحقه في بعض ذنوبه السالفة منه.

قلت: ويرى بعين أخرى الغيظ على من ظلمه لتعديه الحدود الشرعية ويسأل الله تعالى له التوبة والغفران وإذا غفل عن التوبة ذكره بها حتى لا يكون السبب في عقوبته، والله أعلم.

وكان ﷺ يسمع تسبيح الجهادات والحيوانات في أوائل دخوله الطريق وذلك أنه كان يصلي صلاة المغرب خلف إمام جامع الغمري فانكشف له الحجاب عن قلبه من صلاة المغرب إلى طلوع الفجر وصار يسمع تسبيح جميع ما في مصر من جهاد وحيوان ثم اتسع إلى سماع تسبيح جميع ما في قراها ثم تسبيح ما في سائر الجهات إلى البحار المحيطة وسمكها وسمعه يقول في تسبيحه: «سبحان الملك الخلاق رب الجهادات والحيوانات والنبات والأرزاق، سبحان من لا ينسى أحداً من خلقه ولا يقطع بره عمن عصاه»، وذلك في سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة ثم إن الله تعالى رحمه وأسدل عليه الحجاب ولولاه لذهل عقله.

قلت وبهذا يؤيد قول من قال بحياة كل ما في الوجود حتى الجهادات، والله أعلم.

وكان ﷺ إذا قرب من جامع الفاكهاني بنحو سبعة أذرع متوجهاً من الغورية إلى باب الجامع، وكذا من باب الكتبيين إلى مدرسة الأشرافية بنحو سبعة أذرع أيضاً ترعد فرائضه من الهيبة والجلال والخشوع من كثرة ما وقع له فيها من التجليات الإلهية والآداب الربانية والتهديدات البشرية^(١).

(١) كذا بالأصول.

وكان ﷺ يقول في حق هاتين البقعتين ولو أني كنت سلطاناً لحولت الطريق عن هاتين البقعتين وجعلتهما مسجدين لأمر لا تذكر إلا مشافهة.

وكان ﷺ لا يسلم لنفسه دعواها العجز عن القيام بالطاعات وفي الصلاة حال مرضها فيمتحنها بالوقوف في الصلاة. فإن وقعت^(١) قهراً عليها المرة بعد المرة صدقها وصلى جالساً، فإن النفس مجبولة على عدم الطاعة لله تعالى وشأنها الكسل والإبابة.

وكان ﷺ أكثر أهل عصره شفاعاة عند النواب والقضاة والكشاف والعمال والمحتسين وأرباب الدولة ومشايخ العرب ولا يرد أحد منهم شفاعته ولا يطلب منه كرامة. ولم يعارضه في بلد وقفه ولا في رزقه ولا في مزارعه ولا في مراكبه ولا في طواحينه ولا في شيرجته ولا في حوانيته ولا يأخذون منه شيئاً بسببها لا مكساً ولا موجباً ولا عادة ولا سحبة ولا غير ذلك ولا من أتباعه من قديم الزمان وإلى تاريخه مع زيادة التعظيم والإكرام والاحترام له ولذريته ولأماكنهم ولجميع تعلقاتهم.

وكان ﷺ إذا أهدى لأحد هدية في حجج أو ولادة أو ختان أو زواج أو غيرها لا يتشوف إلى طلب مكافأته في تلك الهدية بل كان يحمر نيتة فيها ويقطع النظر عن مقابلته بمثلها أو ضعفها ولا يخطر ذلك بباله.

وكان ﷺ ينشرح صدره بالصدقة سرّاً لا لكونها تضاعف عن صدقة العلانية بسبعين ضعفاً وإنما هو امتثال للأمر الإلهي ولعدم الملك له مع الله تعالى وفي الإعلان بها شائبة الملك وهم يتبرأون من ذلك.

وكان ﷺ لا يستعين في حجاجته بشيء من الظلمة من جمال أو زاد أو أثاث أو غيرها مع اعتقادهم فيه وطاعتهم له في جميع ما يطلبه منهم وكانت جماله وزاده ومؤونة الذهاب والإياب من زراعاته للبطيخ والنيلة وغيرهما وليس فيها درهم من أحد ممن في ماله شبهة.

(١) بالمطبوع: «وقفت»، وما أثبتناه مرافق للمعنى.

وكان ﷺ معه من العيال في الطريق نحو ثلاثين نفساً وقل من يسافر بمثل هذه الأنفس من الفقراء ويكون جميع مصرفه حلالاً.

وكان ﷺ لا يأكل من الضحايا التي تأتي إلى زاويته من الكشاف أو العمال أو مشايخ العرب أو المباشرين أو التجار الذين يبيعون للظلمة وإن ضحاهها جعلها عن أصحابها لا عن الفقراء لأن مشروعيته لإمالة الأذى عن صاحبها وهو خاص بالحلال الطيب.

وكان ﷺ لا يتكدر ممن ذهب إلى زيارته من الأمراء أو العلماء أو الصالحين أو أتباعهم ولم يأذنوا له في الدخول ولو سمع من أحدهم قوله فيه: بش من ذكرت، أو يقول، قولوا له: الوقت ما هو فارغ لمثلك، وأيضا لا يتكدر إذا أغلق بابه في وجهه إذا رآه، ويحملهم على المحامل الحسنة بالطبع لا من باب التسلي وإزالة ما عنده.

وكان ﷺ يتفقد جميع ما في بيته من هر أو نمل أو فأر أو عرس ويجعل له الزاد على حجره ويقصر عناءهن ولا يمنع الهرة مما بين يديه من الزاد حتى إذا كان بين يديه دجاجة يعطي الهرة وركها ومن بقية طعامه، وإذا خطفت الهرة من بين يديه الدجاجة كلها لا يلحقها ولا يأمر غيره بأخذها منها، بل يمنع عنها من يريد أخذها منها ولا تقوم له شعرة بسبب ذلك رحمة منه بها وشفقة على عياله وهي منهم.

وكان ﷺ يحضر بقلبه حال أكله وشربه بين يدي الله عز وجل لشهوده أن الذي قدمه إليه هو الله تعالى حقيقة، فيصير كأنه في الصلاة بين يدي ربه عز وجل وإن أكل أو شرب بغير هذا المشهد، استغفر الله تعالى منه وتاب إليه من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وكان ﷺ لا يطعم ضيفه ولا أهله ولا أولاده ولا أصحابه شيئاً فيه شبهة، ولو طلبوا منه ذلك ورضوا به، منعه عنهم، كما يمنع الحكيم المريض من أكل شيء يضره ببطء المرض أو عدم البرء منه.

وكان ﷺ لا يتكلف للضيف ولو كان أميراً أو كبيراً فيضع بين يديه ما حضر من الزاد. ولذلك لم يحصل عنده سامة من الضيفان ولو بلغوا الألف نفس لأن كل من تكلف للضيف كرهه وسئمته نفسه.

وكان ﷺ لا يعلم أصحابه ولا أحبائه بولائمهم أو أعراسه أو ختان أولاده خوفاً من أن يتكلفوا ويساعدوه فيها بغير نية صالحة، وإن غلب عليه أحد ممن حوله لا يتورع عن مثل ذلك أظهر له الغضب الشديد عليه، وإن أعلموا أحداً من الأمراء أو المباشرين أو التجار منعهم عن ذلك ولم يقبل منهم شيئاً.

وكان ﷺ لا يتداوى بطب يهودي ولا نصراني لعدم ثقته بقوله شرعاً، بل كان يطب نفسه بنفسه ويعمل لنفسه الأدوية النافعة مع علمه أن الدواء لا يشفي المريض إلا بإرادة الله له الشفاء، فكان ﷺ يتداوى مع التسليم لله تعالى في حصول الشفاء في الوقت الذي يريد الله عز وجل فيجمع بين الأجرين البتداوي والتسليم.

وكان ﷺ إذا عاد مريضاً توجه إلى الله تعالى وسأله شفاؤه أو ينقل مرضه إليه وتسمح نفسه بالتحمل عن ذلك المريض وفدائه بنفسه وتحمل المشقة عنه، ومع ذلك لا يرى له فضلاً على ذلك المريض إذا انتقل إليه وخرج به من عنده كما وقع له ذلك مراراً.

وكان ﷺ راضياً عن ربه إذا قسم له السير من الرزق على حد سواء، وهو مقام جليل لمن كان اعتماده على الله تعالى لا على أعماله وأمواله.

وكان ﷺ يأخذ كل ما سمعه من واعظ أو خطيب أو أمر بمعروف أو ناه عن منكر في حق نفسه بالأصالة على لسان الشارع ﷺ ولا يجعل خطابه لغيره كما يفعله غالب الناس من الفقهاء والفقراء.

وكان ﷺ يفرح بكل شيخ أو واعظ ظهر في حارته وصار يلتقط أصحابه واحداً بعد واحد حتى لم يبق حوله منهم أحد وهذا الخلق أكمل أخلاق الرجال الذين خلصوا من رعونات نفوسهم.

وكان ﷺ يحب زيارة إخوانه ولا يكلفهم قط لزيارته ولا لعيادته إذا مرض ولا لصلاة الجمعة عنه ولا يعلمهم بمرضه، وإن وقع أن أحداً منهم زاره أو عاده، يرى ذلك فضلاً من الزائر أو العائد ابتداءً.

وكان ﷺ يشهد جميع الفضائل والكرامات التي تقع على يده أنها لله تعالى بالأصالة وليس له منها سوى ظهورها على جوارحه، فسواء أعطاه الله تعالى جميع الكرامات أو سلبها عنه، فهو عنده سواء.

وكان ﷺ يحفظ الأدب مع أصحاب الوقت من العلماء والصالحين غيبة وحضوراً فلا يدرس ولا يعظ ولا يذكر حتى يقول بقلبه ولسانه: دستور يا أصحاب الوقت أدرس وأعظ أو أذكر بحكم النيابة عنكم، لأن من فعل ذلك أمن من ارتجاج الكلام عليه ومن غفلة قلبه.

وكان ﷺ يستأذن أصحاب النوبة كلما خرج من بلده أو دخلها وقصده بذلك أن يكون تحت نظرهم حيث كان ولا يطلع القلعة أو يدخل بيت حاكم في شفاعته أو حاجة لأحد حتى يقول بقلبه وتوجه تام عند عتبة الدار أو القلعة: دستور يا أصحاب النوبة جبهتي اليوم تحت نعالكم فلا حظوني مع هذا الأمير أو هذا القاضي، فلا يخرج إلا بقضاء الحاجة أو الشفاعته بإذن الله تعالى وبركاتهم.

وكان ﷺ يكره الجلوس في الجامع على حدث أصغر لكون الملائكة لا تزال تصلي على العبد مادام جالساً في المسجد على طهارة وصلاة الملائكة مقبولة غير مردودة.

وكان ﷺ يوتر في كل ليلة بعد تهجده بالصلاة والقراءة والذكر تعظيماً ومحبة لما أحبه الله تعالى [فهو] "ووترٌ يحبُّ الوتر" لا لعله أخرى.

وكان ﷺ لا يستجاب له دعاء على أحد في حال غضبه ولو أذاه كل الأذى بغير حق، وكان ابتداء ذلك في سنة خمس عشرة وتسعمائة، لما حج سأل الله تعالى عند

(١) ما بين المعقوفتين يستلزمه السياق.

الملتزم بين الركن والباب بأنه لا يستجيب له دعاء في أحد من المسلمين حال غضبه عليه. فمن ذلك اليوم ما دعا على أحد واستجاب الله تعالى فيه دعاءه وإن حصل لبعض من آذاه عقوبة فإنما هو غير من الله تعالى، وكان قبل ذلك إذا دعا على أحد استجيب دعاؤه لوقته.

وكان ﷺ يتحمل البلاء عن إخوانه على طريقة القوم، وصورة ذلك أن يتوجه إلى الله تعالى في رفع ذلك البلاء الذي نزل على إخوانه وتخفيفه عنهم، فيجيبه الحق تعالى إلى ذلك، مع أنه في الحقيقة لم يحمل عنهم شيئاً إلا إذا أراد الله تعالى له ذلك وأذنه في حمله.

وكان ﷺ يكثر المشاورة لأصحابه في الأمور كلها المهمة التي لم يأمره الشارع بفعلها أو تركها مع أنه أعلم منهم بالأحوال كلها ودقائقها وذلك امتثالاً لأمر الله تعالى له بذلك في قوله خطاباً لسيد المرسلين ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾

أي الذي لم أوح به إليك. ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ أي لا على مشورتهم وتدبيرهم فإني غيور على أحبائي أن يعتمدوا على غيري.

وكان ﷺ يحضر مع الله تعالى حال جماعه لزوجته كما يحضر معه حال صلاته بجامع أن كلا منها عبادة مأمور بها، وما شرع الله تعالى جميع العبادات إلا ليحضر معه العبد فيها كما مر بسطه.

وكان ﷺ كثير الشفقة على ذريته قبل ظهورهم ووجودهم وذلك أنه لا يجمع أمهم قط وهو غافل كما مر آنفاً ولا وهو غضبان ولا وهو شديد المحبة للدنيا ولا وهو مخاصم لأحد على الدنيا ولا وهو يحسد أحداً ولا وهو متكبر على أحد من المسلمين عملاً بقول بعض العارفين «إن الولد يُكَوِّنُه الله تعالى بقدرته ويخرجه متصفاً بالصفات التي كان والده عليها حال الجماع». قال: وهذا، وإن لم ترف فيه دليلاً من

(١) سورة آل عمران: الآية الكريمة / ١٥٩.

(٢) سورة آل عمران: الآية الكريمة / ١٥٩.

الشارع فالتحرز منه أولى، والله غالب على أمره، إذ لا تأثير للطبيعة في تخليق الولد فافهم، والله أعلم.

وكان ﷺ إذا مرض يرسل له رسول الله ﷺ من يعود من أهل بيته إما واحداً وإما اثنين، فإذا رآهما شفيّ لوقته بإذن الله تعالى ووقع له ذلك [كثيراً]^(١).

وكان ﷺ لا يتكدر ممن ناداه باسمه المجرد من غير لفظ سيادة أو شياخة أو كنية أو لقب حسن، وذلك لعلمه بأن الاسم المجرد عن ذلك هو الصدق المحض بخلاف الألقاب والكنى فإنها ربما دخلها الكذب.

وكان ﷺ لا يبغض أحداً من الأشراف ولا أحداً من الأنصار وذريتهما كذلك، ولو آذوه أشد الأذى، لأن بغضهم بغير غرض شرعي معاداة للإيمان، ومن عادى إيمانه لا يخفى حكمه.

وكان ﷺ يحفظ حرمة أشياخه أحياء وأمواتاً حين بلغ زيادة على رتبهم ويزجر كل من رآه يرفع مقامه على أشياخه بالقلب واللسان سيما إن قال له أحد أنت خليفة الشيخ الفلاني يزيد زجراً له، لأن من شرط الخليفة الحقيقي أن يكون على صورة من استخلفه في الأخلاق والعلوم والمعارف والأسرار والكرامات والخوارق، وهو لا يرى له مقاماً مع أشياخه ﷺ وعنهم أجمعين.

وكان ﷺ لا يستفتح بمجلس ذكر قط وهناك من هو أكبر منه سناً أو أحد من الأشراف ولو صبيّاً بل يعزم عليه المرات العديدة حتى يفتح المجلس للذكر عملاً بحديث «كبر كبر»^(٢) ولكون الشريف بضعة من رسول ﷺ وللجزء من الحرمة ما للكل.

وكان ﷺ لا يأخذ على مريد عهداً ولا يلقنه ذكراً إلا إن كان خالياً من شيخ ينتمي إليه من المشايخ ثم يسوق إليه السياقات في ذلك، فإن كان له شيخ ولو بالاسم

(١) ما بين المعقوفين منم للمعنى.

(٢) رواه البخاري في الصحيح، كتاب الجزية ٢٩٣٧ والأحكام ٦٦٥٥١ ورواه مسلم في كتاب القسامة والمحاربين والقصاص والديات ٣١٦٠٢ وغيرهما.

فقط أو لم يظهر له منه رغبة تامة في طلب الطريق لا يأخذ عليه عهداً شفقة عليه أن يمقت لتلاعبه بالطريق مع عزة مراقبيها.

وكان ﷺ كثيراً ما يوجه أقوال الأئمة من الفقهاء والصوفية بأحسن توجيه لاطلاعهم على منازعهم، وربما دخل عليه أحد وهو يوجه مذهب الإمام أبي حنيفة ﷺ فيعتقد أنه حنفي المذهب، والحال أنه من المقلدين للإمام الشافعي ﷺ.

وكان ﷺ لا يحب التمييز عن إخوانه في مجلس ذكر أو علم، فلا يجلس على سجادة أو مضربة إلا لعذر شرعي، ثم يطلعهم على ذلك العذر خوفاً من وقوع أحد منهم في سوء الظن به.

وكان ﷺ لا يحتجب عن حاجة ملهوف أو مكروب في أمر محمود يريد منه كمن طلبه ظالم ليأخذ ماله أو من فقد ولده أو ماله أو من يريد الاسترشاد في طريق القوم أو من أخرجوا عنه وظيفته التي منها معاشه عادة ونحو ذلك فكان يترك كل أمر كان فيه ويخرج إليه ويبادر في قضائها بقلبه وقالبه.

وكان ﷺ يتأدب مع أصحاب الحضرات الإلهية ولا ينفرد في الوقوف بين يدي الله عز وجل قبل أن يقف أحد منهم، ولا يقوم في ثلث الليل الأخير إلا تبعاً لقوامه لشدة هيبة الوقوف بين يدي الله عز وجل.

وكان ﷺ ينتقم لأصحابه ممن آذاهم في عرضهم أو غيره مصلحة للفريقين ومحبة فيهما، فينصر الظالم والمظلوم ولا يسامح واحداً منهما لحق الآخر، وصورة انتصاره للظالم أن يكفه عن ظلمه، وأما انتصاره للمظلوم فمعلوم.

وأما انتقامه لأصحابه فإنه كان يسأل الله تعالى أن يؤدب الظالم إما بمرض وإما بزوال ما بيده من الدنيا وإما بزوال جاهه وحرمة بين الناس.

وكان ﷺ كثير المحبة لأولاد مشايخه وأصحاب مشايخه وإجلالهم وإكرامهم قياماً بواجب حق أشياخهم، وكيف يدعي أحد محبة شيخه ثم يبغض أولاده وأصحابه هذه محبة معلولة.

وكان ﷺ يحفظ حرمة أقرانه من أهل عصره من الفقهاء والصوفية في حال غيبتهم فلا يذكرهم إلا بخير.

وكان ﷺ ينفر بالطبع ممن يقبل يده لاسيما في المحافل التي يجتمع فيها وجوه الناس.
وكان ﷺ يكرم أهل الحرف النافعة ويود عدم ازدراءهم إلا بطريق شرعي كالزبال والقناواتي وغيرهم فإن هؤلاء وإن نقصوا من جهة فقط فقد فضلوا من جهات متعددة.

وكان ﷺ كثير الضجيج والضجر إذا نزل به بلاء صحبه العجز والضعف والافتقار على الدوام، ولا يسلك مسلك غيره في التجلد والتصبر لما في ذلك من مقاومة القهر الإلهي.

وكان ﷺ يكره التقدم لصلاة الجنازة في المحافل العظيمة التي يحضر فيها العلماء والأمرء والتجار لاسيما في جامع الأزهر كفاً لإثارة الفتن بين العلماء بسببه.

وكان ﷺ لا يتهاون بمكافأة من أهدى إليه هدية، بل إن علم منه عدم قبول هديته رد عليه هديته، أو علم منه أنه يعتقد فيه الصلاح كذلك خوفاً من أكله بدينه.

أزواجه وصالحهن رضي الله تعالى عنهن

وكان ﷺ قد أصلح الله له زوجاته الأربع وهن زينب وحليمة وفاطمة وأم الحسن ابنة سيدي أبو السعود بن سيدي مدين الأشموني ﷺ والثلاث الأول من محلة القصب من إقليم الغربية.

ومن جملة إصلاح كل من الأربع أنهن لا يجلسن ساعة بلا غسل ولا يخرجن صلاة عن وقتها إلا لعذر شرعي ولا يتركن قيام الليل أبداً ثم أعظمهن عبادة فاطمة وأم الحسن فأما فاطمة فربما أحرمت خلفه في الليل فيقرأ بها في الركعة الواحدة خمسة عشر حزباً فلا تفارقه إلا لبكاء طفلها، وأما أم الحسن. فكان قيامها في ليالي الشتاء على سبعين درجة أو ثمانين.

ومن جملة إصلاح كل من الأربع أنهن لم يكلفنه يوماً من الأيام إلى شراء شيء يتعلق بهن من أكل ولبس، بل هن معه على ما يفتح الله تعالى به.

ومن إصلاح فاطمة أم عبد الرحمن أنه لم يطلع قط على دخولها الخلاء وذلك حين دخل بها في سنة أحد وأربعين إلى سنة ستين وتسعمائة، وسافرت معه الحجاز مرتين وهو معادها فلم يطلع لها على قضاء حاجة ذهاباً وإياباً. ومن إصلاحها أن الجمال لم ير لها شخصاً من حين ركبت في حملها من بيتها إلى أن وصلت إلى مكة والمدينة ورجعت ونزل نساء الأكابر كلهن في مثل العقبة فلم تنزل وركبت على قتب الجمل داخل المحمل، وكانت خفيفة اللحم ومن إصلاحها أنها لا تقدر أن تركب على مُكاري ولا حمار وحدها، ولا تقدر على أن يرى لها أحد شخصاً وهي في الإزار إلا أن يكون لا يعرفها ولا تحضر عرساً لأحد ولا جمعية. ومن إصلاحها أنها لا تقدر على نظر أحد إليها حال الفصد والتداوي وعجز فيها الكحال أن تفتح عينها له لينظر داخلها فلم تقدر وشفيت العين وكانت أضيق من أختها.

كرمه وورعه في زاويته

وكان ﷺ متأهلاً لخدمة الفقراء والقاطنين عنده للعلم والقرآن والأدب من منذ ثلاثين سنة فلا يتقلق قط من التعب في تحصيل ما يأكلون وما يلبسون ولو صاروا عنده ألفاً وقد بلغوا عنده مائتي نفس ويحزن إذا نقصوا ويفرح إذا زادوا لأنه كان ﷺ يقول أن المعونة تأتي من الله تعالى على قدر المؤونة وعدوا الذين حفظوا عنده القرآن فبلغوا نحو ألفي نفس في مدة قليلة.

وقال له بعض السواحين سحت إلى بلاد الشام واليمن والعجم والروم فلم أجد مدينة مثل مصر ولم أجد فيها زاوية أكثر اشتغالاً وخيراً وذكراً من زاويتك.

وكان ﷺ إذا جاء له شيء من أموال الولاية إلى زاويته يرده عليهم وإن الجماعة المجاورين عنده إذا رده عليهم يوافقونه على رده بطيب نفس منهم وانشراح صدر

سواء أكان نقداً أو قمحاً أو عسلاً أو سمناً أو دجاجاً ولا يتحرك منهم أحد يلاقي القاصد إذا أتى بشيء من ذلك ولا يمدون يدهم إليه حتى يستشيروه في أخذه أو رده. وأرسل لهم مرة خسر فباشا مالاً عظيماً فلم يقم أحد من الفقراء لقاصده حين طلبهم ليفرق عليهم المال فتعجب منهم غاية العجب وقال: قد ازدحم علي المجاورون بجميع الزوايا التي بمصر حتى رموني على الأرض إلا أهل هذه الزاوية ودخل عليه مرة قاصد أحد الباشات بهال يفرقه على المجاورين بالزاوية فأخذه الشيخ منه وبذره في صحن الزاوية فالتقطه أطفال المكتب ولم يأخذ منه المجاورون شيئاً، فتعجب القاصد وحكى ذلك للباشا فتعجب.

وما من أحد من نواب مصر إلا وقد أرسل إليه المال الكثير فتارة يرده الشيخ ويقول للقاصد فرقه على من هو أحوج إليه منا وتارة يبذره. وجاء مرة الدفتردار أحمد بمائة دينار فقال له: خذ هذه الدراهم فتوسع فيها. فردها عليه وقال له عندي بحمد الله تعالى صندوق ملآن. فخرج وأرسلها مع مملوك له وقال له اعطها له سراً بحيث لا يراك أحد، لظنه أنه ردها رياء بحضرة الناس.

فلما دخل إليه المملوك بها، قال له يا ولدي: إذا لم آخذها من سيدك آخذها منك؟ فرجع بها إليه وقال له هذا رجل غريب في فقراء مصر. ثم صار يمدحه في المجالس.

مجلس الذكر والصلاة على النبي ﷺ في زاويته

وكان ﷺ يرى أنه جليس الله تعالى إذا ذكره وجلس رسول الله ﷺ إذا صلى عليه صباحاً أو مساءً من حين رتبته الله تعالى على يديه وذلك من سنة ثمان عشرة وتسعمائة. قال ونحن الآن في سنة ستين وتسعمائة ومن حين رتب على يده ما تعطل ليلة واحدة ولا يوماً واحداً. وكان ترتيب مجلس ليلة الجمعة ويومها بإشارة الشيخ نور الدين علي الشوني رحمه الله.

وكان ترتيب المجلس الذي بعد صلاة الصبح على لسان سيدنا ومولانا
وشيخنا أبي العباس الخضر عليه الصلاة والسلام بمصر المحروسة. فقال له: لا بأس
أنك تجلس بجماعة بعد صلاة الصبح يصلون على سيدنا محمد ﷺ، ثم تذكرون الله
تعالى حتى ترتفع الشمس قدر رمح. وكان هذا سبب ترتيبه الدعاء لحضرة الخضر في
الزاوية في قراءة الكرسي والأسباع والختوم وغيرها ولكون الشيخ ﷺ معدوداً من
تلامذته وهو أعظم أشياخه كلهم.

وكان ﷺ يسمع تلاوة القرآن وهو جالس في بيته ليلاً ونهاراً ممن يقرأ في
زاويته أو يذكر الله عز وجل وهذا من أكبر نعم الله تعالى عليه.

قال: وأظن ذلك لم يتيسر لأحد من الملوك فضلاً عن غيرهم فما يفرغ قارئ
إلا ويبتدئ قارئ آخر احتساباً لوجه الله عز وجل.

زيارة الملائكة له ﷺ

ودخل عليه مرة في الليل ثلاثة أملاك وهو بين النائم واليقظان فسلموا عليه
فقال أحدهم لصاحبيه: قد طفتم الليلة مشرق الأرض ومغربها، فهل رأيتم بقعة أكثر
ذكراً وقرآناً من هذه البقعة؟ فقالا: لا. لا. فقال أحد الأملاك لآخر فما حد ما يقبل بركة
هذا المجلس ومدده؟ فقال: ينتهي إلى حد باب جامع الحاكم من جهة باب النصر. فقال
وما حده من جهة الشرق؟ فقال: إلى حد باب الشعرية على يسار الداخل منه.

قلت ورأيت عبارة أخرى لسيدي عبد الوهاب غير هذه العبارة، أن بركة هذا
المجلس الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ والذكر الذي يتلى صبيحة كل يوم بعد
صلاة الصبح تمتد إلى بلد غزة الشام وبقدرها من كل جمعة. انتهى.

ويجمع بين العبارتين أن الأولى كانت في ابتداء ترتيبه للمجلس والثانية بعد
ثبوته ودوامه وكثرة الذاكرين فيه من جماعته وغيرهم، ولا بعد في ذلك، والله يختص
برحمته من يشاء، والله أعلم.

وكان ﷺ قد أعطاه الله تعالى من علوم الشريعة ما يكفي أصحابه المقيمين عنده في الزاوية ولا يوجههم إلى الخروج منها ليقرأوا القرآن على غيره فإن قرأ عليه شافعي في أعظم كتب المذهب من حديث وتفسير وأصول ونحو ومعانٍ وبيان وتصوف أقرأه وإن قرأ عليه مالكي في أعظم كتب مذهبه أقرأه مثل المدونة والتناهي^(١)، وبهرام والموطأ وغيرها من كتب أئمتهم أقرأه، وكذلك الحنفي، وكذلك الحنبلي، وكذلك الصوفي، وكذلك الميقاتي^(٢)، وكذلك الفرضي، وكذلك من يريد علم الطب، وكل علم يطلبوه منه وجدوه عنده، لا مانع لما أعطى قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ﴾^(٣) يعني العلم، والله أعلم.

وكان ﷺ قد حمى الله تعالى جميع الجهات الموقوفة تحت يده من المكاسين وغيرهم من تبليص الظلمة بأخذ عوائدهم كغيره مع أنه لم يكن معه مرسوم من السلطان ولا غيره بل محض عناية الله تعالى وكذلك جميع جماعته ومن انتسب إليه رحمه الله تعالى.

وكان بعض الظلمة قد تعرض للذريعة بعده فأهلكه الله سريعاً ولم يرتب عليهم شيئاً من المظالم ثم جاءتهم الأوامر^(٤) السلطانية من غير سؤال منهم بمنع جميع المعارضين لهم في شيء مما تقدم، ومن عارضهم وخالف أمر مولانا ولي الأمر فهو خارجي مهدر الدم لا يؤخذ له بقوٍ، وحثوا وأكدوا موالينا^(٥) السلاطين على العمل بأوامرهم الشريفة وحذروا من المخالفة والعمل بخلافها، فهم^(٦) بحمد الله تعالى إلى وقتنا هذا مكرمون معظمون مبجلون لا يعارضهم أحد من الظلمة إلا أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، ومن عاونهم أو أخذ بيدهم أو يد أتباعهم أخذ الله بيده وأعانه ولطف به في الدنيا والآخرة والحمد لله رب العالمين.

(١) بالمطبوع: «التناهي»، والمثبت من المخطوط والميزان ص ٥٣.

(٢) أي صاحب على الفلك الذي يعرف المواقيت الزمنية للعبادات.

(٣) سورة البقرة: الآية الكريمة / ٢٦٩.

(٤) بالمخطوط: «الأمر».

(٥) من التناهي، من... الحاجة فاعا

وكان ﷻ لا يعتمد على رزقه ولا معلوم ولا قمح ولا فول ولا زاوية ولا بيت ولا غيرها من جميع التعلقات الدنيوية، حتى لو أن شخصاً نازعه في شيء من ذلك لتركه له من غير وقوف^(١) على حاجة.

والنكته في ذلك أنها تساوت عنده الأماكن كلها من حيث كونها كلها ملكاً لله تعالى وهو عبده لا ملك له معه في الدارين وإنما هو يأكل من مال سيده ويسكن داره بالمعروف من غير استحقاق له في شيء من ذلك.

وكان ﷻ يشهد بقلبه تطور أعماله ثم تصعد إلى أماكنها من السموات والأفلاك، ومعرفة الأملاك الذين شاركهم في العمل من حملة العرش وملائكة الستور والملائكة الذين نصفهم نار ونصفهم ثلج، وذلك لأن أعماله الموافقة لأعمالهم تصعد مع أعمالهم إلى حضرة الله تعالى، ومعلوم أن أهل كل حرفة يعرفون جنسهم. قال ﷻ: ولا أعلم أحداً من أقراني الآن شاركني في هذه الأعمال التي شاركت فيها الملائكة صباحاً ومساءً فإن تسبيح حملة العرش: سبحانك اللهم وبحمدك على عفوك بعد قدرتك، سبحانك اللهم وبحمدك على حلمك بعد علمك. وأما تسبيح ملائكة الستور: سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح.

ومن تسبيح الملائكة الذين نصفهم ثلج ونصفهم نار: سبحان العلي الديان، سبحان الشديد الأركان، سبحان من يُذهِبُ الليل ويأتي النهار، سبحان من لا يشغله شأن عن شأن، سبحان الحنان المنان، سبحان الله في كل مكان. وغير ذلك مما ورد. انتهى.

وقد جعل هذه التسبيحات وغيرها في ورده صباحاً ومساءً حتى أنه يوافق الحق سبحانه وتعالى في تسبيحه نفسه بحديث الطبراني: صلاة الحق تعالى، سبقت رحمتي غضبي. فيقول هو، سبحان من سبقت رحمته غضبه، ألف مرة صباحاً ومساءً. وكذلك تسبيحات الملائكة يقول كل واحد منهم ألفاً كما تقدم جميع ذلك.

هذا في تطور العمل كله صورة، وأما تصور حروف الأذكار صوراً فيتطور كل حرف ملكاً يعمل بعمل صاحبه من البشر ويتطور كذلك من كل حرف ملك أرق وأصفى من الملك المتطور من حروف كلام البشر. وهكذا القول في تطور حروف الدور الثالث من الملائكة وما بعده، كل ملك يعمل بعمل من قبله ويتطور بأذكاره ملائكة بعددها. فلو كُشِفَ للعبد لرأى الجو كله مملوءاً من الملائكة المتطورة من ورده ثم إن هذا المشهد لا يكون إلا لمن انجلت مرآة قلبه من محبة الدنيا وشهواتها حتى صار باطنه لا يميل إلى شهوة كالملائكة.

وكان ﷺ لا يدعو على شريف ولا يتوجه إلى الله تعالى فيه إذا ظلمه وآذاه، فيرى ذلك جزاء لبعض ذنوبه، ولكونه من رسول الله ﷺ.

وكان ﷺ يفرح ويسر إذا جفاه إخوانه وتركوا زيارته ونسوه، فإن العمر قد ضاق عن مسامحة النفس بمجالس اللغو والهذيانات وعن كل عبادة ليس فيها إخلاص من علم أو عمل، فأَسْرُ الأيام عنده يوم لا يدق عليه أحد الباب، ليخلو بربه وحده، وكلما قل مجيء الإخوان إليه كلما قلت حقوقهم عليه.

وكان ﷺ يسأل الله تعالى في كل ليلة ألف مرة أن يحب نبيه ﷺ فيه لما يترتب على ذلك من المصالح فإنه ﷺ هو الواسطة العظمى لجميع الخلق دنيا وأخرى فمن أحبه واعتنى به لا يلحقه سوء أبداً.

وكان ﷺ يُطَوِّلُ روحه^(١) على عدوه إذا خالطه وادعى محبته كاذباً فلا يفضحه قط بقوله له: تكذب في محبتي، بل يوافق على دعواه ويصير يقول للناس: فلان يحبنا مع أخذ حذره منه غاية الحذر، لأنه كان ﷺ أعلم بأنه إنما خالطه ليحصي عليه زلاته حتى يتهموه بها حال غيظه وغضبه عليه.

وقد صار هذا النوع في الخلق كثيراً الآن فيظهر أحدهم الكلام الحلو والمحبة حتى كأنه من أعز المحبين، ثم في أسرع مدة يصير كلامه أمر من الزقوم والحنظل.

(١) أي يطيل صبره.

وكان ﷺ يشهد في نفسه أنه لم يوف قط شيئاً من عهود الله تعالى إلا بالاسم فقط دون إتيانه به على وجه الكمال، وذلك من أعلى مقامات الرجال. وكان ﷺ يعترف بالعجز عن القيام بواجب حق من أحسن إليه ولو بلقمة واحدة وعدم خيانه في شيء من أموره.

وكان ﷺ يكره من ينقل إليه النقائص في حق أحد ويكثر الزجر له عن مثل ذلك ويكذبه ولو علم أنه صادق سداً لباب نقل الكلام الرديء. قال وربما بلغه لي حال قيام نفسه فيدخل على التكدر، وما هكذا فعل الرجال الصادقين.

تأويله ما أشكل من كلام الأولياء العارفين

وكان ﷺ يكثر من توجيه ما صح نقله من كلام السادة الصوفية رضي الله عنهم ويرد كل ما لا يليق بمقامهم إذا نقل عنهم لكونه صار مرجع الناس في طريق القوم كما أن العلماء رضي الله عنهم مرجع الناس في علوم الشريعة الظاهرة لكل أحد. فإذا شككنا في نقل أضيف إليهم عرضناه على مقامهم في الخوف والأدب فإن قبله مقامهم أولناه وإلا رددناه.

فما صح نقله عن القوم قول الشيخ أبي يزيد البسطامي: ملكي أعظم من ملكك، أي طاعتك لي يا رب باستجابة دعائي أعظم من طاعتي لك في امثال أمرك^(١)، لأنك عظيم وأنا حقير وأنت سيد وأنا عبد.

ومما صح نقله عن أبي يزيد أيضاً قوله: بطشي أشد من بطش الله، حين سمع قارئاً يقرأ ﴿إِنْ بَطَشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾^(٢) أي لأن بطش العبد بأخيه مثلاً غير مخلوط بشيء من

(١) فيصير ما يملكه العبد من استجابة المولى عز وجل له أعظم مما يملكه للمولى سبحانه من العبادة والطاعة، وأين فعل الرب تعالى من فعل العبد؟!

ثم ينبغي أن يعلم أن هذه الشطحيات ليست أحوالاً عادية لهؤلاء الأولياء العظام، بل هي أنفاظ أجراها الحق على ألسنتهم لحكمة يعلمها. وكثيراً ما يشنن أعداء التصوف لاسيما ألوهابية بهذه العبارات على التصوف وأهله وكأنها عقائد يعتقد الصوفية ظاهرها وكأنها لغة معتادة لهم. وهذا كله كذب متعمد، نجاناً الله من سوء الظن بالعباد.

(٢) سورة البروج: الآية الكريمة / ١٢.

الرحمة لضيقه وما هكذا بطش الحق تعالى لأنه^(١) مخلوط بالرحمة، فكان بطشه تعالى أخف وألطف من بطش عبده لأنه أرحم بالعبد من أبيه وأمه، والله أعلم.

ومما صح عنه أيضاً قوله لبعض مريديه: لأن تراني مرة خير لك من أن ترى ربك ألف مرة، أي لأن المرید لو تصور أنه رأى الله تعالى، لم يعرفه، فكأنه لم يره بخلاف رؤية أبي يزيد، فإنه يعرفه فينتفع بأدابه وبالأخذ عنه، والله أعلم^(٢).

ومن ذلك قول الغزالي رحمه الله تعالى: ليس في الإمكان أبدع مما كان، أي لأن القدرة لا تتعلق إلا بالممكنات، فلا يقال، هل يقدر الحق تعالى أن يخلق إلها قديماً، لأنه سؤال مهممل، فلو خلق تعالى ما خلق فلا يخرج عن رتبة الحدوث فهو كلام في غاية التحقيق.

ومن ذلك أيضاً قول الشبلي^(٣): ذي عطل ذل اليهود، ومعناه أنا أعرف بالله تعالى من جميع اليهود، وذلك لأن ذل الدليل يكون على قدر معرفته بعظمة من ذل له ولا شك أن الشبلي^(٤) يعرف من عظمة الله تعالى ما لا يعرفه اليهود، فذله لله تعالى أعظم من ذلم له، فافهم.

ومن ذلك قوله أيضاً: ما في الجبّة بالوحدة والمثلثة^(٥) إلا الله تعالى روايتان عنه^(٦)، ومعنى ذلك ما في ذاتي فاعل حقيقة إلا الله تعالى، وفعلي ولو كان منسوباً إليّ شرعاً فهو خلقه تعالى، وهو معنى ما هو جار على ألسنة الخلائق كثيراً ما في الكونين إلا الله تعالى أو ما في الوجود إلا الله تعالى وليس مرادهم نفي غيره تعالى من الوجود^(٧). فافهم.

(١) سقط من المطبوع.

(٢) وليس المقصود برؤية الحق في عبارة سيدي أبو يزيد رضي الله عنه الرؤية الحقيقية التي تقع للمؤمنين في الآخرة على أية حال، بل هي مصطلح للصوفية بمعنى تجل خاص للحق تعالى على قلوبهم، والعبارة إرشاد للمريد ألا يقطع نظره عن متابعة شيخه مادام لم يصل إلى مقام الأخذ عن الحق عز وجل بلا واسطة شيخه.

(٣) أي أن الرواية الثانية بلفظ «الجبّة».

(٤) بالمطبوع: «عنده».

(٥) وهذا نفي صريح من الإمام الشعراني لزعم خصوم الصوفية أنهم يعتقدون أن الكون هو الله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

ومن ذلك قول أبي يزيد عليه السلام: سافرت في الله ومعناه سافرت في حب الله عز وجل، من باب قوله تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾^(١)، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا﴾^(٢)، ونحو ذلك.

ونظير ذلك قول بعضهم: سافرت من الله إلى الله، ليس المراد بذلك مسافة التحيز على الله تعالى، وإنما المراد ابتداء سفري إلى انتهائه بعون الله تعالى وقدرته لا بحولي وقدرتي. فافهم.

ومن ذلك قول سيد الطائفة الجنيـد عليه السلام: «العارفون لا يموتون وإنما ينقلون من دار إلى دار»، ومعناه، أنهم لما جاهدوا في نفوسهم حتى ماتت شهواتها، حَيَّتْ قلوبهم فلما جاءهم الموت المعروف كأنهم لم يموتوا بسهولة طلوع روحهم إذ ليس لهم علاقة في الدنيا يلتفتون إليها حتى يصعب عليهم الانتقال عنها، وما صعبت الروح على أهل الدنيا إلا لتعلق نفوسهم بشهواتها وحجابهم عن نعيم الآخرة، وأما الأكابر فإن وقع لهم صعوبة في طلوع الروح فإنما ذلك لحبهم طاعة الله تعالى في الدنيا والقيام بشعائر دينهم حباً في الله تعالى أو اهتماماً بقومهم الذين كانوا يرشدونهم حين ماتوا ويقع لهم كشف حجاب ونحو ذلك من الأغراض الصحيحة. فافهم.

ومن ذلك قول بعضهم: حدثني قلبي عن ربي، ومعناه حدثني قلبي من طريق ملك الإلهام عن ربي، فليس مراد هذا القائل أن الله تعالى كلمه كما كلم موسى عليه السلام. ومن الفرق بين وحي الأنبياء ووحى الإلهام للأولياء أن الولي يلهم بواسطة رقائق ملك الإلهام من غير أن يراه ثم لو قدر أنه يراه، لا يراه حال كلامه له إذ لا يجمع بين رؤية الملك وسماع كلامه إلا نبي، وأما الولي فإن رأى الملك لا يراه مُكَلِّماً له وإن سمع كلامه لا يرى شخصه، وذلك لأن النبي متبوع والولي تابع لأنه يدعو لشرع نبيه الذي تقرر والنبي يريد أن ينشئ شرعاً وينسخ آخره ويقرره فاحتاج إلى مزيد تأييد وتحقيق.

(١) سورة الحج: الآية الكريمة / ٧٨.

(٢) سورة العنكبوت: الآية الكريمة / ٦٩.

ومن ذلك قولهم: دخلنا حضرة الله تعالى، خرجنا من حضرة الله تعالى، ليس مرادهم حضرة الله التي دخلها رسول الله ﷺ ليلة الإسراء مثلاً وإنما مرادهم بحضرة الله تعالى حيث أطلقت في كلامهم: شهودهم وعلمهم بأن الله تعالى يراهم وهم بين يديه كما يليق بجلاله فما دام أحدهم يشهد هذا المشهد فهو في حضرة الله تعالى، فإن حُجِبَ عنه فقد خرج من تلك الحضرة كما مر تقريره في هذا الكتاب مراراً ويقال لها حضرة الإحسان.

ومما لم يصح عن القوم ما أشاعه بعضهم عن الإمام الغزالي رحمه الله أنه قال: أن الله عبداً لو سأله أن لا يقيم القيامة لأجابهم ولم يقمها. انتهى. وهذا الكلام يجب على كل عاقل عدم نسبته إلى الإمام الغزالي رحمه الله وتنزيهه عنه، لأنه يرد النصوص القاطعة في الكتاب والسنة.

وكذلك مما لم يصح عن القوم ما أشاعه بعضهم عن أبي يزيد البسطامي رحمه الله أنه قال: أن آدم عليه السلام باع حضرة ربه بأكلة، فإن أبا يزيد معدود من الكمل ويعرف وجوب الأدب مع الأولياء فضلاً عن الأنبياء فكيف ينطق بهذا الكلام الجافي؟؟

وكذلك مما لا يصح عنه ما نقله عنه بعضهم من قوله: لو شفعتني الله تعالى في الخلق أجمعين لم يكن ذلك عندي كبيرَ أمرٍ فإن غاية الأمر أنه شفعتني في لقمة من طين. انتهى. وهذا كلام لا يصدر من أحد شم رائحة الأدب مع رسول الله ﷺ فكيف ينطق به الشيخ أبو يزيد البسطامي رحمه الله.

طرف آخر من عظيم أخلاقه

وكان رحمه الله يهرب من تحمل منن الإخوان وإن لم يمنوا عليه، ويقع له في بعض الأوقات أنه يجعل ثواب عمله في ذلك اليوم في صحائف من ترك درسه من العلماء وأتى لزيارته حتى لا يفوته شيء من الخير بسببه قال، وإن كان درسه أكثر أجراً من أعماله في ذلك اليوم. انتهى.

وكان ﷺ يحترم أصحاب المراتب العالية من العلماء والصالحين والأمراء فلا يتزوج لهم قط بامرأة طلقوها أو ماتوا عنها ولو رضيت هي بذلك فلا يرضى هو له ولها بذلك أدباً مع من فارقها ممن ذكر.

وقال ﷺ: وقد يكون ذلك الولي من أهل التصريف النافذ فيطعنني بحربته في منامي فيقتلني كما وقع لسيدي محمد الشويمي تلميذ سيدي مدين الأشموني مع من أخذ زوجته بعده فقتله وقتل القاضي الذي عقد عليها بحربته.

وكان ﷺ يحفظ مقام العلماء العاملين والفقراء الصادقين فلا يجرح في مقامهم بشيء حتى أنه قام فاسق على أحد منهم بالأذية لا يقول ما سبب الخصام بين فلان وفلان بل يقول ما بال الفاسق الفلاني يؤذي سيدي الشيخ هذه الأذية كلها. قلت وتصريح ﷺ بفسق الرجل لا يكون غيبة فيه لأنه تجاهر بأذية العلماء العاملين وهي من الكبائر بل كفر بعضهم بها، والله تعالى أعلم.

وكان ﷺ إذا بلغه عن أحد أنه يجز قافيته يسعى بنفسه إليه ويزيل ما عنده حتى يصير من أكبر المحبين له والمعتقدين فيه. وكان ﷺ لا يعد أحداً بهدية يرسلها له خوفاً أن تعوقه القدرة الإلهية عن إرسالها على الفور فيتشوش بالانتظار، ثم إن وقع منه ذلك لا يرى له فضلاً عليه، بل يرى له الفضل بصبره على الانتظار مع اشتغال الخاطر، وذلك أرجح عنده من هديته ولو كانت ألف دينار، ولأن إرسالها على غفلة أحلى وأهنأ.

قال: ووالله إني إذا تعوقت عن صلاتي على النبي ﷺ في الوقت الذي جعلت ذلك فيه أو عن الدعاء لإخواني الموتى ثم إني أصلي عليه وأدعو لهم، فلا أرى فعل ذلك يجبر خلل انتظارهم على عاداتهم. انتهى.

وكان ﷺ يحب جماعة ويودهم من العلماء والعاملين والفقراء الصادقين بالغيب من غير اجتماع بهم فيودهم ويودونه ويراعيهم بالغيب ويراعونه به بحكم الإرث لرسول الله ﷺ ولمولانا أويس القرني ﷺ في صحبته البرزخية لسيدنا رسول الله

ﷺ وامثال أمره والإيمان به من غير اجتماع عليه. وكان ﷺ لا يتكدر مع صاحبه إذا خالط من يكرهه ولازمه ملازمة الأصدقاء لبعضهم بعضا. قال لأنه ربما كان قصد صاحبي بذلك مسارقة من يكرهني حتى يزيل ما عنده من العداوة والكراهة، ولا تجوز المبادرة إلى حمل الصاحب على أنه إنما خالط ذلك العدو لمحبتة فيه لغرض نفسياني.

فائدة عظيمة عنه في صلاة الاستخارة

وكان ﷺ يصلي صلاة الاستخارة في كل يوم وليلة بقصد أن تكون حركاته وسكناته كلها في ذلك اليوم أو تلك الليلة صالحة. قال: وصورة صلاة الاستخارة أن يصلي العبد ركعتين عند ارتفاع الشمس قدر رمح وبعد صلاة المغرب يقرأ في الركعة الأولى فاتحة الكتاب وقوله تعالى ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ سُبْحَنَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾^(١)، ﴿وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ وسورة ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾^(٢) ويقرأ في الركعة الثانية فاتحة الكتاب وقوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾^(٣).

وسورة ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾^(٤). فإذا سلّم دعا بدعاء الاستخارة الوارد وهو «اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب. اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك أو أسكن فيه في حقي وحق أهلي وأولادي وإخواني وجميع من شاء الله من المسلمين من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر أو الليلة الأخرى خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاقدري لي ويسره لي، وزاد بعضهم ثم بارك لي

(١) سورة القصص: الآية الكريمة / ٦٨.

(٢) سورة الكافرون: الآية الكريمة / ١.

(٣) سورة الأحزاب: الآية الكريمة / ٣٦.

(٤) سورة الإخلاص: الآية الكريمة / ١.

فيه، وإن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك أو أسكن فيه في حقي وحق أهلي وأولادي وإخواني وجميع من شاء الله تعالى من المسلمين من ساعتى هذه إلى مثلها من اليوم الآخر أو الليلة الأخرى شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري وعاجله وآجله فاصرفه عني واصر فني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به».

قال أشياخنا من فعل ذلك كل يوم وليلة لا يتحرك قط في حركة ولا يسكن ولا يتحرك أحد في حقه كذلك إلا كان ذلك خيراً له بلا شك. قالوا وقد جربنا ذلك ورأينا عليه كل خير لما فيه من الأدب مع الله تعالى والتفويض إليه.

قالوا وإذا فرغ من دعاء الاستخارة شرع في فعله أو تركه مع انشراح الصدر، فإن كان له فيه خير فلا بد أن الله تعالى يسهل عليه أسبابه إلى أن يحصل ويكون عاقبته محمودة، وإن كان عليه فيه شر فلا بد أن يضيق منه صدره وتتعذر عليه أسباب تحصيله وحينئذ يعلم أن الله تعالى قد اختار له تركه فلا يتألم لفقد بل يحمد ربه على ذلك لأنه أعلم بمصالحه من نفسه. ومعنى: «وأستقدرك بقدرتك» أي إن كان لي في فعله خير فأقدرني على تحصيله بقدرتك التي تخلقها في عبادك فإنك تقدر أن تخلق لي القدرة على تحصيله ولا أقدر، أي ليس لي قدرة أحصله بها. ومعنى: «وأنت علام الغيوب»، أي ما غاب عني مما تعلمه أنت دوني.

ومعنى: «فاقدره لي» أي فاخلقه من أجلي وأظهر عينه على يدي. ومعنى فاصرفه عني أي لكونه استحضر في خاطري حتى إنه اتصف بضرب من الوجود وهو تصويره في خاطري أي فلا تجعله يا رب حاكماً بظهور عينه على يدي مع أنه ليس [لي] خير في فعله.

ومعنى: «واصر فني عنه» أي حُل بيني وبين وجوده في خاطري واجعل بينه وبينى الحجاب الذي بين الوجود والعدم حتى لا أستحضره ولا يحضرنى. ومعنى:

(١) ساقط من الأصول وهو ضروري لسلامة العبارة نحواً، وهي كما أثبتناها في لطائف المنن ص ٣٥٦، ط عالم الفكر.

«واقدر لي الخير حيث كان»، أي لأنك عالم بالأماكن التي لي الخير فيها من غيرها.
ومعنى: «ثم رضني به» أي اجعل عندي السرور والفرح بحصوله أو بتركه. انتهى.

فاعلم ذلك واعمل به ولو في كل أسبوع أو شهر أو سنة أو سنتين أو أكثر،
وتقول في الدعاء «اللهم إن كنت تعلم أن جميع ما أتحرك فيه أو أسكن من يومي هذا
لي مثله من الأسبوع الآخر أو من الشهر الآخر أو من السنة الأخرى أو من آخر
العمر..... إلخ».

وكان ﷺ لا يسكت الجماعة من القرآن أو العلم أو الذكر إلا بعد قوله بقلبه:
دستور بالله في إسكات عبادك ونقلهم إلى خير آخر أو لكونهم ملوا وضجروا من
الذكر أو العلم أو القرآن.

وكان ﷺ يحب الجلوس في الحلقة حيث انتهى به المجلس دون صدرها لاسيما
في المحافل. ولو أنه جلس في صدر الحلقة فجاءه شخص وحركه برجله وقال له: قم
يا فاسق ليس هذا مكانك لانشرح لذلك، وهذا الذي قلناه أعلى في المقام ممن يقول
صدر الحلقة وطرفها عندي سواء، لأنه قد يدعي هذا المقام على سبيل الفرض
والتقدير. بخلاف من جلس في الصدر ثم أقيم منه. فافهم.

ومرادنا بالانشرح عدم التكدر بالكلية لأن العارف ولو شهد أنه بين يدي
الله تعالى وذهب عنه محبة القيام له ولم يطلب عند الخلق مقاماً، ففيه جزء يحب المقام
عند الخلق مادام في هذه الدار إذ لا بد فيها من حجاب كما أشار إليه قول الإمام علي
ﷺ: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، فصرح بأن هناك غطاء ينكشف لصاحبه في
حال صحته أو حال احتضاره للموت. انتهى.

وكان ﷺ لا يعود^(١) الظلمة ولا الولاية إذا مرضوا إلا لغرض شرعي أو
مصلحة لهم بعيادته أو غيره ويكثر من عيادة مرضى المسلمين الذين لا يؤبه لهم ولو

(١) بالأصول: «يعيد».

بعد منزلهم ويتفقد مصالحهم وضرورياتهم ويحسن إليهم ويخدمهم بنفسه أو يرسل إليهم من يداويهم ويخدمهم.

وكان ﷺ لا يغفل عن إخوانه إذا سلكوا مسالك الريب ويعلمهم أن كل من سلك مسالك التهم فلا يلوم من أساء الظن فإن الشمس كما تحكم بحرارتها على الأرض لا يمكن للأرض أن ترد حرارتها عنها، وكذلك مسالك التهم تحكم على صاحبها بوقوع الناس في سوء الظن به، لا يمكنهم أن يحسنوا الظن به إلا بتأويل بعيد.

وكان ﷺ يصبر على اعوجاج زوجته أو سريته لعلمه بأنها خلقتا من ضلعه في الأصل كما ورد، فهما كظل الشاخص على حد سواء فإن كان الشاخص مستقيماً فالظل مستقيم أو أعوج فالظل أعوج ومن خفة العقل أن يستقل الإنسان بتقويم الظل وينسى الشاخص مع أنه الأصل، ثم إن الشاخص إذا كان عوجه ظاهراً تبعه الظل، أو خفياً تبعه، أو مستقيماً تبعه، فكذلك فعل الزوجة عوجاً واستقامة، ينبه الناس إلى شدة اعوجاج الزوج أو قلة اعوجاجه أو استقامته.

وكان ﷺ كثير الشكر لله تعالى والاستغفار إذا كثرت حساده أو أعداؤه فيشكر الله تعالى من حيث وجود النعمة التي حسدوه عليها ويستغفر الله تعالى من حيث وقوعهم في الإثم بسببه أو يستغفر الله تعالى لهم لوقوعهم في ذنب إبليس الذي خرج به من الجنة.

وكان ﷺ لا يقبل هدية من أحد على أنه يدعو لمريضه أو لمن أصابته مصيبة لكونه ليس هو على يقين من قبول دعائه حتى يأخذ عليه الجعالة. ولكون صاحب تلك الهدية لو لا اعتقاده في دعائته الإجابة ما أهدى إليه شيئاً، قال، ثم بتقدير أن الحق تعالى يجيب دعائه فلا يأخذ على ذلك أجراً من الدنيا، قال، وقد أرسل له بعض ولاة مصر مالاً جزياً على يد إمامه ليدعو لولده، فردّه عليه، فقال له الإمام، خذ هدية، فقال له، العلة باقية لأنه لو لا علة اعتقاد استجابة دعاء الفقير ما أهدى إليه شيء قال

له، فرقه على غيرك، فقال له، جامع المال أحق بتفرقة ليخرج يوم القيامة من عهده، فحكى الإمام ذلك للأستاذ، فحصل له اعتبار عظيم واعتقاد جسيم في الشيخ ثم أرسل ذلك المال لغيره، فبادر إلى قبوله، وقال له، قد دعونا بحمد الله تعالى لشخص من أولاد الأكابر وكان قد أشرف على الموت فعافاه الله تعالى فرجع الإمام من عنده فوجد الولد قد مات وافتضح ذلك الفقير بدعواه وما كان ينبغي له ذلك.

بعض وقائعه مع أرباب الأحوال من الأولياء

وكان رحمه الله محفوظاً من تصريف أرباب الأحوال فيه بمرض أو عزل أو سلب مع كثرة مزاحمته لهم في الشفاعات عند الحكام وكثرة معارضته لهم فيمن يشفع فيه لكونهم أتم نظراً منه لإقامة الله تعالى لهم في التصريف بالعزل والتولية وغيرهما ومع ذلك فيسأحوونه وقل من يسلم منهم من الفقراء أو العلماء، قال، وقد سبق لي معهم وقائع كثيرة في أوائل دخولي في طريق القوم، ولكن بحمد الله تعالى كلهم يحبونني اليوم، لا أعرف أحداً منهم يكرهني ولذلك ربت لهم الدعاء في الزاوية عقب السبع وعلى الكرسي.

فمن وقائعهم معي أن ثلاثة منهم عارضوني فمكثت تسعة أيام بلياليها لا أنام ولا أكل ولا أشرب حتى صار بدني كله كأنه دمل عائم وتهيأ للفتح ثم حصل الفرج على يد شخص اسمه الشيخ محمد المجذوب بباب زويلة وكان عريانياً فلقى ابن عمي الشيخ عبد السلام في طريق بركة الحاج وقال: قد عرضنا حملة ابن عمك علي ثلاثين ولياً فأبوا ولكن أنا أحملها لله تعالى وحدي. ثم قال له، بخر ابن عمك الليلة ببخور حصا لبان وجاوى وإن شاء الله ينام هذه الليلة. فأخبرني ابن عمي بذلك، فتبخرت كما قال فنمت تلك الليلة.

ومن جملة من يحمل عني سيدي علي الخواص رحمه الله، وقال لأخي الشيخ أفضل الدين: إياك أن تحمل عن عبد الوهاب شيئاً مما هو فيه ودعه يتقدم^(١) على تحمل ما

(١) بالمطبوع: «يتقدم»، ومعنى يتقدم: يدمن، تحمل البلايا.

يأتيه من الشدائد. وكذلك طلع لي في تلك الواقعة الشيخ شعبان المجذوب المدفون
بدرب البزازرة وقال لي: يقول الله عز وجل في التوراة: يا عبدي تحمل ما يرد عليك
مني، ثم نقشها لي في حائط البيت.

وكان هؤلاء الثلاثة الذين عارضوني من الأعاجم وكانوا تحت المدرسة
البرقوقية بخط بين السورين. ومما وقع لي أيضاً أن شخصاً من العجم أتى إلى مصر
فمنعه أصحاب النوبة أن يدخل إلى مصر، فجلس تجاه قبة الدوادار خارج الحسينية
وصار يقول: إيش ذنبي يمنعوني أن أدخل وعبد الوهاب يدخل وسط البلد.

فمكث يقول ذلك للهارين عليه نحو أربعين يوماً، فاطلع على ذلك الشيخ
محمد الصوفي بنواحي الفيوم فضربه وهو في محله بالفيوم فمات ذلك العجمي من وقته
فلما قدم مصرأ أخبرني الواقعة وعاب على صبري على من يؤذيني وقال أنا مذهبي
مقاتلة من قاتلني ﷺ.

ومما وقع لي أيضاً أن شخصاً منهم التف في عباءة واضطجع في مجاز الزاوية
ثلاثة أيام بلياليها حتى يجد فرصة فيؤذيني، وأنا لا أعلم به. فدخل الشيخ حسن
الريحاني فعلم من الشخص ما جاء لأجله، فضربه بعصاة وأخرجه من الزاوية فكان
أقوى حالاً منه، ثم قال لي، أما تنتبه لنفسك كيف يجيء إليك شخص يعارضك في
مكانك ثلاثة أيام وأنت لا تشعر به، فمن ذلك اليوم لم يعارضني منهم أحد.

ووقع لسيدي محمد بن هارون ﷺ الذي أخبر بسيدي إبراهيم الدسوقي ﷺ
وهو في صلب أبيه أنه عارضه قريمان صبي القريداقي، وكان من أرباب الأحوال
وهو أن ابن هارون كان إذا انصرف من صلاة الجمعة يخرج معه أهل بلده كلهم
يشيعونه إلى داره تبركاً بعلمه وولايته.

فبينما هو راجع من صلاة الجمعة إذ مر على شخص رث الهيئة ماداً رجله
وهو يفلي ثوبه فقال الشيخ ابن هارون في نفسه: إن هذا لقليل الأدب، نمر عليه ولا
يضم رجله. فما استتم الخاطر إلا وقد سلب من جميع ما معه من العلم حتى الفاتحة،

ثم تفرق الناس من حوله ولم يشيعه إلى بيته أحد، فلحق بنفسه آخر النهار ففتش على ذلك الصبي ليصاله، فلم يجده فقالوا له، إن هذا الصبي صبي القراد فلعله ذهب إلى الإسكندرية فذهب الشيخ إليه فلم يجده، فقالوا، لعله ذهب إلى المحلة الكبرى، فذهب إليه فلم يجده فقالوا لعله ذهب إلى مصر، فسافر فوجده مع معلمه يلعب بالقرد والدب في الرميّة، فلما قرب من الحلقة قال المعلم لصبيه، يا قريمان ارفع رأسك وانظر صاحبك جاء من سnehور المدينة يطلب رأس ماله، ثم إن المعلم لما فرغ قال لسيدي محمد بن هارون في أذنه، أما تعلم يا أخي أن الفقير يؤخذ عند رؤيته نفسه على أحد من المسلمين، ثم قال له مثلك في هذه الشهرة العظيمة بالعلم والصلاح والولاية يخطر في باله أنه خير من أحد من العصاة فضلاً عن الطائعين، فبالله عليك كيف ترى نفسك على غيرك بشيء حملته سحلية في قلبها وعلمت ما كنت تعلم.

ثم قال لصبيه يا قريمان، رد عليه علمه وحاله فقال، قد وضعنا علمه في قلب السحلية التي كنت جالساً عند جحرها أفلي ثوب في بلدي، فليذهب إلى جحرها وينادي، يا أم عطية فإنها تخرج فيقول لها، يقول لك قريمان ردي عليّ الوديعة التي عندك، ففتحت فمها ونفخت فرد الله تعالى علمه وحاله وصلاحه وولايته في الحال^(١).

قال وممن عارضه من أرباب الأحوال شيخنا شيخ الإسلام الشيخ صالح البلقيني رحمته الله وهو أنه مر على شخص يصحن الحشيش في باب اللوق والخلق مزدحمون عليه يقبلون يده ويصفونه بالصلاح فقال شيخ الإسلام الشيخ صالح البلقيني، لو أن الدجال خرج لتبعه أهل مصر، فما وصل مدرسته في حارة بهاء الدين حتى سلب جميع ما معه حتى الفاتحة، فحضرت الصلاة فأجلس عنده شخصاً يلقيه الفاتحة فمكث

(١) ولأعداء أولياء الله تعالى شغف بترديد هذه الحكاية على سبيل السخرية والاستهزاء بمولاي الإمام الشعراوي رحمته الله، فإله ما أجهلهم وهم يسمعون قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (سورة البقرة آية: ٢٦) أفعجزت قدرة الله تعالى أن يسلب ولياً ولايته ويخفي ذلك في قلب مخلوق من مخلوقاته؟!!

بعض أصحابه فقالوا له: قد يكون هذا الحال من الحشاش فقال، إن هم إلا حرافيش ليس لهم حال يقدرون به على سلب أحد من العلماء، فقالوا له نحن نكشف لك الخبر، فمضوا إلى الحشاش فأول ما رأهم قال صدق الشيخ وأنشأ يقول:

نَحْنُ الحَرافِيشُ لَا نَسْكُنُ عِلَالِي الدُّورِ وَلَا نُرَائِي وَلَا نَشْهَدُ شَهَادَةَ زُورِ
نَقْنَعُ بِلَقْمَةٍ وَخَلْقَةٍ فِي مَسْجِدٍ^(١) مَهْجُورِ مَنْ كَانَ ذَا الْحَالِ حَالَهُ ذَنْبُهُ مَغْفُورِ

ثم قال لهم نعم ما سلبه إلا الحشاش، فإن أراد أن علمه يرجع إليه فليصنع لنا أربعة خرفان شواء، ويأتي معنا بأربعمائة رغيف، ويجلس عندي، فكل من اشترى مني حشيشاً يزن له رطلاً من اللحم ويعطيه رغيفاً، فأبى الشيخ أن يفعل ذلك، وعظم عليه، ثم لم يزل به أصحابه حتى هياها ومضى بها وبالأرغفة إلى مخزن الحشاش، فتسامع بذلك الحشاشون فأتوه أفواجاً أفواجاً، فلما فرغ اللحم والأرغفة، قال: جزاك الله خيراً.

ثم قال، وعزة ربي ما أخذها أحد من يدي وعاد إلى بلعها أبداً، بمجرد ما يأخذها مني يتوب إلى الله تعالى عنها ويرميها في الطريق ولا يبلعها فأنا أحليهم في الباطن، وأنت حليتهم في الظاهر. فهل فعلي هذا جائز؟ فقال شيخ الإسلام، نعم هو جائز بل يثاب عليه ثواب الواجب. فقال، أحسنت يا فقيه، إن كل شيء أورث التوبة من العاصي فهو واجب. ثم قال له، أتدري أين وضعنا علمك؟ فقال، لا أدري. فقال، قد وضعناه في قلب الديك الذي فوق سطح بيتك، فاذبحه وكل قلبه يرد إليك علمك. ففعل فرد الله تعالى عليه علمه وتاب عن الإنكار فيما ليس له فيه علم ولا اختيار.

ومن عارضه أرباب الأحوال شيخ الإسلام أحمد بن حجر العسقلاني رحمته الله وهو الحافظ صاحب فتح الباري على البخاري، وهو أنه كان نازلاً من قلعة الجبل

(١) في المخطوط: «مسجد».

(٢) وهذه القصة ذكرها الإمام الشعراي أيضاً في العهود المحمدية.

بمصر المحروسة فرأى الفرغل بن أحمد^(١) رحمه الله تعالى بالرميلة، وقد أخذ البول من أوراكه طرفاً، فقال في نفسه ما اتخذ الله من ولي جاهل، وحاشا أن يكون أهل حضرة الله تعالى بهذا الحال فقال له، مكاشفاً: اتخذني وعلمني. وسلبه من علمه، وعزله السلطان عن منصب قاضي القضاة بمصر في ذلك اليوم، فقال الناس له، هذا إنكارك على الفرغل، ففتش عليه في مصر حتى وجده ودخل عليه وقال شيخ الإسلام له: تبت إلى الله عز وجل. فقال، يا قاضي أما تعلم أن من حاربنا فقد حارب الله، ومن حارب الله حاربه الله ومن يستطع حرب الله وغضبه؟! وأما هذا القدر الذي رأيتَه فإنما هو صورة اعتقادك في أولياء الله تعالى، ثم قال وعزة ربي ما فاتتني قط صلاة عن وقتها. انتهى.

ومن عارضه أرباب الأحوال الشيخ حسن الغزاوي كان له كشف صحيح فحدثته نفسه أن يناقد الشيخ محسن البرلسي المجذوب بالرميلة، فلما وقف عليه عرف الشيخ ما في نفسه، فقال أهلاً بسيدي الشيخ حسن، خاطرك عليّ، أدع لي، وقام له وأكرمه، فلما أراد الشيخ حسن الانصراف، أدار له الشيخ محسن نعله وسلبه جميع ما كان معه وعراه من الخير والكشف، فصاح الشيخ حسن، فقال له الشيخ محسن، أنت الذي جئت تناقدي وأنا لم أرح لك ولم أناقذك، وضافت مصر على الشيخ حسن لما سلب وخرج إلى بلاده. انتهى.

قال فيايك أن تبادر إلى الإنكار على أحد من المجاذيب أو أرباب الأحوال فإن قوسهم موتور على كل منكر والسلامة غنيمة.

(١) هو سيدي محمد بن أحمد الفرغل «ت سنة نيف وخمسين وثمانمائة هجرية» وضريحه بأبي تيج بالصعيد. ترجم له الإمام الشعراني في طبقاته الكبرى ص ٦٥٤، ط الآداب وذكر أنه كان من الرجال المتمكنين أصحاب التصريف، ومن المتصرفين في قبورهم. وهو من أتباع سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهما.

طائفة أخرى من أخلاقه ﷺ

وكان ﷺ يحمل هم عدوه مثلما يحمل هم صديقه لاسيما إن أحوجه الدهر إليه وجاءه وتذلل بين يديه وسأله في رد ظالم عنه فإنه يكاد يذوب في نفسه حزناً عليه ويحس بأن رأسه يضرب بطبل ليلاً ونهاراً حتى تقضى حاجته ويذول عنه الهم والغم.

وكان ﷺ يحفظ عدوه في غيبته أكثر من صديقه وذلك لأن العدو لا ترجى مسامحته ولا صفحه عنه بخلاف صديقه، وإن من اغتاب عدوه أو صفى إلى تنقيص أحد فيه وادعى العقل والصلاح فهو كاذب، لأن من عقل الرجل ألا يورد نفسه موارد الهلاك ومن شأن الصالح أن يحمل الأذى ولا يحمله لغيره.

وكان ﷺ كثير الشفقة على عدوه، وكراهته لكل شيء يؤذيه ويتكدر لأجله، فلا يُمكن أحداً يذكره بخير عند عدوه، ولا يلبس الثياب الفاخرة المبخرة إذا مر عليه ولا يصاحب له عدواً ولا صديقاً إلا بطريق شرعي، فإن مصاحبته لعدوه زيادة إثم لها، ومصاحبته لصديقه تحرك عليه الكراهة لصديقه بسبب مصادقة الشيخ لصديق عدوه، فيرى بعده عن أصدقاء عدوه وأعدائه أولى للشيخ وللعدو ولأصدقائه وأعدائه.

وكان ﷺ كثير الصبر على زوجته إذا مرضت وطال مرضها ولو سنة أو أكثر، وإن خاف ضرراً من ترك الجماع تعاطى الأسباب المسكنة للشهوة وإن مشيت^(١) بطنها خدماً وغسل ثيابها ونظف ما تحتها من القدر، وذلك كله قياماً بحق الصحبة ولو ليلة، أو ليجازيه الله تعالى بذلك إذا مرض، وإذا مشيت بطنها لا يحكي ذلك قط لصاحب له ولا صديق ولا أحد من الناس، لأن كل من عامل الله تعالى وحده لا يحب أحداً يطلع على عمله، وإذا كان معها ولد صغير لاهاه وسهر به الليالي كما كانت أمه تفعل وهي صحيحة، لاسيما إن كان ربيبه، زاد في خدمته لعلمه أن الأجر فيه أكثر من ولده لوجود الإخلاص.

(١) بالأصول: «مشيت»، والمعنى إطلاق البطن.

وكان ﷺ لا يعتب على من تخلف عن جنازة ميت عنده ولم يُصَلِّ عليه ولا يدعو الناس للصلاة عليها من بكرة النهار مع علمه بأن الميت لا يتجهز إلا بعد الظهر مثلاً، لاسيما دعاء مشايخ الأسواق والتجار في يوم سوقهم فربما طال عليهم الزمان فزهقت نفوسهم ونفرت من الصلاة على الجنازة وما بقي لهم قلب يدعون للميت به، وربما أصر صاحب الجنازة تجهيز الميت لأجل حضور أحد من إخوانه الغائبين عن بلد الميت أو حارته، فيدعو الناس على ذلك الميت وعلى من دعاهم وربما خرجوا من دار الميت بغير صلاة، وكل ذلك لعدم النية الصالحة في ذلك، والله غفور حلیم.

وكان ﷺ يرشد كل من عزل في ولايته أو خربت دياره أو افتقر إلى ما يرد عليه ذلك من الولاية وعمارة داره وغناه ويرضي ربه إلى كثرة الاستغفار ليلاً ونهاراً فإن الاستغفار يجلب ذلك كله لقوله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلَ ٱلسَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١٠﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ﴿١١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٢﴾﴾.

وكان ﷺ كل من عاداه رد الله تعالى كيده في نحره ولو كانوا مائة ألف قال ﷺ: ولم تزل الأعداء يعملون لي المكائد والحيل من غير علمي بذلك، ثم يرد الله تعالى نظير ذلك عليهم من غير توجه مني إليه تعالى فيهم وتشمت الناس بهم حتى يكاد أحدهم يذوب من الخجل حين يكشف الله تعالى سره عنه.

وكان ﷺ لا يعتمد على شيء من أعماله دون فضل الله تعالى سواء أكان بناء مسجد أو حفر بئر أو تأليف كتاب ونحو ذلك فلو جاء شخص من أعدائه وهدم ذلك المسجد أو ردم ذلك البئر أو غسل ذلك المؤلف لم يتأثر على ذلك ولو بلغ في بناء المسجد أو تحرير الكتاب الغاية فإن العبد من حين يهدي إلى حضرة الله تعالى ما أجراه على يديه فقد رد الأمانة إلى أهلها وصاحبها يفعل فيها بعد ذلك ما يشاء وأيضاً فإن الشارع ﷺ قد

(١) سورة نوح: الآية الكريمة / ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

جعل مدار نفع الأعمال كلها على النية الصالحة فإذا حصلت فقد حصل النفع به سواء عمل الناس بذلك الكتاب وانتفعوا به وبذلك المسجد أو البئر أو لم ينتفعوا بها.

وكان ﷺ يقول من كثرة حلم الله تعالى علي عدم معاجلته لي بالعقوبة على شيء من ذنوبي التي لا تُحصى عدداً مع أنني قد استحققت عند نفسي خسف الأرض والمسح لصورتي لولا حلمه تعالى وإمهاله علي.

وكان ﷺ قد تخلق بالرحمة والشفقة على سائر خلق الله تعالى من آدمي وملك وجني وبهيمة فكان ﷺ يهتم بحقوقهم ويفرح لفرحهم ويحزن لحزنهم ويضيق لضيقهم وينفرج لفرجهم ويمرض لمرضهم ويشفي لشفائهم.

وكان ﷺ يحوِّط أصحابه ومعارفه وأهل حارته وبلده وغيرهم كل يوم وليلة بما ورد في الأخبار والآثار والآيات مما يدفع عنهم الآفات والعاهات المعلقة على ذلك حتى أنه كان يحوط جسورهم أيام زيادة النيل خوفاً من أنها تنقطع قبل وقتها أو يقطعها العصاة كذلك فيعدم الناس ري أراضيهم أو بعضها.

وكان ﷺ يحوِّط زروعهم من الدودة أو الهيافة أو الفأر أو نزول المطر الذي يحرق الزرع بعد اشتداد حبه. وكان ﷺ يحوط زهر الفواكه والخضروات خوفاً عليها من البرد والحر الشديدين.

وكان ﷺ يحوِّط من يغفل عن الله تعالى من رعا ع الناس في مثل يوم خروج المحمل أو دخوله أو خروج الحجاج أو دخولهم أو كسر جسر النيل أيام الوفاء أو دخول نائب جديد إلى مصر المحروسة أو عمل مولد أو عرس أو نحو ذلك فيحوط جميع هؤلاء ودورهم وحوانيتهم خوفاً عليها أن يسرق اللصوص أمتعتهم التي فيها ﷺ ورحمنا والمسلمين ببركاته. وقوله رعا ع الناس هم العامة لا الخاصة من الأعيان.

ومما رفع الله به مقامه في دار الدنيا أنه أعطاه في سنة ثلاث وثلاثين وتسعمائة محفة من نور يطوف فيها على سائر أقطار الأرض في لحظة واحدة وكانت هذه المحفة

تطوف به على قبور سائر الأولياء التي في جميع الأرض من فوق أضرحتهم إلا سيدي أحمد البدوي وسيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنهما فإنها مرت به من تحت عتبتها رضي الله عنهما. قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله ولم أعلم الحكمة في تخصيص هذين الوليين من دون سائر الأولياء إلى وقتي هذا. انتهى.

قلت وقد يكمن الجواب عن الحكمة بتخصيص هذين الشيخين بما ذكره، أن الأول لأبوته له في طريق السلوك إلى الله تعالى "ومن البر وجود التواضع منه ولو بغير قصد، وأن التالي لحق الجيرة والمشيخة له عليه أيضاً ولخلعه عليه كل ما كان بيده من قراءة الحديث في الحجرة النبوية وتدريس العلم بالحرم الشريف كما تقدم في زيارته للأولياء ومحبتهم له في المنام وعتبهم عليه في عدم زيارته لهم وطلبهم منه زيارتهم عقب ذكر كساويه للناس، والله تعالى أعلم.

وكان رحمه الله يحبه جميع علماء الشريعة من مشايخه وغيرهم ويعظمونه ويجلونه ويعتقدونه ويتأدبون معه إذا حضر عندهم أو حضروا عنده.

وقال رحمه الله: وكنت إذا وردت على شيخي الشيخ ناصر الدين اللقاني المالكي رحمه الله يقوم لي من على مرتبته "ويجلسني عليها بجامع الأزهر ويجلس بين يدي كجلسة المتعلم فأصير في خجل منه وحياء ولا يمكنني من فعل شيء غير هذا حتى أنصرف من عنده رحمه الله.

وكان رحمه الله كل أهل عصره يقرون له بالمعارف والولاية إقراراً جازماً صادقاً لا شك فيه ولا شبهة، وكانوا كلهم يجيبون دعوته إذا دعاهم لفعل خير ويرونها من الواجبات عليهم، وكانوا يخشون غضبه عليهم ويفعلون كل ما أمرهم به ولو كان عليهم مشقة ويرونها منه عليهم فضلاً وإحساناً.

(١) بطريقين ظاهرين، الأول عن سيدي الخواص، عن القطب المتبولي بسنده إلى القطب البدوي والثاني عن سيدي محمد الشناوي إلى جده سيدي عمر الأشعث إلى سيدي أحمد البدوي رضي الله عنهم أجمعين.

(٢) المرتبة فرش سميكة مغطى بالقطن للجلوس والنوم عليه.

بعض كرامات سيدي عبد الوهاب رحمته الله

وربما كان يعطي الواحد منهم الشيء القليل الحقيق فيراه كثيراً جليلاً. وربما أعطى للمريض القشة من الأرض ويقول له تبخر بها أو علقها عليك فيأخذها فيعلقها أو يتبخر بها فيبرأ لوقته.

وربما كان يكتب في ورقة له حرفاً ويعطيها له، ويقول له، خذ هذه وعلقها عليك فتنجو من كذا وكذا، أو تبرأ من مرضك، أو تستغني أو يُوفىَّ عنك دينك أو يمهلك صاحب الدين أو غير ذلك، فيأخذها وهو مؤمن مقر معترف بصحتها ونفعها فيبلغ بها إلى مراده بإذن الله تعالى كما وقع منه ذلك مرات عديدة.

وجاءه رجل غضبت عليه زوجته وكان قد عرض عليها خمسين ديناراً وترجع له، فأبت وأبى أهلها. فقال له سيدي عبد الوهاب: خذ هذه القشة واعطها لصهرك، فإنه يرجعها لك بلا فلوس. فقال الزوج: لا تمزح معي يا سيدي، فإني مكروب مغموم فلا زالت جماعة الشيخ به حتى قبلها منه، وتوجه بها ودفعها لصهره. فقال له صهره: اذهب وخذ زوجتك ولم يعوق عليه لحظة، فتعجب الزوج والناس من ذلك غاية العجب.

وجاءه رجل عالم من ناحية دمنهور مكروب. فقال له الشيخ: ما حالك يا هذا؟ قال، اشتكاني شخص لي عليه دين لمولانا علي باشا نائب السلطان بمصر المحروسة، وقال له عني، أني رأيت قدرين ذهباً وعامودين فضة وأخذتهم. فأمر الباشا الوالي بالقبض عليّ. فقال له الشيخ عبد الوهاب: أبرئ ذمة المديون من دينك الذي عليه وحضرة نائب السلطان بمصر لا يعارضك في هذه القضية ويكذب دعوى خصمك فأبى. فقال له بعض المعتقدين في الشيخ: أطع الشيخ وأبرئ ذمة المديون. فقال، كيف أبرئه من مالي الذي عنده فلما طلع القلعة وعاین أسباب الهلاك، رجع إلى العمل بكلام الشيخ وأبرأ ذمة المديون في سره بينه وبين الله تعالى، وإذا بنائب السلطان يقول الذي ظهر

لي أن المدعي مبطل والمدعى عليه محق وإن المسطور بالقدرين ذهباً والعامودين فضة باطل مزور عليه فتعجب أرباب الديوان من خلاصه بعد معاينة هلاكه.

فبلغ ذلك لبعض المنكرين على الشيخ، فقال، كل ذلك سحر فرمدت عين المنكر واشتد وجعها عليه وصار يصيح من وجعها ليلاً ونهاراً فأرشدته أصحابه ومحبه للحضور إلى الشيخ. فقال لهم المنكر، أنا لا أعتقد فيه صلاحاً واشتد عليه الألم حتى جاءه قهراً عليه واشتكى له من وجع عينه وكان بين يدي الشيخ طعام كشك. فقال له الشيخ: كل من هذا الكشك تشفى عينك. فأبى وتوقف، وقال، الحكيم نهاني عن مثل ذلك. فقال له المعتقدون: أطع الشيخ وكل الكشك وجرب إشارته. فأكل منه مثل ذلك فبرأت عينه في الحال بإذن الله تعالى ﷻ.

وجاءه شخص يشكو القولنج وهو يصيح من شدة ألمه وكان بين يدي الشيخ طبيخ بسلّة فأطعمه منها فبرأ لوقته من القولنج بإذن الله تعالى. وكانت النصارى واليهود وغيرهم يأخذون منه الحروز والستائم والقش والتراب من الأرض لهم ولأولادهم بقصد البركة واعتقاداً فيه ثم يعلقون ذلك عليهم أو على أولادهم فيحفظون، أو على مرضاهم فيبرأون، أو مساجينهم فيطلقون بإذن الله تعالى.

وكان ﷻ يعرف اسم الله الأعظم من بين أسماء الله تعالى ومع ذلك لم يسأل الله تعالى به شيئاً من منذ عرفه إلى أن مات إلى رحمة الله تعالى أدباً مع الله تعالى أن يسأل باسمه العظيم شيئاً من الكونين ﷻ.

وأنعم الله تعالى عليه بلفظة كن وأذنه في التصرف بها فكان ﷻ لو شاء أن يقول للجبل كن ذهباً أو فضة لكان ذهباً أو فضة كما قال له، مع ذلك لم ينطق بها مدة حياته خوفاً على نفسه من سطوة الغيرة الإلهية لتشبهه بأوصاف الربوبية.

صورته الجسمانية ﷺ

وكان ﷺ قصيرَ القامة، معتدل السُّنَمَ قمحي اللون، جميل الصورة، أكحل العينين، مقوس الحاجبين، أسيل الخدين، مدور الوجه، أقنى الأنف، مدور الفم، كث اللحية المدورة وكانت لحيته ﷺ شبيهاً نحو ثلثها.

وكان ﷺ أصبع مسبحة اليمنى فيه أربع عقد دون جميع أصابع يديه. وكان ﷺ دائم النظر إلى جهة الأرض لا يرفع بصره إلى السماء من حين أخذ الصوفية. وكان ﷺ إذا دعا الله تعالى رفع وجهه وكفيه إلى جهة السماء وغمض عينيه إلى تمام الدعاء.

وكان ﷺ يلبس الرداء والطيلسان، وكان ﷺ يلبس الجوخ والأصواف المثمنة ويتصدق بها على مستحقيها.

وكان ﷺ يعرف صوت الشريف بحق ولو من وراء حجاب ويميز بينه وبين المتشرف، ومع ذلك لا يفضحه بين الناس بل يتأدب معه بظاهر الشريعة ولا يعامله بحقائق الأمور أدباً للعلامة التي انتسب إليها بظاهر الشريعة.

وكان ﷺ يعرف كلام النبوة ويميزه من غيره إذا أُدرج فيه شيء من كلام الناس.

وكان ﷺ يعرف الكتابة التي بحق من الكتابة الزور فكان يرى الحرف المزور ميتاً لا رُوح فيه. وكان ﷺ يعرف شهادة الحق من شهادة الزور ويفرق بينهما بمجرد نطق الشاهد بالشهادة. وكان ﷺ لا يخاف من مخلوق مطلقاً من حية أو عقرب أو تمساح أو لص أو جني أو ظالم.

وكان ﷺ لا يرجو أحداً غير الله تعالى في نفع يرتجيه منه لعلمه وبقينه أن الضار النافع هو الله تعالى لا غير.

واتفق له ﷺ أنه نام في قبة مهجورة بها أفاعي كبار لا يستطيع أحد دخولها من هول تلك الأفاعي، فدخلها ﷺ في ليلة حارة مظلمة ونام بها فثارت عليه الأفاعي من

كل جانب إلى الصباح ولم تقم له منهن شعرة، فلما طلع النهار وجد أثرهن في السباح كساق الرجل فتعجب أهل البلد من ذلك غاية العجب.

وسافر ﷺ مرة إلى صعيد مصر في مركب في النهر فتبع مركبه سبع تماسيح كباراً أكبر من الجاموس، ففزع الركاب منها فخلع الشيخ ثيابه بعدما اتزر ونزل النهر فلما رآته التماسيح هربت منه فطردها، حتى غابت عن أعين الناس، ثم رجع إلى المركب.

وكان ﷺ ساكناً في بيت بمدرسة أم خَوْنَد الكائنة بين السورين هو وعياله، وكان بالبيت جن يأتون له بالليل فيطفئون عليه السراج ويخوفون عياله فيفزعون منهم، وطال عليهم ذلك الحال فكمن لهم ليلة من الليالي، وقبض على رجل واحد منهم، فصار الجن يصرخ ويستغيث بالجن فلم يغثه أحد منهم، ثم رَقَّتْ رجله في يد الشيخ حتى صارت رِقَّ الشعرة الباردة، ثم أخرجها من يده فمن ذلك اليوم لم يظهر في البيت منهم أحد.

ونام ﷺ مرة في قاعة مهجورة عند بعض أصحابه فأسرج له وأغلق عليه بابها وتركه وحده، فجاءه جماعة^(١) وأطفأوا السراج عليه وعربدوا في القاعة حوله إلى الصباح فتركهم وقال لهم في أثناء ذلك: وعزة الله تعالى إن قبضت على أحد منكم لا يقدر أحد يطلقه مني ولا الملك الأحمر، ثم نام وأخذ النوم إلى الصباح ولم تقم له منهم شعرة ولم يفزع منهم.

ودخل ﷺ مرة ليلاً مغطس جامع الغمري ليتوضأ منه، فدخل عليه جني مثل فحل الجاموس وغطس في المغطس ففاض الماء من جوانب المغطس ونزل إلى ناحية الخنقية^(٢)، وكان هذا الجن ساكناً بالمغطس يؤذي كل من دخله، فنزع الشيخ ثيابه ونزل عليه في المغطس فزهم الجن من تحته، فلم يجده أحد بعد هذا اليوم إلى يومنا هذا ببركته رحمه الله.

(١) أي من الجن.

(٢) أي الصنبور.

اهتمامه لأمر المسلمين

وكان ﷺ يشارك كل من بلغه عنه أنه في ضيق من بلاء نزل به أو حبس أو عذاب أو ولادة أو مرض أو حزن أو فقد محبوب فيكون حاله كحال الذي بلغه عنه أنه في ضيق حتى أنه كان يمرض لمرضه.

واتفق له أنه مرض لمرض السلطان الأعظم مرات عديدة وجاءه السلطان وشكر فضله. واطلع على ذلك أهل الكشف من أهل عصره وأخبروا السلطان بذلك وصاروا يحدثون الناس بذلك ويقولون لهم سرألولاً حمل الشيخ عبد الوهاب الشعراني عن السلطان وجع رجله لما سافر لقتال الروافض.

وكان ﷺ إذا بلغه أن امرأة في المخاض، يحس بأنه يطلق مثلها ويحس بأن الولد نازل منه، فلا يحصل له الفرج حتى تلد المرأة، فإذا ولدت كأنه لم يكن به وجع. وكان ﷺ إذا بلغه أن أحداً يعاقب في بيت الوالي بأنواع العذاب يحس بمثل ما يعاقب به الشخص كالمقارع والكسارات وعصر الرأس وإمرار الطونس^(١) على ظهره وإدخال البوص بين الظفر واللحم والتعليق ووضع الخوذة المحماة بالنار على الرأس فيحس الشيخ بسيلان دهن رأسه وهو نازل إلى ناحية أذنيه، فيضع الشيخ يده عليه ليمسحه لاعتقاده أنه سال وخرج إلى ظاهر رأسه. وهذا خلق خاص بأكابر المؤمنين الداخلين في قوله ﷺ: «المؤمنون كالعضو الواحد إذا شكا بعضه شكا كله»^(٢).

ولما تولى علي باشا الوزارة العظمى من مصر المحروسة وتوجه لها ذهب سيدي عبد الوهاب إلى العادلية يودع علي باشا الوزير الأعظم. فقال له علي باشا الوزير الأعظم، ألك حاجة عند السلطان فإننا مقربون عنده؟ فقال الشيخ للباشا، ألك حاجة عند الله تعالى فإننا مقربون عنده؟ فسكت الباشا علي ولم يعد ولم يبد جواباً وعرف قدر الشيخ وقدر كلامه ﷺ.

(١) في منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ محمد عيش / باب الطهارة، الطونس جبل الساقية.
(٢) أخرجه الإمام مسلم بسنده عن سيدنا النعمان بن بشير ﷺ بلفظ «المؤمنون كرجل واحد إن اشتكى رأسه تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر» انظر الفتح الكبير للإمام النبهاني ٣ / ٢٥٢ طالحلي.

واتفق له ﷺ أن بعض نواب السلطان بمصر المحروسة غضب على ناظر
النظار بمصر فاختمى منه في بيته فذهب الشيخ إلى بيته لينصحه ويريه ويعلمه الأدب
مع ولاة الأمور والسمع والطاعة لهم فطلع بعض حسدة الشيخ لحضرة الباشا، وقال
له عبد الوهاب ذهب إلى ناظر النظار واتفق هو وإياه على عزلك وجلس ناظر النظار
عوضك. فانحرف مزاج الباشا على الشيخ وتوعده بالسوء بمجرد قول الحاسد له ولم
يعمل الباشا بقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن
تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهْلَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾^(١) وإذا بأمر سلطاني ورد إلى
مصر بالغضب على ذلك الباشا وسفره إليه بالإهانة فنبهه وأرشده بعض المحبين له
وقال له، هذا لعله بانحرافك على الشيخ عبد الوهاب الشعراني وإضرارك له السوء
فاستغفر ربك وتب إليه في حقه، فتاب ورجع عما كان أضمره للشيخ. وإذا بأمر آخر
ورد من حضرة مولانا السلطان بالعفو عن الباشا فيما كانوا شرعوا فيه له، فصار
الباشا من ذلك الوقت يعتقد في الشيخ اعتقاداً صادقاً جازماً به، وإذا طلع الشيخ له في
شفاعة إلى القلعة يجلسه الباشا على كرسي مُغَشَّى بالجوخ ويجلس هو على كرسي غير
مُغَشَّى بالجوخ إلى أن خرج من مصر في أكمل الأوصاف وأتم الأحوال رضي الله
عنهم أجمعين آمين.

طائفة أخرى من ممن الله تعالى عليه

وكان ﷺ يساعد أصحاب النوبة الكرام في سائر أقطار الأرض بحفظ
أدراكهم من براري وقفار ومدائن وبحار وقرى وجبال فيطوف بقلبه على جميع أقطار
الأرض في نحو ثلاثة درج.

وصورة طوافه في كل ليلة على جميع أقاليم الأرض، أنه يشير بإصبعه إلى أزقة
جميع المدائن والقرى والبراري والبحار وهو يقول: الله الله الله الله، فيبدأ أولاً بمصر
العتيقة ثم بالقاهرة ثم بقراها فرداً فرداً حتى يصل إلى مدينة غزة، ثم إلى القدس ثم

(١) سورة الحجرات: الآية الكريمة / ٦.

إلى الشام ثم إلى حلب ثم إلى بلاد العجم ثم إلى بلاد الترك ثم إلى بلاد الروم ثم يعدي من البحر المحيط إلى بلاد الغرب فيطوف عليها بلداً بلداً حتى يرجع إلى إسكندرية، ثم يعطف منها إلى دمياط ثم منها إلى أقصى بلاد الصعيد ثم إلى أقصى بلاد العبيد ثم إلى بلاد الرجراج وهي إقطاع جده الخامس وهو الشيخ موسى أبو عمران رحمته الله، ثم يعطف إلى بلاد التكرور وبلاد السكوت ومنها إلى بلاد النجاشي ثم إلى أقصى بلاد الحبش وهي سفر عشر سنين، ثم منها إلى بلاد الهند، ثم إلى بلاد السند ثم إلى الصين ثم يرجع إلى بلاد اليمن، ثم إلى مكة شرفها الله تعالى ثم يخرج إلى باب المعلاة إلى الدرب الحجازي إلى بدر ثم إلى الصفرا ثم إلى مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فيستأذنه عند باب السور، ثم يدخل حتى يقف بين يديه صلى الله عليه وسلم فيصلي ويسلم عليه وعلى صاحبيه أبي بكر وعمر، ثم يزور أهل البقيع وجميع من فيه من أموات المسلمين فرداً فرداً ثم يقول «سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ» سورة النجم «وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ» سورة النجم «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» سورة النجم.

وأسلم شخص من بلاد الحبشة عنده بمصر المحروسة. فسأله الشيخ عن بلده وعن الكنيسة الكبرى التي في آخر زقاق داره وعن شجرة النبق التي في دار جار الذي أسلم. فصدق الشيخ على ذلك وقال له: هما باقيان إلى وقتنا هذا وتعجب الأسلمي^(١) من اطلاع الشيخ على بلده وإعطائه الأمارات التي فيها، وحسن إسلامه بذلك.

وجاءه رحمته الله خادم سيدنا لوط عليه السلام إلى مصر المحروسة وحضر في مجلس الشيخ. فقال له الشيخ رحمته الله: ما فعل الله تعالى بشجر الليمون المغروس تجاه مقام سيدنا لوط عليه السلام؟ فقال الخادم، موجود يا سيدي لم يقطع منه شيء. قال الشيخ رحمته الله: مع أني لم أره إلا بعين قلبي. انتهى.

(١) سورة الصافات: الآية الكريمة / ١٨٠، ١٨١، ١٨٢.

(٢) هكذا بالأصول، ولعل صوابها الذي أسلم.

وقال ﷺ في بعض مؤلفاته: ومما مَنَّ الله تعالى به عليَّ أن أكمل بي مقام اثني عشر ولياً لله عز وجل منهم عمر بن الفارض وأبو السعود الجارحي رضي الله عنهما. هذا لفظه. انتهى.

تكميله مقامات بعض الأولياء المنتقلين

قلت: وسألت والدي رحمه الله تعالى عن معنى تكميل الشيخ عبد الوهاب مقامات الأولياء بعد موتهم فقال والدي الشيخ عبد الرحمن المليجي رحمه الله تعالى: المراد بتكميل الشيخ مقامات الأولياء أنهم وعدوا بدرجات في الجنة معلقة بأعمال يعملونها في دار الدنيا، فأخذتهم المنية قبل عملهم الأعمال الموصلة للدرجات الموعودين بها في الجنة، وعلم الشيخ عبد الوهاب ﷺ من طريق كشفه بالوعد لهم بالدرجات وعدم أعمالهم^(١) بالأسباب الموصلة لهم إلى الدرجات في الجنة بموتهم، فشرع ﷺ في الأعمال الموصلة لتلك الدرجات التي في الجنة وأهدى ثوابها لهم فبلغوا بها الدرجات وكملت بها أحوالهم ومقاماتهم، والله تعالى أعلم.

قلت ورأيت في مننه الصغرى أنه كمل مقام سبعين ولياً في البرزخ وأنه ذكر مثل ذلك في مننه الكبرى، والله أعلم.

وكان ﷺ شديد القرب من حجرة رسول الله ﷺ وإن كانت المسافة في الحس بعيدة فكان ﷺ يضع يده في أكثر أوقاته على مقصورته ﷺ وهو جالس بمصر المحروسة ويكلمه كما يكلم الإنسان جليسه ﷺ. وقال ﷺ وهذا الأمر لا يدرك إلا ذوقاً ومن لم يشهد ذلك فربما أنكره. انتهى.

وقدَّمَ ﷺ مرة لأربعة عشر شخصاً من الفلاحين رغيفاً واحداً فكفى الجميع وشبعوا كلهم منه وكفاهم وأصدرهم ذلك الرغيف وملاً بطونهم مع أن كل واحد منهم لا يكفيه الرغيف لقيات عقب غدائه أو عشائه فتعجب الفلاحون من ذلك

(١) أي انقطاع أعمالهم التكليفية.

غاية العجب. وقَدَّمَ ﷺ أيضاً مرة لسبعة عشر شخصاً قدر صحن طعام فكفاهم وشبعوا كلهم منه ولم يفرغ وبقي منه بقية.

واستفتاه جماعة من علماء الجن في مسائل أُشكَلَتْ على جميع علمائهم في التوحيد وهي نحو ثلاث وسبعين سؤالاً كتبوها في فرخ ورق إفرنجي وأرسلوها له مع واحد منهم في صفة كلب أصفر لطيف ككلاب الرمل، وكانت الورقة مرقومة بخط عربي مردومة أي ملآنة بالأسئلة، فلما صعد له من باب الجامع منعه المجاورون وطهروا محل مشيه، لظنهم أنه كلب حقيقة ولما أخرجه المجاورون من الزاوية، طلع للشيخ من شباك القاعة المظلة على الخليج الحاكمي، وعرض عليه الأسئلة، فأجاب ﷺ عنها بأحسن جواب واستشهد على أجوبته بكلام علماء التوحيد المتقدمين وكلام الأولياء العارفين نظماً ونثراً وسمى هذا الكتاب «كشف الحجاب والران عن وجه أسئلة الجان» وهو موجود إلى وقتنا هذا^(١) وكان وصول هذه الأسئلة إلى الشيخ في ليلة الثلاثاء السادس والعشرين من شهر رجب الفرد من شهر سنة خمس وخمسين وتسعمائة، والله أعلم بالصواب.

ومن إطاعة الجن له ﷺ واعتقادهم فيه، أنه كان يقول للجني منهم: ارجع عن ركوب فلان أو فلانة. فينزل عنه أو عنها بمجرد قوله له من غير عزيمة ولا بخور.

وكان الجن يدخلون عليه ﷺ في الليل أفواجاً أفواجاً من طيقان القاعة المظلة على الخليج الحاكمي فيصلون خلفه ويسبحون معه على السبحة ثم يذهبون من حيث جاءوا. وكان ﷺ في بداية أمره لا يقبل شيئاً من أرباب الدنيا مع شدة الحاجة إلى أخذه منهم وكثيراً ما كان يخرج إلى موارد البرك التي يغسل الناس فيها الفجل والخس والجزر والبقل فيلتقطه ويأكله ويشرب عليه جرعة من ماء ويكتفي بذلك في يومه تورعاً وزهداً وقناعة.

(١) وطبع عدة مرات.

وقال ﷺ في منته الكبري: ومما جاهدت به نفسي قبل اجتماعي بأشياخي أنني كنت جعلت لي حبلاً في سقف الخلوة محرزاً على عنقي إذا جلست ولا يصل إلى الأرض إذا اضطجعت فكنت أجعله في عنقي من العشاء إلى الفجر مدة سنين.

قال ﷺ: وكانت القناعة من الدنيا باليسير سداي ولحمتي فأغنتني بحمد الله تعالى عن وقوعي في الذل لأحد من أبناء الدنيا، ولم يقع لي أنني باشرت حرفة ولا وظيفة لها معلوم دنيوي من مدة بلغت الحلم، ولم يزل الحق سبحانه وتعالى يرزقني من حيث لا أحاسب إلى وقتي هذا.

وكان ﷺ يعطيه بعض الناس الدنيا، فتارة يردّها على صاحبها ولا يقبلها وتارة يأخذها منهم ويطرحها في صحن جامع الغمري الذي كان مجاوراً به في أول أمره، فيلتقطه الناس لاستغنائه عنها بالتعفف والقناعة. قال الله تعالى ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾^(١) وقال عليه الصلاة والسلام «ليس الغنى بكثرة العرض وإنما الغنى غنى النفس»^(٢). انتهى.

قال ﷺ: وتركت أكل لذيذ الطعام ولبست الخشن والمرقعات من شراميط الكيمان^(٣) نحو سنتين فكنت أطهرها وأرقعها وألبسها.

قال ﷺ: وأكلت التراب لما فقدت الحلال نحو شهرين.

قال ﷺ: وكنت أجد في أكل التراب طعم المرق ثم أغاثني الله تعالى بالحلال اللائق بمقامي إذ ذاك.

قال ﷺ: وكنت لا أكل طعام أمير ولا مباشر ولا تاجر يبيع على الظلمة ولا فقيه لا يسد في وظائفه ويأكل معلومها ولا غيرهم من جميع المتهورين في كسبهم،

(١) سورة البقرة: الآية الكريمة / ٢٧٣.

(٢) رواه الإمام أحمد والشيخان والترمذي وابن ماجه عن سيدنا أبي هريرة رضي الله تعالى عنه «انظر الفتح الكبير للإمام النبهاني ٣ / ٤٥٨.

(٣) جمع كوم وهو المكان المهجور العالي الملبئ بالمخلفات.

وضاقت عليَّ الأرض كلها ونفرت من جميع الناس ونفرت الناس كلها مني فكنت أقيم في المساجد المهجورة والأبراج الخراب مدة طويلة، وأقمت في البرج الذي فوق السور من خرابة الأحدي مدة سنة.

قال ﷺ: وما رأيت أصفى من تلك الأيام.

قال ﷺ: وكنت أطوي الثلاثة أيام وأكثر ثم أفطر على نحو أوقية من الخبز من غير زيادة.

قال ﷺ: وضعفت بشريتي وقويت روحانيتي حتى كنت أصعد بالهمة في الهواء إلى الصاري المنصوب على صحن جامع الغمري فأجلس عليه في الليل والناس نائمون، ثم إذا نزلت من السلم إلى الجامع أنزل بجهد وتعب، لغلبة روحانيتي وطلبها الصعود إلى جهة عالمها السماوي، لأنه إنما يثقل الإنسان في الأرض كثرة الشهوات والميل إلى السيئات، وهذا هو السبب في تحريك الإنسان رأسه حال الذكر وتلاوة القرآن فكأنها تشتاق إلى القرب إلى حضرة ربها إذا سمعت ذكره أو كلامه فتكاد تلحق بعالمها السماوي وقد أنشدوا في ذلك.

وَلَمَّا بَدَأَ الْكَوْنُ الْغَرِيبُ لَنَاظِرِي حَنَنْتُ إِلَى الْأُوطَانِ شِبْهَ الرِّكَائِبِ

قال ﷺ: ثم طويت عن جميع الخلق فلا آكل إلا عند أوائل درجة الاضطرار، وذلك حين لا تجد أمعائي شيئاً تشتغل به فيلذع بعضها بعضاً.

قال ﷺ: وكنت أستفتح في الذكر من بعد صلاة العشاء فلا أختم إلا عند طلوع الفجر، ثم أصلي الصبح وأذكر إلى ضحوة النهار، ثم أصلي الضحى وأذكر حتى يدخل وقت الظهر، فأصلي الظهر وأذكر حتى يدخل وقت العصر، فأصلي العصر وأذكر حتى يدخل وقت المغرب، فأصلي المغرب وأذكر حتى يدخل وقت العشاء، فأصلي العشاء وأذكر حتى يطلع الفجر، وهكذا. فمكثت على ذلك نحو سنة.

وكنـت كثيراً ما أصلي بربع القرآن بين المغرب والعشاء ثم أتهجد بباقيه فأختمه قبل الفجر وربما صليت بالقرآن كله في ركعة واحدة.

قال ﷺ: وكان نومي غلبة تخطف رأسي خطفة بعد خطفة وخفقة بعد خفقة، وكثيراً ما يغلب عليّ النوم فأضرب أفخاذي بالسوط، وربما نزلت بشيبي في الماء البارد في الشتاء حتى لا يأخذني نوم.

قال ﷺ: وبالغت في التدقيق في الورع حتى كنت لا أكل من فراخ الحمام، لأكلها من زرع ما قد لا تسمح به نفوسهم، ولا أمشي في ظل عمارة أحد من الولاة والظلمة وأعوانهم، ولما بنى السلطان الغوري مدرسته وقبته وجعل بينهما الساباط^(١) فلم أَمُرَّ من تحته إلى وقتي هذا، وكنت أمر من داخل الشرب والوراقين. انتهى.

واجتمع ﷺ في حال مجاورته بجامع الغمري على خلق كثير من الأولياء والصالحين والمجاذيب وأرباب الأحوال.

واجتمع ﷺ في هذه المجاورة بسيدي أبي العباس الخضر عليه وعلى نبينا وسائر الأنبياء أفضل الصلاة والسلام وعلمه الميزان المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم واتصالها بعين الشريعة المحمدية، وفي هذا الاجتماع أخذ الخضر بيده وأوقفه على عين الشريعة المطهرة ورآها بعينه، ورأى اتصال جميع أقوال علماء الشريعة المطهرة بها لا يخرج قول من أقوالهم عنها رضي الله عنهم أجمعين.

وكان ذلك الاجتماع به فوق سطح الجامع المذكور، ثم أمره بتأليف كتاب الميزان الخضرية ثم شرحها بكتاب الميزان الشعرانية المدخلة لجميع أقوال الأئمة المجتهدين ومقلديهم بعين الشريعة المحمدية.

(١) الساباط: سقفة بين حائطين بينهما ممر نافذ. المعجم الرسيط ٤٢٩.

وتزوج ﷺ بأول زوجاته فيه^(١) وهي زينب بنت خليل القصبى، وذلك أن الشيخ أحمد البهلول الولي بمصر المحروسة ﷺ جاء إليه في الجامع المذكور ودخل عليه الخلوة وقال له: يا عبد الوهاب أنت متزوج؟ قال لا. قال له: تزوج يا عبد الوهاب. فقال الشيخ عبد الوهاب ﷺ: لا قدرة لي على الزواج. فقال له الشيخ أحمد البهلول: امدد يدك. فمد الشيخ عبد الوهاب يده فأخذ بها الشيخ أحمد وقال له: زوجتك وأنكحتك زينب بنت خليل القصبى وأقبضت عنك المهر ثلاثين ديناراً وأخدمتك إختها الثلاثة وأعطيتك البيت المغلق على اسمها. قل قبلتُ نكاحها لنفسي. فقال الشيخ^(٢): قبلت نكاحها لنفسي على ذلك. ثم انصرف الشيخ أحمد من عنده.

وإذا برجل طرق عليه الباب فقال: من بالباب؟ قال الشيخ خليل القصبى. ففتح له الخلوة فلما جلس قال للشيخ: يا سيدي أريد أن أنكحك ابنتي وتكون لي أنت صهراً. فقال الشيخ: لا قدرة لي على مهرها، وإذا برجل من المجاورين في الجامع المذكور سمع الكلام فقام وحضر في المجلس وقال لهم: عندي ثلاثون ديناراً خذها مني وأنا أصبر على الشيخ حتى يتيسر له، فأقبضها عن ذمة الشيخ لأب الزوجة.

ثم قال الشيخ: لصهره في أي بيت أسكن بتك؟ قال: عندي بيت مغلق على اسمها. فقال الشيخ: هل لها أخوة؟ قال صهره لها ثلاثة إخوة وهم تلامذتك وخدمك، فظهرت بذلك كرامة الشيخين^(٣) رضي الله عنهما.

(١) عُقِدَ له عليها بالمسجد كما سبأني.

(٢) أي الإمام الشعراني.

(٣) أي سيدي أحمد البهلول وسيدي الإمام الشعراني، رضي الله عنهما.

ولما كمل حاله ﷺ في الجامع المذكور أذنه شيخه سيدي نور الدين علي الشونى ﷺ شيخ الصلاة على رسول الله ﷺ بالجامع الأزهر وغيره أن يرتب بالجامع "مجلس الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ ليلة الجمعة من صلاة العشاء إلى طلوع الفجر جماعة.

فكان إذا لم يجرى عنده جماعة تصلي على النبي ﷺ معه يخرج له سيدي أبو العباس الغمري من القبر ويجلس بجانبه ويصلي معه على النبي ﷺ فإذا أتى أحد من الناس عند الشيخ في مجلس الصلاة على النبي ﷺ يختفي منه الشيخ وينزل إلى قبره ﷺ.

ومما اتفق له ﷺ في هذا المسجد المذكور أنه اشتد عليه حاله فصاح بأعلى صوته في المسجد «الله» فارتج المسجد وبيت الشيخ أبي الحسن الغمري ابن أبي العباس الغمري المذكور وهو فيه، فخرج الشيخ أبو الحسن وقال: من صاح هذه الصيحة التي ارتج منها بيتي؟ قالوا، هذه صيحة الشيخ عبد الوهاب. فقال سيدي أبو الحسن الغمري: هذا المحل لا يسعنا نحن الاثنين وأخذ يعزل متاعه فسبقه سيدي عبد الوهاب وأخذ بنعليه وخرج من الجامع وترك فيه جميع أمتعته رضاء منه وطيب نفس. ثم صار إلى أن جلس على باب مدرسة أم خوند الكاتنة بين السورين وجلس على بابها ستة أيام والناس يقولون له ادخل المدرسة فيقول: لا أدخلها حتى يأذن لي رسول الله ﷺ في الدخول بها. فلما أذنه رسول الله ﷺ دخلها وأقام بها هو وعياله سبع سنين، يوقد بها القناديل ويكنسها ويخدم فيها ابتغاء مرضاة الله عز وجل بغير معلوم وربى بها المريدين وبلغ المريدون عنده فيها نحو المائتين.

وقال سيدي عبد الوهاب في طبقاته الوسطى عبارة أخرى في مناقب سيدي أبي الحسن الغمري: ولما تحولت من جامع الغمري إلى مدرسة أم خوند لرؤية رآها الشيخ أحمد الطهواني الضرير صار الشيخ أبو الحسن الغمري يتردد إلى في الليل في مدرسة أم خوند التي انتقلت إليها، وذلك أن جماعة من أهل جامع الغمري آذوني كثيراً بغير إذن الشيخ أبي الحسن الغمري، وحلفوا على مصحف

(١) أي جامع الغمري.

أنهم لا يحضرون معي في مجلس الذكر والصلاة على رسول الله ﷺ فيه، وصاروا يضربون كل من جلس عندي من المجاورين، ولم يبق معي في السهر سوى الناس الغرباء، فرأى الشيخ أحمد المذكور النبي ﷺ وهو يقول له: قل لعبد الوهاب الشعراني ينتقل إلى مدرسة أم خوند بخط بين السورين فإنها مباركة.

قال سيدي عبد الوهاب: فعزمت على الانتقال إليها والعمل بهذه الرواية فجاءني سيدي أبو العباس الغمري في المنام وقال لي لا ترحل وأنا أسهر معك. فجلس معي ليلة الجمعة وأسند ظهره للعمود الذي يستقبل يمين الداخل للجامع من الباب الكبير، فجلس معي نحو عشر درج وكان بي صداد فانصرف عني. قال، ثم إن جماعة ممن آذوني اجتمعوا ودعوا ناساً وأوقدوا قناديل كثيرة وجلسوا تجاهي يرفعون أصواتهم عليّ بما نحن فيه، فانتقلت وجلست في مجلسهم وقلت لهم: كلنا في الخير سواء فمنعوني من الذكر معهم. فقلت لهم، اخفضوا أصواتكم. فلم يرضوا فألقى الله عليهم النوم حتى لم يستطع أحد منهم أن يسهر درجة وناموا كلهم بعد العشاء بعشرين درجة، إلى الصباح حتى صلى الناس الصبح، فضحك الناس عليهم. ثم إنهم راحوا إلى عبد الدايم بن بقر وطلبوا منه أن يعمل لهم مولداً في الجامع ليلة الجمعة بقصد الغوش علي، فأتى المقرئون والوعاظ فخفضنا أصواتنا بالصلاة على النبي ﷺ ولم أبطل المجلس، مع أن أصواتنا لم تشوش على أحد من السامعين للوعظ، فجاء ووقف على رأسي وقال، أنت يا عبد الجعاص ما تسكت؟ فسَمِّي من أنا عبده «الجعاص». فنزل الناس فيه بالصك والضرب. وقالوا له كفرت، فاجتمعوا وضربوا الرأي على بعضهم وقالوا: بكرة النهار يضربون رقبة صاحبنا. فأجمع رأيهم على أن يمشوا به للقاضي يحقن دمه. فمضوا به إلى القاضي ابن جبيلات، فحقن دمه وبطل مولدهم تلك الليلة. وتفرق المقرئون والوعاظ، وكان هذا الذي وقع في الكفر هو الذي تولى أمر المولد.

قال سيدي عبد الوهاب: فأصبحت منتقلاً إلى المدرسة أم خوند فحصل فيها راحة عظيمة، وكان الشيخ أبو الحسن بعد أن خرجت يقول لي: أنا أهاجر من الجامع، ويقول لي: انظر لي موضعاً ولو في ربع أسكن فيه، من شدة الأذى من الجماعة الذين كانوا تحزبوا عليك وأخرجوك. انتهى كلامه.

ثم إنه كان^(١) من أمره ما كان وبُني له الجامع كما سيأتي بيانه في محله وأنشأ له القاضي عبد القادر محيى الدين الزرمكي المدرسة التي هو مدفون بجوارها كما سنبينه قريباً في محله إن شاء الله تعالى،

وكان ﷺ يعرف أنواع معاصي كل الناس إذا جلس عنده بمجرد رؤية وجهه، وعدم إيهام الجالس أنه اطلع على أنواع معاصيه بل يقول له مرحباً بك حلت علينا بركتك وأضاء مجلسنا بنورك ويؤانسه ويلطفه حتى ينصرف من عنده.

ودخل عليه جماعة مع الشيخ عمر النبتيتي في وليمة عرس ولده سيدي عبد الرحمن وكان عنده خلق كثير. فقال أحد الجماعة: أنا لا أعتقد في عبد الوهاب الشعراني إلا إن أخرج لي في السباط طاجن لباً^(٢) لأنني مشتبهه. وقال الآخر: أنا لا أعتقد في عبد الوهاب الشعراني إلا إن غسل يدينا بعد الأكل بماء الورد، فلما دخلوا إلى الوليمة وإذا بطاجن لباً أهدي للشيخ فوضعه في السباط أمام المشتبه له، فلما انفضوا من السباط إذا برجل أهدي للشيخ ماء ورد، فأخذ الشيخ ماء الورد وصار كل من قام من الأكل يصب على يديه ماء الورد حتى صب على يدي الذي تمناه، فلما رأوا من الشيخ هذه الكرامة والكشف تابوا واستغفروا وأخبروا الشيخ بما كان قبل حضورهم إلى الوليمة [قال]^(٣) الشيخ ﷺ [فالحمد لله تعالى]^(٤) على سترى بين عباده وجعل ذلك من غير قصد مني.

(١) بالأصل: «لما كان»، وحذفنا «لما» كي تستقيم العبارة.

(٢) اللب: أول اللبن عند الولادة قبل أن يرق، ولعل الصحيح "طاجن لوبيا" واللوبيا من البقوليات.

(٣) مكان المعقوفتين فيه بياض بالمخطوط وليس في المطبوع، وما أضفناه ظاهر في العبارة بلا اجتهاد كبير.

[وَأَتَمَّ] (١) مرة بصلاة الصبح خلفَ إمام زاويته الشيخ عمر فافتتح الإمام بسورة المزمل بعد الفاتحة فقرأ سيدي عبد الوهاب خلف الإمام سورة الفاتحة، وسبق لسانه لقراءة سورة البقرة وآل عمران وسورة بعد سورة إلى أن ختم القرآن كله والإمام لم يختم سورة المزمل فانتظره الشيخ حتى ختم سورة المزمل وركع الإمام فركع الشيخ معه.

وقال ﷺ هذه كرامة شهدتها من نفسي وأمنت بها وإنها كرامة من الله تعالى أجراها على يدي لأنه يحب على الإنسان أن يؤمن بكرامة نفسه كما يحب عليه أن يؤمن بكرامة غيره من الأولياء.

[ومما وقع له] (٢) مع شيخه شيخ الإسلام الشيخ ناصر الدين اللقاني أن بعض الحسدة لسيدي عبد الوهاب الشعراني مشى بالنميمة بين الشيخ ناصر الدين وبين سيدي عبد الوهاب افتراء وعدواناً وقال للشيخ ناصر الدين: إن عبد الوهاب يجمع بين الرجال والنساء الأجانب، فصدقه الشيخ ناصر الدين وشن الغارة على سيدي عبد الوهاب فلما بلغ ذلك سيدي عبد الوهاب الشعراني سعى إلى الشيخ ناصر الدين وطلب منه كتاب مدونة سيدنا مالك بن أنس ﷺ على سبيل العارية. فقال له الشيخ ناصر الدين: عسى أن تكون رجعت عما أنت فيه من المعاصي والمخالفات الشنيعة ورجعت واهتديت إلى التمسك بالشرعية، فقال له سيدي عبد الوهاب: يكون ذلك إن شاء الله تعالى بشمول نظركم، فأمر الشيخ ناصر الدين نقيبته بإخراج المدونة من خزانة كتبه وحملها على حمارة وقال لنقيبته: اذهب مع الشيخ عبد الوهاب إلى داره، فجاء النقيب مع الشيخ وأعطاه المدونة وأراد الرجوع إلى شيخه.

(١) ساقط من الأصلين وفي موضعه بالمخطوط الأبيض.

(٢) ساقط من الأصلين.

(٣) بالمخطوط بياض وما أثبتناه من المطبوع.

قال له سيدي عبد الوهاب: لا ترجع وبت عندنا هذه الليلة في المحيا وفي غد تتوجه إلى شيخك. فأجاب بذلك النقيب وبات عند الشيخ عبد الوهاب وجلس عنده في المحيا إلى مضي ثلثي الليل ثم دخل الشيخ الخلوة ومكث فيها نحو خمس عشرة درجة ثم ظهر منها وجاء إلى النقيب وأيقظه من نومه وقال له، فإن الموكب الإلهي انتصب فأدركه قبل الفوات.

فانتبه النقيب وتوضأ وقام يتهجد هو وسيدي عبد الوهاب إلى طلوع الفجر، ثم صلى الصبح وجلس يتلو في القرآن جماعة إلى الأسفار ثم جلس واستفتح بقراءة حزبه إلى ارتفاع الشمس قدر رمح فصلى الضحى، ثم أخذ بيد النقيب ودخل به إلى الخلوة وفطره وقال له، اذهب إلى الشيخ بكتاب المدونة واشكر لنا فضله، فحصل عند النقيب غم كبير وغيظ وقال في نفسه، ما الفائدة في مجيئها وذهابها في ليلة واحدة ولم يعلم ما فعل الشيخ فيها ومنها.

فلما ذهب النقيب بالمدونة إلى الشيخ ناصر الدين شن عليه الغارة وزاد في إنكاره عليه. ثم سئل عن مسألة فتوقف فيها فطلب المدونة يراجع المسألة فيها ففتح منها جزءاً فوجد فيه من أوله إلى آخره خط سيدي عبد الوهاب الشعراني في قيود^(١) على النسخة. فأحضر الشيخ ناصر الدين الأجزاء كلها فوجد عليها خط سيدي عبد الوهاب كلها إشارة منه إلى أنه طالع جميعها في هذه المدة القصيرة. فقال الشيخ ناصر الدين لنبيه: كيف فعل عبد الوهاب في هذا الكتاب؟

فقال له النقيب: والله يا سيدي ما غاب عني من الليلة أكثر من عشرين درجة ولم يعطل شيئاً من أوراده ولا تهجداته.

فجاء الشيخ ناصر الدين إلى سيدي عبد الوهاب حافياً حاسراً رأسه مستغفراً حتى جلس بين يديه. وقال له: تبت إلى الله تعالى من الاعتراض عليك في ما قاله الحسدة عنك عندي وعن الاعتراض على سائر طائفة الصوفية. ثم قال له سيدي

(١) أي تعليقات.

عبدالوهاب: قصدي أطلعك على هذا المختصر الذي اختصرته منها في تلك الليلة، فإن كان فيه قابل فمن فضل الله تعالى وبركة إذن النبي ﷺ وإلا محوته بالماء. فاطلع عليه الشيخ ناصر الدين اللقاني وقرض عليه بكتابة عظيمة مدح بها المختصر والمختصر، رضي الله عنهما.

ووقع له في بحر النيل أيام الوفاء أنه عام فيه، فتعب من العوم تعباً شديداً حتى كاد أن يموت، فنزل إلى أرض البحر^(١) ليموت، فأرسل الله تعالى تمساحاً له، فوقف تحت رجل الشيخ حتى استراح من التعب وعادت له روحه وسكن روعه.

قال ﷺ: و كنت أحسبه حجراً إلى أن استرحت وعمت. فعام حولي التمساح يساعدني حتى وصلت إلى ساحل البحر الآخر ثم غطس. وقال ﷺ: وهذا من جملة نعم الله تعالى عليّ مع كوني إذ ذاك صغيراً لا أعرف طريق معاملة الله عز وجل فحساني الله تعالى بالتلف من التلف، وذل لي هذا الوحش تحت رجلي حتى استرحت.

وتعرض له ﷺ: بعض الفسقة مرة بكلام فاحش وهو صغير فابتلاه الله تعالى بالجذام بعد سبعة أيام حتى صار الناس يتقذرونه إلى أن مات على أسوأ حال.

وتعرض له ﷺ أيضاً شخص آخر بكلام قبيح فسافر إلى الروم فأسره الإفرنج وتنصر عندهم. ومما أعطاه الله تعالى له في الآخرة من كمال الأخلاق، أنه رأى كأن القيامة قد قامت وأنه بمشهد من الأنبياء والمرسلين لكن لم يكلمه منهم أحد غير موسى وعيسى وسليمان عليهم السلام.

قال ﷺ: ولو أني أخذت أذكر للإخوان جميع ما أعطاه الله تعالى لي في الدنيا والآخرة لانبهرت عقول المصدقين لي وكذبني الأعداء والحسدة. انتهى.

قال ﷺ: وقد أشار إلى نحو ما ذكرناه قوله ﷺ في حديث الترمذي ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من يعطى قدر الدنيا ومثلها معها» وفي حديث أبي هريرة «وعشرة أمثالها معها»^(٢) انتهى.

(١) أي فاع البحر.

ومما أعطاه الله تعالى له في هذه الواقعة محبته لله تعالى محبة خالصة لا لعله إحسان ولا لخوف من نار ولا لطلب ثواب في الدنيا ولا في الآخرة ولا لخوف انتقام في الدنيا أو الآخرة.

ومما أعطاه الله تعالى له في هذه الواقعة أنه يبدأ بالشفاعة فيمن أذاه قبل المحب له والمعتقد فيه والمحسن إليه في دار الدنيا كما سيأتي بيانه في شرح قصيدته الآتية في معنى ذلك.

قال رضي الله تعالى عنه: وسوف أشفع إن شاء الله تعالى يوم القيامة في جميع الأعداء والحاسدين والمؤذنين لي ولجماعتي عليهم السلام.

ومما أعطاه الله تعالى له في هذه الواقعة أنه تعالى أطلعه على دوره وعلى بساطينه في الجنة فأحاط بها علماً حتى كان ذلك رأى العين.

ومما أعطاه الله تعالى له وأنعم عليه به، شهوده أن ذلك كله من فضل الله عليه من غير استحقاق له في ذلك. ثم استيقظ من تلك الواقعة وهو ينشد هذه الأبيات:

أَحْبَبَكُمْ لَا لِشَيْءٍ فِي الْوَجُودِ وَلَا	أَرْجُو سِوَاكُمْ وَلَا أَبْغِي لَكُمْ بَدَلًا
يَا سَادَةً غَمَرُونَا مِنْ فَضَائِلِهِمْ	وَأَلْبَسُوا ذَاتَنَا التَّيْجَانَ وَالْحُلُلَا
وَصَيَّرُونَا مُلُوكًا تَحْتَ رِقِهِمْ	حَالَ الْقَنَاعَةِ وَأَغْنُونَا بِلَا وَبِلَا
وَأَخْدَمُونَا مُلُوكًا تَحْتَ طَاعَتِنَا	لَمَّا خَدَمْنَا وَقُمْنَا فِي الدُّجَى ذُلًّا
وَخَلَقُونَا بِأَخْلَاقِ الْأَكَابِرِ مِنْ	عَفْوٍ وَصَفْحٍ وَحِلْمٍ فِي الْوَجُودِ مَلَأَ
وَمَلَكُونَا بِلَادًا عَزَّ مَطْلِبُهَا	خَلْفَ الْبَحَارِ وَفِيهَا حُكْمُنَا حَصَلَا
وَشَفَّعُونَا يَوْمَ الْحَشْرِ فِي مَلَأٍ	مِنَ الْأَعَادِي وَأَغْنَوْهُمْ عَنِ الْحُلُلَا ^(١)

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وعند الترمذي والطبري وصححه الحاكم من طريق ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر في ملكه ألف سنة، وإن أفضلهم منزلة لمن ينظر في وجه ربه عز وجل في كل يوم مرتين».

(٢) جمع خليل، كرقيب ورقباء.

وَأَقْطَعُونَا مِنَ الْجَنَاتِ مَا عَجِزَتْ
عَنْهُ الْمُلُوكُ وَأَزْخُوا دُونَنَا الْكَلَالَا
وَالْكُلُّ مِنْ فَضْلِهِمْ قَدَمَا لِعِبْدِهِمْ
فَعَمَّ جُودُهُمُ الْكَوْنِينَ وَاتَّصَلَا

أراد بالبلاد التي أقطعها بلاد الرجراج كانت إقطاعاً لجدّه الخامس الولي
الكبير المكنى في بلاد البهنسا بالشيخ موسى أبي العمران وهي على مسافة سنة من بلاد
السودان للراكب المُجَدِّ، مشتملة على قرى ومدائن لا يسلك إليها من الفقراء إلا
القليل.

وقوله: وشفعونا بيوم الحشر في ملأ إلى آخره أي أعطاه الله تعالى أن يبدأ أولاً
بالشفاعة فيمن آذاه في دار الدنيا قبل الشفاعة فيمن أحبهم أو أحسن إليهم، وذلك
لأن من آذاه إنما آذاه لجهله بمقامه عند الله تعالى. فإذا رأى مقامه في الآخرة خجل منه
واستحى، فيقصد الشيخ رحمه الله بالبداة في الشفاعة فيه لإزالة ما عنده من الحياء والخجل
لما جبله الله تعالى من الرحمة والعفو والصفح والحلم بعباد الله دنيا وأخرى.

قال سيدي عبد الوهاب رحمه الله: وَلَا يَدْعُ فِي حِكَايَةِ الْعَبْدِ مَا تَفَضَّلَ عَلَيْهِ بِهِ مَوْلَاهُ
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِقُوَّةِ رَجَائِهِ فِي سَيِّدِهِ، فَإِنَّ الْمُلُوكَ لَا تَرْجِعُ فِيهَا وَهَبْتَ لِعَبِيدِهَا لَغْنَاهَا
عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ لِأَسْمَا الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا، فَإِنَّهُ مَا خَلَقَ جَمِيعَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ دُنْيَا وَآخِرَى إِلَّا لِعَبِيدِهِ، لَغْنَاهُ عَنِ الْكَوْنِينَ، عَلَى أَنْ الْعَبْدَ الْخَالِصَ فِي عِبُودِيَّتِهِ
لَا يَرَى لَهُ مَعَ سَيِّدِهِ مُلْكًا، بَلْ يَرَى نَفْسَهُ حَالِ حُكْمِهِ فِي الْخَلْقِ جَمِيعًا كَالَّذِي اسْتَعْدَمَهُ
سَيِّدُهُ فِي سِيَاسَةِ الدُّوَابِّ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ، فَإِنْ كَلَّا مِنْهُمَا تَحْتَ طَاعَةِ سَيِّدِهِ فِيمَا اسْتَعْمَلَهُ
فِيهِ وَإِنْ رَأَى الْعَبْدَ التَّفَاوُتَ فَإِنَّمَا هُوَ مِنْ حَيْثُ تَفَاوُتَ الْمَرَاتِبِ فِي الشُّهُودِ فَافْهَمْ، وَهَذَا
مَشْهُدٌ عَزِيزٌ وَجُودُهُ.

وهذه الأبيات متضمنة لما ذكر آنفاً. وخمس هذه القصيدة ولد أخيه مولانا
العالم الفاضل الصوفي المحقق في علوم الحقيقة سيدي عبد ربه الشهير بالكبير
صاحب ديوان النظم الكبير وقال في تكميسه على قصيدة عمه:

حُبِّي لَكُمْ حُبِّكُمْ لِي مِنْ أَلَسْتُ؟ بَلَى، وَالْعَهْدِ مِنْكُمْ قَدِيماً لَمْ يَزَلْ أَزْلاً
وَحَقٌّ وَدُّ صَحِيحٌ ثَابِتٌ وَوَلَا أُحِبُّكُمْ لَا لَشَيْءٍ فِي الْوُجُودِ وَلَا
أَرْجُو سِوَاكُمْ وَلَا أَبْغِي لَكُمْ بَدَلاً

يَا مَنْ مَوَاهِبِهِمْ تَتَرَى لَأَمْلَهُمْ يَا مَنْ بَفِيضِهِمْ أَسْذُوا لِنَائِلِهِمْ
يَا مَنْ عَطَايَاهُمْ جَمَّى لِسَائِلِهِمْ يَا سَادَةَ غَمْرُونَا مِنْ فَضَائِلِهِمْ
وَأَلْبَسُوا ذَاتَنَا التَّيْجَانَ وَالْحُلَلَا

وَحَقَّقُونَا بِحَقِّ الْحَقِّ حَقَّهُمْ وَأَطْلَقُونَا وَلَكِنْ فِي وَثَاقِهِمْ
وَعَامَلُونَا بِلُطْفٍ فِي طَرِيقِهِمْ وَصَيَّرُونَا مَلُوكاً تَحْتَ رَقْمِهِمْ
حَالِ الْقَنَاعَةِ وَأَغْنُونَا بِلَا وَبِلَا

قَدْ جَمَّلُونَا بِمَعْنَى حَسَنِ سِيرَتِنَا وَسَارَرُونَا بِسِرِّ فِي سَرِيرَتِنَا
وَطُوفُونَا إِلَى الدُّنْيَا بِهَمَّتِنَا وَأَخْدَمُونَا مَلُوكاً تَحْتَ طَاعَتِنَا
لَمَّا خَدَمْنَا وَقَمْنَا فِي الدُّجَى ذُلًّا

وَأَهْلُونَا لِمَا وَالسَّوَاءِ عَلَى سَنَنِ مِنْ وَاجِبَاتٍ وَمِنْ فَرَضٍ وَمِنْ سُئِنٍ
وَمِنْ سِمَاحٍ وَمِنْ جُودٍ وَمِنْ مَنِّ وَخَلَقُونَا بِأَخْلَاقِ الْأَكْبَارِ مِنْ
عَفْوٍ وَصَفْحٍ فِي الْوُجُودِ مَلَا

وَعَلَّمُونَا عُلُوماً لَيْسَ نَعْرِبُهَا لِأَهْلِهَا، وَعَنْ الْأَغْيَارِ نُغْرِبُهَا
وَشَرْقَهَا قَدْ كَشَفْنَا ثَمَّ مَغْرِبَهَا وَمَلَّكُونَا بِلَاداً عَزَّ مَطْلَبُهَا
خَلْفَ الْبَحَارِ وَفِيهَا حَكْمُنَا حَصَلاً

وَأُورِثُونَا مَقَامَ الْإِرْثِ عَنْ نَبَأٍ إِلَى إِغَاثَةِ مَلْهُوفٍ وَمُلْتَجِيٍّ
مَنْ كَرِبَ شِدَاتِهِ قَدْ شَفَّ مِنْ ظَمَأٍ وَشَفَعُونَا يَوْمَ الْحِشْرِ فِي مَلَأٍ
مِنَ الْأَعَادِي وَأَغْنَوْهُمْ عَنِ الْحُلَلَا

(١) بالمطبوع: «نعرِبها»، وما أثبتناه من المخطوط، ويجوز معنى أن تكون: نُغْرِبُهَا.

ومتعوننا^(١) بحُورٍ في الحُبَا حُرِرَتْ
وأشهدونا جمال العين ما نُجِرَتْ
ونعمونا بولدان لنا فُرِرَتْ
وأقطعونا من الجنات ما عَجِرَتْ
عنه الملوكُ، وأرخوا دوننا الكلالا

وَجِدُّنا قد أناطوه^(٢) بجدهم
وورْدُنا قد صفى شربا بوردهم
وَحَدُّنا أوقفوه عند حَدِّهم
والكل من فضلهم قَدَمًا لعبيدهم
فعم جودهم الكونين واتصلا

ومن كلام الشيخ عبد ربه صاحب هذا التخميس من الشعر ما صرح فيه بما
أنعم الله تعالى به عليه فقال رحمه الله:

إنني صادقٌ وإنني صائب
إنني صائنٌ لميثاق ربي
عجنت طيتي بما حياتي
صَلَبَ الصُّلْبُ بالصلابة منها
ما أنا مُحْطِيٌّ يقيني يقيناً
أنا مخفي شامخات المعالي
دائماً لا أزال في حضرة الحق
يا صحابي^(٣) بصحبتني قد غنمت^(٤)
يا رفاقي مرافقي رافقوني
ما أنا مارق^(٥) وما أنا كاذب
ما أنا خائن ولا متلاعب
خمر الماء طينها المتلازب
ذلك الماء ثم قَوَّى الترائب
أنا مُحْظِيٌّ باذخات المراتب
للمعاني فسهمُ سهمي صائب
مُجْتَبِيٌّ مُحْصَصاً بالمواهب
فصحبي لي كل صحبي واهب
فاغنموا للرفيق ثم الصاحب
وخلصتم من كل حوب محاب

(١) في المطبوع: «وسقونا».

(٢) بالمطبوع: «أماطوه»، وغير واضح بالمخطوط، والنظر يعطي ما أثبتناه.

(٣) بالمطبوع: «أصحابي»، ولا يستقيم به وزن البيت.

(٤) بالأصول: «غنمتهم».

(٥) بالمطبوع: «صادق»، وهو لغو.

قد حصلتكم على أتم مناكم

وسؤال أكون عنه مجاوب
ولحلم يا نعم تلك المكاسب
لي مساق تسقي ألد المشارب
لي وصل موصل للمآرب
يوم شيب الولدان والخوف شائب
وبعكس كلاهما الخطيب خاطب
حاطم كل قوة ثم حاطب
ريحه قاصف عسوف وحاصب
ذي اقتدار هو القريب المراقب
أمره غالب فمَنْ ذا يغالب
فلمحسوبنا به لم يحاسب
فلمنسوبنا به ما يناسب
للموافاة وامتطوا النجائب
أبشروا أبشروا جميع الحبايب
وحسود مجانف ومجانب
وأبي إلى المهالك آيب
وكيود وهائم ثم هايب
ثم عهد وخائن ثم خايب
إنه عن ذنوبهم لم يطالب متوالي
سماحه متساكب

وقفه للحساب بين يديه
بسماح بلغتموا ثم صفح
يوم سوق ويوم كشف لساق
لي مساق يشفي لكل عليل
لي رقائقي لكل رفيق
يوم لم يجز والد عن وليد
يوم هزل ويوم فزع وكرب
حاسم ماسح لكل الأماني
ليس فيه غير المليك تعالى
حكمه نافذ بحكم شديد
فبذا اليوم سيدي لي مسدي
رمّة منه وهو بر رءوف
فعلى الوفا فيه فوافوا
فرجاي في الله فوق المرجى
وكذا بشروا لكل عدو
وغنّي مزّلزل وعنّي
وحقود وماكر وكثود
وجهول إلى تقرب ود
إنني شافع لهم عند ربي
فسولي السولا لي من ولي

وَسَّعَ الرَّبُّ رَحْمَةً ثُمَّ عَلِمًا كُلُّ شَيْءٍ يَا طَالِبًا لِلْمَطَالِبِ

يَا هُنَاكُمْ فَمَا تَمْنِيْتُمُوهُ قَطُّ مَا مِنْ ثَمٍّ هُنَا مَنَاصِبِ
كُلُّ كَلٍّ لِكُلِّكُمْ زَالَ حَقًّا وَالْعَنَاءُ عَنْ ثَمٍّ زَالَتْ مَصَائِبُ^(١)

ولاية مصر الذين عاصروهم الإمام الشيرازي

[وأدرك ﷺ دولة الجراكسة ودولة العثمانيّة وآخر من اجتمع به من دولة الجراكسة مولانا السلطان قنصوه الغوري طاب ثراه كان عالماً أديباً نبياً شاعراً ليلاً صيلاً داخلاً^(٢) يحب الصوت الحسن مع الدخول، ويتأذى من سماع الخارج وإذا سمعه أحضر الحكيم وفصد خوفاً من حدوث مرض به من سماع الخارج واجتمع رأي أولياء بمصر على خلعه وإتيانهم بغيره، وكان السبب في ذلك جور جلبانه وحاشيته، لا جزى الله الحاشية السوء خيراً^(٣)].

ومن شعره رحمه الله تعالى:

حلا الكأس ساقى القوم في حضرة القدس	فلاحت نجوم الأنس في حضرة الشمس
فأسكرت الأرواح من قبل ما بدت	بها صور الأشباح في عالم الخس
وهامت بمن تهوى وفازت بوصله	بغير رقيب العقل أو حاسد النفس
ولما سرت في سرهم بسرورها	تظهرت الأرواح من دنس الرجس
صفت فصفوا حين اصطفاهم حبيبهم	لمشروها قبل التعيين بالغرس
فما هي من حبات عنقود كرمة	تخامرها بالعصر يوماً يد اللمس
ولا اختزننت في دن دسر ولم تكن	ولا ية رهبان عليها ولا قس

(١) هنا بيت أو أبيات ساقطة من الأصول.

(٢) كذا بالمطبوع وساقط من المخطوط.

(٣) وذكروا أن هذا كان بسبب تحالفه مع الشاه إسماعيل الصفوي الرافضي ضد السلطان سليم الأول العثماني.

ولكنها الراح التي هي رُوح مَنْ
ولا هي جسمٌ من جسمٍ عُنْصُرٍ
وليس تراها العين لطفاً وإنما
ولكنها نورٌ لطيفٌ قَسْرُهَا
فتشتاقها الأرواح والنور ساطع
فَطُوبَى لِمَنْ قد شام لامِعَ برقها
وَيَعْبَقُ في الأكوان من طيب نشرها
عسى يظفر الغوري منها بنهلة
ويكفيه منها صدقُ حُبِّ أهلها
ومن حظه في وصفها أن شعره
ويعذبُ في الأسماع مَوْرِدَ لَفْظِهِ
فهذا له فخر يُمَسِّنُ به على
فِيَارَبِّ زِدْنَا مِنْكَ فضلاً ونعمة
وَصَلِّ عَلَى الهادي البشير مسلماً

تناهى به بحرُ الفناء إلى الطمس
ولا هي من نوعٍ ولا هي من جنسٍ
تُذَاقُ بلا طعمٍ وتعلو عن الحس
تَقْدَسُ عَنْ وهمٍ تعلق بالحدس
وفي وصفها أهل الفصاحة كالخرس
فإن سناها قد محَا ظلمةَ اللبس
عبير به يُجَيِّ الرمائم في الرمس
تكون له أحلى من المُلْكِ والكرسي
وشعر له فيها يُدَوِّنُ بالنفس^(١)
مُكَرِّرُهُ يَحْلُو فَيُحْفَظُ كالدرس
ويجري به ريقُ المدام على الطرس^(٢)
جميع ملوك العرب والترك والفرس
وكل غد نلقاه خيراً من الأمس
وآل وصحب حين نصبح أو نُمسي

كان السلطان الغوري رحمه الله يحب الشيخ عبد الوهاب الشعراني محبة تامة
ويعتقده اعتقاداً جازماً به في صلاحه وولايته، أهدي له سجادة وشاشاً عرضه سبعة
أذرع وطوله ثلاثون ذراعاً أرسله له سلطان الهند في قشرة جوزة ولما أهداه للشيخ،
أعطاه الشيخ لبعض أقاربه في ساقية أبي شعرة، وأما السجادة فأبقاها الشيخ عنده ولم
يستعملها مدة حياته ولم يردها على السلطان الغوري أدباً مع ولادة الأمور.

أما مولانا سلطان البرين والبحرين وخادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان
سليم رحمه الله تعالى ابن السلطان بايزيد بن السلطان محمد بن السلطان مراد بن

(١) النفس: ضرب من النواقيس، جمع ناقوس وهو الجرس. المعجم الوسيط ٩٨٤.

(٢) الطرس: الصحيفة، والكتاب الذي يحيى ثم كتب. المعجم الوسيط ٥٧٥.

السلطان محمد بن السلطان بايزيد بن السلطان مراد بن السلطان أورخان بن السلطان
أرطغروك بن سليمان وأرطغروك أول سلاطين آل ولد عثمان الذي أشيعت نسبة
السلاطين إليهم في سائر أقطار الأرض إلى يومنا هذا، أطال الله في مدتهم ونصرهم
على أعدائهم بكثرة جيوشهم وعددهم وعدتهم آمين.

ولما توجه إلى إقليم مصر مولانا السلطان سليم دخلها في يوم الخميس افتتاح
سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة من الهجرة النبوية وكان عمر سيدي عبد الوهاب إذ
ذاك أربعة وعشرون سنة فأحبه السلطان واعتقده وقبل شفاعاته وأهدى له شيئاً كثيراً
وعاش الشيخ بعد دخول السلطان سليم خمسين سنة، ومات رحمه الله في ولاية ولده
السلطان سليمان الولي العادل رحمه الله، ورحم به أسلافه الكرام بجاه سيدنا محمد خير
الأنام آمين والحمد لله رب العالمين.

وتولى في مدة الشيخ من نواب مصر المحروسة خمسة عشر نائباً أولهم خاير
بك أمير أمراء الجراكسة، ولأه مولانا السلطان سليم حين أراد التوجه إلى
القسطنطينية، مدة ولايته خمس سنين وشهران واثنان وعشرون يوماً.

ثم تولى بعده مصطفى باشا مدة ولايته تسعة أشهر وأربعة وعشرون يوماً.

ثم تولى بعده أحمد باشا مدة ولايته خمسة أشهر وسبعة أيام.

ثم تولى بعده قاسم باشا مدة ولايته تسعة أشهر وأربعة وعشرون يوماً.

ثم تولى بعده إبراهيم باشا الوزير الأعظم الشهيد مدة ولايته ست سنين
وشهران وأربعة عشر يوماً.

ثم تولى بعده سليمان باشا الخادم مدة ولايته تسع سنين وأحد عشر شهراً
وستة أيام.

ثم تولى بعده خسرو باشا أخو مصطفى باشا المتقدم مدة ولايته سنة واحدة
وعشر شهور وستة أيام.

ثم عاد بعده سليمان باشا الخادم المتقدم من الهند مدة ولايته سنة واحدة
 وخمسة أشهر وأحد وعشرون يوماً.

ثم تولى بعده داود باشا مدة ولايته أحد عشر سنة وشهر وسبعة وعشرون يوماً.
ثم تولى بعده علي باشا الذي صار وزيراً أعظم مدة ولايته أربع سنين وخمسة أشهر وستة وعشرون يوماً^(١).

ثم تولى بعده محمد باشا مدة ولايته سنتان وشهران وتسعة عشر يوماً.
ثم تولى بعده إسكندر باشا بوسنجي مدة ولايته ثلاث سنين وثلاثة أشهر
وثمانية أيام.

ثم تولى بعده العبد الصالح علي باشا الخصي مدة ولايته سنتان وثلاثة أشهر
 وخمسة أيام.

ثم تولى بعده مصطفى باشا شاهين مدة ولايته ثلاث سنين وستة أشهر
وأربعة وعشرون يوماً.

ثم تولى بعده صوفي علي باشا مدة ولايته سنتان وثلاثة أشهر.
ثم تُوفِّيَ الشيخ رحمه الله تعالى في ولايته كما سيأتي بيانه في محله قريباً إن شاء الله
تعالى.

وكان أكثرهم له محبة سليمان باشا وخسرف باشا وقاسم باشا وداود باشا
وعلي باشا وهو أشهرهم له محبة.

واستأذنه في النزول لزيارته فلم يأذن له أدباً من الشيخ مع ولادة الأمور وقضى
على يد الشيخ عدة حوائج للناس وأمر بتقديم نعل الشيخ، ولم يقع ذلك لأحد من
فقراء مصر المحروسة غير الشيخ، حتى شاع بين كل الناس أن الباشا ليس عنده
أفضل من الشيخ الشعراني فجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً آمين.

(١) هنا سقط كبير بالمخطوط حصرناه بين المعقوفين يبدأ من قوله: وأدرك ﷺ، وأثبتناه من المطبوع.

تاريخ بناء مدرسته

وأما بيان أصل بناء مدرسته وحكمها بين المدارس، اعلم وفقني الله وإياك لمرضاته أن القاضي محي الدين عبد القادر الرزمكي لما أنشأها أوقفها رباطاً للعباد وتكية للفقراء وجعل لهم فيها أسمطة في الفطور والغداء والعشاء ومدرسة لطلبة العلم وزاوية للمتجهجين ومسجداً للصلاة وجامعاً لإقامة الخطبة فيه، فهذه الأوصاف كلها مجموعة فيها بخلاف غيرها فلا تجمع هذه الأوصاف كلها.

وأما بيان أصل بنائها وسببه هو أن القاضي محي الدين عبد القادر الرزمكي رأس الكتاب بديوان قلعة الجبل بمصر المحروسة غضب عليه السلطان سليم حين قدم إلى مصر المحروسة وأخذ منه الدفاتر وتوعده بالقتل، فخشي على نفسه منه فهرب واختفى، ثم جاء إلى حضرة سيدي عبد الوهاب الشعراني بمدرسة أم خوند التي هو نازل بها وشكى إليه حاله وما وقع له معه.

فقال الشيخ القاضي: إن قرَّجَ الله عنك هذه القضية تبني لله تعالى مسجداً؟ فقال: نعم، لله تعالى عليّ ذلك. فألهم الله تعالى مولانا السلطان سليم أن قال لخواص أصحابه هل بقي في مصر أحد من الأولياء لم نطلع عليه ولم يطلع لنا القلعة. فقالوا له: نعم بقي فيها ولي كبير إلا أنه صغير السن وليس له عادة في الطلوع لأحد من السلاطين التي قبلك.

فقال السلطان: لا بد من الاجتماع عليه. فركب السلطان في الحال ونزل لزيارة الشيخ الشعراني. فلما اجتمع السلطان بالشيخ الشعراني عجبه سمته وطريقته واعتقد فيه اعتقاداً كبيراً، وقال له السلطان: لعل أن يكون لك حاجة نقضيها لك قبل توجهنا إلى البلاد الرومية. فقال له الشيخ: ليس لي حاجة عند أحد أبداً، ولكن عندنا رجل قد غضبتم عليه يدعى عبد القادر الرزمكي، فإذا أمكن منكم العفو أحضرناه بين يديكم.

فقال السلطان: له ممكن. فأحضره الشيخ بين يدي السلطان فعفا عنه وولاه في خدمته حتى كان من أمره ما كان.

وقيل أن بعض نواب السلطان سليم هو الذي غضب عليه وأبرز من عنده مرسوماً بقتله، فلما أحس القاضي عبد القادر بذلك هرب من النائب واختفى عنه مدة طويلة لا يقدر من خوفه منه على الظهور من بيته ولا على مقابلة النائب، ثم إن نائب السلطان أشهر النداء بشوارع مصر أن كل من ظفر بالقاضي الرزمكي يحضره أو يقتله وله الجائزة السنية من عند مولانا نائب السلطان بمصر الحمية.

فاشتد الأمر على القاضي الرزمكي فضاقت عليه الأرض بما رحبت وطال سجنه بداره فأخبره بعض أصدقائه أن في مدرسة أم خوند رجلاً من أولياء الله عز وجل ومن أصحاب التصريف اسمه عبد الوهاب الشعراني إن شئت تذهب إليه وتعرض عليه حالك لعله يتصرف في قضيتك. فذهب القاضي عبد القادر إلى مدرسة أم خوند واجتمع بسيدي عبد الوهاب الشعراني وأخبره بقضيته مع نائب السلطان فقال له سيدي عبد الوهاب: يا قاضي عبد القادر إن قضيت حاجتك ودفع الله عنك شر نائب السلطان ورضي عنك وردك إلى منصبك تبنى الله تعالى مسجداً؟

فقال: نعم الله تعالى إن قضيت حاجتي بنيت لله تعالى مسجداً وخلصت من هذه الشدة التي أنا فيها. فأعطاه سيدي عبد الوهاب قشة من الأرض وقال له: اذهب بها إلى مولانا نائب السلطان فإنه يقبلك ولا يقتلك ولا يشوش عليك أبداً، فخشي القاضي على نفسه وقال: يا سيدي والله عرضت ذهابي لنائب السلطان على جميع أكابر الدولة فلم يجبني لذلك منهم أحد وقالوا نخشى عليك وعلى أنفسنا منه، فقال له الشيخ: اذهب إليه وتوكل على الله عز وجل، فامثل القاضي لكلام الشيخ وذهب بالقشة معه إلى نائب السلطان في الغلس.

قال القاضي عبد القادر فلما أقبلت على نائب السلطان وألقيت من يدي القشة أمامه قام لي وقال: مرحباً وأجلسني في منصبي، وأخذ الأمر الذي كان أبرزه بقتلي من

الوالي وخلع علي خلعة مكلفة ثمينة، وأمر بالنداء في شوارع مصر أن لا أحد يتعرض للقاضي الرزمكي بعد اليوم، ثم إني تمثلت بين يدي نائب السلطان واستأذنته في نزولي إلى منزلي لأطمئن على أهلي وأقاربي وأولادي.

فأذن لي بالنزول إلى منزلي فلما نزلت من القلعة توجهت لحضرة مولانا سيدي عبد الوهاب الشعراني قبل منزلي، فلما أقبلت عليه قال لي: وجب عليك بناء المسجد لله عز وجل. فقلت له يا سيدي: بركتكم تحصل. وإذا برجل في مجلسه يقول لنا: بيت المال حاضر هنا في هذا الوقت يبيع خرابة من تركة لبعض الناس وكذلك العدول حاضرون هنا أيضا عنده.

فأحضروا الجميع وبيعت منه الخرابة للقاضي عبد القادر الرزمكي وكتبت حجتها في الحال وأعطاهما القاضي لسيدي عبد الوهاب الشعراني في الوقت والساعة وقال له يا سيدي: إن شاء الله تعالى نشرع في بنائها مسجداً لله تعالى.

وقيل أن بعض الأمراء أخذ هذه الخرابة المذكورة وحفر جدارها يريد أن يبنوها بيتاً له فمر عليه ولي الله تعالى من أهل عصره يقال له الشيخ إبراهيم عصفور^(١) وقال للأمير: ارفع يدك عن محل عبد الوهاب ولا تعد تبني فيه طوبة واحدة بعد اليوم.

فقال بعض الحاضرين عند الأمير: لا تبني واسمع كلام هذا الولي. فأبى الأمير وقال، لا بد من البناء لأن هذا رجل مجذوب لا يفعل شيئاً. فبعد أيام مات الأمير ولم يبن فيها شيئاً فاشتراها القاضي من تركة الأمير لسيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله كما قال الشيخ إبراهيم عصفور للأمير رضي الله عنهم أجمعين.

ولم يشرع القاضي الرزمكي رحمه الله تعالى في شيء من بناء هذا المسجد حتى أخذ له ما يكفيه ويكفي معاليمة ومصاريفه من الرزق والعقار وغيرهما فلما أتم له

(١) سيدي إبراهيم بن عصفير والعامية تنطقه عصفور. انظر الطبقات الكبرى، ٧٢٨، ط الآداب.

ذلك شرع رحمه الله تعالى في بنائه فلما بني منه نحو الثلاثين سافر إلى الحجاز في الحج فمات في سفره رحمه الله تعالى عليه.

وأتمه سيدي عبد الوهاب الشعراني بعده ورتب فيه الخيرات الكثيرة حتى قال له بعض السواح في الأرض وسيدي أبو الفضل شيخ بيت بني الوفا رضي الله عنهم: طفنا مشارق الأرض ومغاربها فلم نجد أكثر خيراً ولا ذكراً ولا علماً ولا أدباً من أهل زاويتك ولا المجاورين بها. انتهى.

وكان بها في حال حياة الشيخ دروس العلم في الفقه والحديث والتفسير والنحو والقراءات وغيرها من آلات العلوم الشرعية وكان بها دروس علم التصوف والأدب وكان بها مجالس الذكر ليلاً ونهاراً.

ولم تنزل عامرة بالذكر والقرآن، وكذلك يقرأ فيها حزب الأستاذ الشعراني في صبيحة كل يوم من بعد صلاة الصبح إلى ارتفاع الشمس قدر رمح، وكذلك محيا ليلة الجمعة تقرأ فيها سورة الكهف وسورة يس وسورة الدخان وسورة النجم وسورة الواقعة وسورة تبارك الملك، وإذا زلزلت أربعاً والتكاثر مرة والكافرون أربعاً وإذا جاء نصر الله أربعاً وسورة الإخلاص عدداً كثيراً والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ والذكر حتى يستغرق شيئاً كثيراً من الليل.

وفي صبح يوم الجمعة تقرأ سورة يس وسورة الإخلاص ثلاثاً والمعوذتين والذكر والتهليل والتكبير والدعاء وإهداء ثواب ذلك لحضرة النبي ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين والصحابة والتابعين وآل بيت النبي والأولياء والصالحين وأموات المسلمين وأمة النبي أجمعين وسلطان الإسلام وولادة الأنام وعساكر الإسلام كل ذلك بالمقام، ومن أراد معرفة جميع الأوراد التي تتلى في الزاوية ليلاً ونهاراً مفصلة مبينة كيفية وعدداً فعليه بكتابي «إطلاق اللسان

بالتحدث بنعم الله والإحسان»، ذكرت في آخره ما يشفي العليل فراجعه ترى عجباً.

وعلى هذه الزاوية من الأنس والبهاء والجلال والجمال والمهابة والوقار ما تنشرح به الصدور وتقر به العيون وبها العبادات لا تنقضي منها والذكر لا يفتر فيها، وإذا حلف حالف أنها لا تخلو من العبادات والذكر لا يحنث، لأنه إما أن يكون من الزائرين وإما أن يكون من القاطنين أو المجاورين بها وعلى المجاورين بها، من الجمالة والجلالة ما ليس على غيرهم ويكرمهم كل من رآهم ويحبهم ويعتقدهم، جعلنا الله تعالى منهم وحشرنا في زمرتهم بمحمد وآله آمين.

وأنشأ القاضي رحمه الله تعالى تجاه وجه الداخل من باب هذا المسجد تربة ليدفن فيها هو وسيدي عبد الوهاب الشعراني، فلم تقسم لواحد منهما وقسمت لشيخه سيدي نور الدين على الشوني شيخ محيا^(١) الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ في الجامع الأزهر وفي سائر أقطار الأرض دفنه فيها تلميذه سيدي عبد الوهاب رضي الله عنهما آمين.

فأما القاضي عبد القادر الرزمكي الواقف فإنه مات غريباً ودفن بمحل موته كما تقدم آنفاً.

وأما سيدي عبد الوهاب الشعراني فإنه دفن بمقامه الذي بناه له الأمير حسن بك الصنجق أمين الشون كما سيأتي بيانه في محله إن شاء الله تعالى. انتهى.

ويقال لهذا المسجد سابقاً المسجد القادري أو المدرسة القادرية أو الزاوية القادرية وأما الآن فلا يعرف إلا بسيدي عبد الوهاب الشعراني ﷺ.

(١) بالمخطوط: «محبة» وما أثبتناه من المطبوع وهو الصواب، وكلمة المحيا كانت تطلق على مجلس الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وما زالت تستخدم بمعانٍ قريبة حتى الآن، وفيها معنى لطيف إذ بذكر الله والصلاة على النبي تحيا الأرواح فُسمي «المحيا».

وحفر سيدي عبد الوهاب آباراً متعددة لمطهرة زاويته المذكورة فلم يصح منها بشراً واحداً، وكان شيخه سيدي نور الدين علي الشوني يرى النبي ﷺ يقظة ومشافهة ويتحدث معه ويراجعه في بعض أموره، فقال بعض المحبين لسيدي عبد الوهاب، قل لشيخك سيدي نور الدين الشوني يستشر لك النبي ﷺ في محل تحفر فيه بشراً لمطهرة زاويتك.

قصة حفر البئر التي كانت بمسجد سيدي عبد الوهاب حتى وقت قريب

فلما اجتمع سيدي نور الدين قال له ذلك الكلام، فلما اجتمع سيدي نور الدين برسول الله ﷺ قال له عبد الوهاب يستشيرك يا رسول الله في محل يحفر فيه بئر مطهرة زاويته، فقال له النبي ﷺ: قل لعبد الوهاب يدخل من باب حوش بيته ويمشي ثلاث خطوات من الباب ثم يحفر، ففعل ذلك وحفر البئر فطلع ماؤها عذباً طيباً، ثم إن بعض أتباع سيدي عبد الوهاب سافر إلى مكة ووقع منه طاسة من نحاس في بئر زمزم، فقال سيدي عبد الوهاب لأحد أتباعه: انزل في بئري وأخرج منها طاسته التي وقعت منه فيها، فنزل وطلع بها بعينها. ورأيت بعيني رأسي أنهم لما نزعوا البئر في سنة ثلاث وسبعين وألف خرج في طينها من أباريق مكة أباريق كثيرة مكسرة ووجدت فيها إبريقاً صحيحاً واستعملته مدة طويلة إلى أن انكسر. انتهى.

فعلم من ذلك فضلها على غيرها من الآبار التي بمصر لإشارة النبي ﷺ بها على يد سيدي نور الدين وسيدي عبد الوهاب الشعراني واتصالها بزمزم لما حكي في هاتين الواقعتين وصارت بذلك من الآبار التي يتبرك بها ويستشفى بها لساائر الأمراض والعلل الدينية والطبية.

وكان والدي رحمه الله تعالى إذا جاء له أحد يشكو له مرضاً به يقول له، اشرب من ماء مطهرة الزاوية يشفيك الله من مرضك. فيفعل، فيشفيه الله تعالى من

مرضه أو رمده أو عدم حفظه أو فهمه أو غير ذلك رحمهم الله تعالى أجمعين ونفعنا
بصحة العقيدة مناً بذلك والحمد لله رب العالمين^(١).

وأما قبر الشيخ رحمه الله تعالى فقد أنشأه له مولانا الأمير حسن بك الصنjq
أمين الشون المتقدم ذكره.

وسبب إنشائه، أنه أحب سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمه الله محبة عظيمة حتى
صار لا يقدر على فراقه لحظة واحدة وضاعت مصالح رعيته بذلك، فقال له سيدي
عبد الوهاب الشعراني يوماً: يا أمير حسن اعلم أنه ورد في الحديث النبوي «كلكم راع
وكل راع مسئول عن رعيته»^(٢)، ورعيتك لها حقوق وأنت قد ضيعتها، فانتبه لنفسك
وخلص ذمتك من الحقوق التي عليك من حقوق الرعية والصحبة قبل ما تحاسب
عليها في الآخرة وتوفيها^(٣) لهم، فقال له: سمعاً وطاعة، ثم ذهب من عنده إلى داره
وتصرف في بعض أمتعة داره وتصدق به وبعضه فرقه على جميع رعيته، وأعتق أرقاءه،
وأوقف دوره وحوانيته وبساتينه وما تملكه يده على مصالح الخيرات ومصالح عتقائه،
وأبقى من ذلك رخام بيت من بيوته وشيئاً من المال عند بعض أصدقائه لينبي به
ضريماً ومزاراً للشيخ الشعراني، وأضمر بذلك فيما بينه وبين الله تعالى، ولم يعلم به
أحد من الناس ولا الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ثم بعد ذلك جاء الصنjq إلى
صحبة الشيخ وخدمته متجرباً عن المال والعيال والخدم والحشم والرعية والبيوت
والخيول المسومة والثياب الفاخرة المثمّنة، وترك ذلك كله ولبس عند الشيخ الجلب
الخشن والثياب الغليظة واللبد والكرابيس على رأسه وحرس نعال الفقراء وحملها لهم

(١) ولما لم يتحقق بحسن العقيدة بعض من تعلموا ببلاد الفرنجة وعادوا إلى مصر وتقلدوا وزارة الأوقاف في
سنوات القرن العشرين الميلادي، أمروا بردم البئر المباركة فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

(٢) أخرجه الأئمة أحمد والشيخان وأبو داود والترمذي عن سيدنا عبد الله بن عمر رضي الله عنهما «انظر التخرج
في (راموز الأحاديث) للعلامة المحدث سيدي أحمد الكمشخانوي ص ٣٤٣ ط باموق».

(٣) بالمطبوع: «وتوفيها».

في كل سيارة ساروا فيها وسلك في طريق الله عز وجل حتى صار من أصحاب الشيخ رضي الله عنهم أجمعين.

ولما دنت وفاة الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله تعالى قال للصنjq حسن مكاشفاً له: يا حسن ابن لي الضريح الذي أضمرت عليه في شرك وأثبتته في قصدك فإن رحيلي دنا وشخصي على قبري انثنى، فقال له الصنjq حسن: سمعاً وطاعة، ثم أخذ الأمانة واشترى بها خرابة غربي الجامع المذكور وشرع في بناء القبر.

وفي يوم تمام بناء المنامة له تُوفي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله عليه وعلى أسلافه الكرام وذلك قبل بناء القبة وعدوا ذلك من جملة كرامات سيدي عبد الوهاب الشعراني ؑ.

وقال الصنjq للشيخ قبل وفاته: يا سيدي وصي عليّ ولدك سيدي عبد الرحمن إن أنا مت في حياته يدفني في ترب المجاورين بزاويتك أو في رخاب مقامك فلم نعلم في أيهما دفن رحمه الله عليه، والله تعالى أعلم.

وأما ما اطلعنا عليه من كراماته بعد موته فكثيرة لا تحصى، فمن جملتها أن بنتاً ولدت وركب رجلها من خلف ظهرها، وإذا بغتة قدميها صارتا من قدامها على منكبيها وكبرت هذه البنت وهي على هذه الصفة لكنها كانت تحب سيدي عبد الوهاب الشعراني وتعتقده وتستغيث به في جميع أوقاتها شدة ورخاء وحيث قامت وحيث جلست وحيث نامت وحين استيقظت تقول يا سيدي عبد الوهاب فرأته في نومها وهو يقول لها «أنت دائماً تندهيني وتهيمن بذكري وتحبينني وأنت لا تأتين لمقامي ولا تزوريني»^(١)، فتوجهت إلى مقامه وزارته ثلاث مرات وهي تنام بمقامه، ففي ثالث مرة حوّل الله ركبتى رجلها من خلفها إلى أمامها كخلقة بني آدم المعتادة

(١) هذا تصريح بدعوة الأولياء إلى زيارة محبيهم لأضرحتهم وتأثير ذلك في رفع البلاء وقضاء الحوائج بإذن الله تعالى. على خلاف ما ينكره خوارج العصر!!

وهي لم تنزل حية باقية إلى يومنا هذا وهو ثالث عشر جمادي الثانية من شهور سنة
إحدى عشرة ومائة وألف.

ما يتعلق بوفاته ﷺ

وأما بيان مرضه الذي مات به وبيان مدة مرضه ووفاته إلى رحمة الله تعالى.
اعلم وفقني الله تعالى وإياك لطاعته، أنه مرض ﷺ بمرض الفالج أصابه في
وقت العصر من عاشر شهر ربيع الثاني من شهور سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة
ومكث مريضاً به ثلاثاً وثلاثين يوماً تقريباً إلى أن تُوفِّيَ في يوم الاثنين بعد العصر ثاني
عشر جماد الأول من شهور سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة.

ودفن ﷺ بجوار زاويته في المشهد الذي أنشأه له الأمير حسن الصنjq أمين
الشون المتقدم ذكره الكائن مشهده المبارك بين زاويته وبين مدفن الخواجا خير الدين
الخضري بخط بين السورين على يمنة السالك لقنطرة الموسكي.

وأما بيان جنازته ﷺ فقد قال بعض من حضر جنازته لما غسلوا الشيخ عبد
الوهاب الشعراني وكفنوه حملوه على سرير المنايا على أعناق الرجال وذهبوا به من
سوق أمير الجيوش ثم إنهم صلوا عليه بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله عز وجل، ثم
عادوا به من درب الخرنفش من حارة القاضي عبد الباسط.

قال ابن القصاص تلميذ حافظ العصر الشيخ نجم الدين الغيطي رحمهم الله
تعالى كما وجدته بخطه:

ولعل والله أعلم أن المجتمعين في جنازته من النساء والرجال يزيدون على
خمسین ألفاً. انتهى.

وأما بيان عمره وقدره من السنين ﷺ، فقد تبين من تاريخ ولادته وتاريخ
وفاته أنه عاش من العمر أربعاً وسبعين سنة رحمة الله عليه ورحم أسلافه الكرام
ونفعنا بهم على توالي الليالي والأيام والحمد لله رب العالمين.

وهذا آخر ما يسره الله تعالى في بيان طريقته وأحواله ومناقبه وكراماته التي لا تحصى.

ومن علامة قبول سيدي عبد الوهاب الشعراني تأليف هذا الكتاب مني وذكرى فيه مناقبه وكراماته أيضاً، أنه جاءني الشيخ محمد الشهير بالجلوتي يوم السبت ثامن عشر جماد الثاني من شهور سنة ثلاث عشرة ومائة وألف وقال لي في أثناء تأليفي لهذا الكتاب: أنت الآن تكتب في شيء من مناقب سيدي عبد الوهاب أو طبقاته. فقلت له: ما السبب في سؤالك هذا لي؟ فقال لي: رأيت سيدي عبد الوهاب الشعراني في المنام وهو جالس في مقامه فوق تربته مستقبل القبلة وأنت جالس بين يديه وبجانبك سيدي مصلح الدين ولده وهو يقول له: اكتب يا شيخ محي الدين وأنا أملك ما تكتبه. قال: فصرت أنت تكتب والشيخ يملك حتى انتهت الكتابة ثم قال لك يا شيخ محي الدين: لا تفارق ولدي مصلح الدين ويكون نظرك عليه.

قال، ثم استيقظت وعلمت من هذا المنام أنك مشغول بذكر مناقبه أو كتابتها، وذلك من لحظ سيدي عبد الوهاب لك، واعتناؤه بك. قال: ووالله ثم والله هذا ما رأيته حرفاً بحرف لم أزد فيه ولم أنقص منه شيئاً، فالحمد لله رب العالمين.

وفي هذا القدر كفاية للمحبين والمعتقدين رضي الله عنا وعنهم أجمعين آمين اللهم آمين.

الباب الثالث

«في بيان مناقب خلفه من أولاده وأحفاده وذريته

الذين حفظهم الله تعالى بأنواره وخصهم بفهم حقيقة علوم أسرار

فأقول وبالله التوفيق»

اعلم وفقني الله وإياك لمحبتهم أن سيدي الشيخ عبد الوهاب الشعراني رحمه الله ولد له أولاد كثيرة وماتوا كلهم في حال حياته، ثم إن الله تعالى أخلف منه بعدهم ولده الشيخ الصالح، والخلف الناجح العالم العلامة والخبر البحر الفهامة الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة ومسلك المريدين لحضرة ربهم بأحسن منهج وأوضح طريقة

مولانا سيدي أبو المشاهد عبد الرحمن رحمه الله على توالي الزمان ونفع به جميع المحبين والمعتقدين في الشدائد والأحزان.

كان ﷺ معتدل القامة، جميل الوجه، قمحي اللون، مطرقاً برأسه، قليل الكلام، كثير العبادة يرى نفسه دون كل أحد.

وكان ﷺ إذا ورد عليه أحد يخدمه بنفسه.

وكان ﷺ دائراً مع الإرادة الإلهية لا يخرج عن مراد ربه.

وكان ﷺ يحب الخفاء ويكره الظهور، وطلب منه بعض الأمراء بمصر المحروسة أن يركب الخيل، فأبى وقال: أنا لا أركب إلا الحمارة لأنني لا أستطيع أن يمر عليّ صالح أو عالم أو طالب علم أو حافظ قرآن أو معلم أو مؤدب لي أو كبير سن في الإسلام وأنا راكب إلا وأنزل له وأقبل يده وأسأله الدعاء لي ولمن أحب فحينئذ تكون الحمارة خيراً لي وأسهل عليّ في الركوب والنزول لما ذكر.

وكان ﷺ لباسه الجلب البيض الرفيعة والبفت البيض في غالب أوقاته ويضع فروة الخروف على حمارته إذا ركب عليها.

وذكر عنه والده رحمهما الله تعالى في كتابه «تنبيه المغترين» قال: «وكان ولدي عبد الرحمن ليس له داعية إلى طلب العلم، وكنت من ذلك في حصر شديد بسببه إلى أن ألهمني الله تعالى في ليلة من الليالي أن أفوض أمره إلى الله تعالى، فأصبح ولدي من تلك الليلة يطلب العلم بنفسه من غير أمري له بذلك، وحصل من العلم في عام واحد ما لم يحصله غيره في عشرة أعوام جعله الله تعالى من العلماء العاملين».

وكان ﷺ ماهراً في علم التصوف، حتى قال والده رضي الله تعالى عنه في كتبه: «وقد أفادني ولدي عبد الرحمن فوائد كثيرة في علوم القوم لم أكن علمتها قبله». وشهد له والده ﷺ بحل مشكلات رموز الصوفية التي يتداولونها بينهم.

وكان ﷺ يتكلم بالمعارف والحكم في طريق الله عز وجل وهو ابن ثلاث

سنين!!

قال والده ﷺ في طبقاته الوسطى في مناقب الكازواني: «وأقبل الكازواني على ولدي عبد الرحمن بالمحبة والدعاء له بدعوات شريفة، وكان ولدي يتكلم هو وإياه بالإشارة في الطريق وهو ابن ثلاث سنين في الحجة الأولى ويتعجب الكازواني منه ومن كلامه غاية العجب ويقول لي: أدبني ولدك بكلمات قالها في طريق الصوفية وطريق الأدب».

قال سيدي عبد الوهاب: ولما كانت الحجة الثانية قال الكازواني لولدي عبد الرحمن: قل لوالدك عبد الوهاب يجاور عندنا بمكة في هذه السنة، فقال له ولدي عبد الرحمن: ليس معنا شيء يقوم بنا. قال له الكازواني: الرزق على الله تعالى.

فقال له ولدي: إن كنت تريد منا الإقامة عندك بمكة في هذه السنة على التجريد فشاركنا في ذلك. فقال الكازواني: وكيف أشارككم في ذلك. فقال له ولدي: تخرج جميع ما عندك من النقد والطعام والثياب لهؤلاء الفقراء الزياقة اليمانية حتى لا يبقى عندك في البيت شيء مثلنا، ونحن نقيم معك في هذه السنة لأنك حينئذ قدوتنا في التجريد ونصير نحن نتشبه بك في هذه المجاورة.

فأرسل الشيخ الكازواني يقول لي: قطعني ولدك بالحجة القوية. انتهى.

وكان ﷺ يقول: الكرامات إنما هي خوارق للعادات المستمرة بمعنى أنها نادرة الوقوع، لا أنها خارقة لعادة قدرة الله تعالى، إذ لا يقال ذلك عمن في قلبه إيمان. انتهى.

ومن كلامه ﷺ: اعلم أن لكل حاسة من الحواس الخمس الظاهرة والباطنة حجباً تخصها بينها وبين معرفة الله تعالى، فحجبُ البصر مثلاً غير حجبِ البصيرة، وحجب العقل غير حجب العقيدة. وهكذا فحيث رأينا في كلام بعضهم ما يدل على رفع حجاب أو حجب حملناه على ما يليق. أما الحجب الحاجبة عن كمال معرفته تعالى كما يعرف سبحانه وتعالى نفسه فلا يصح رفعها في حق الخلق مع الحق أبداً.

وله ﷺ كلام مغلق لا يفهمه مثلنا ككلام سيدي إبراهيم الدسوقي الذي نقله عنه سيدي عبد الوهاب في طبقاته الوسطى وجدته بخطه على بعض هوامش من مؤلفات والده، فنقلته كما وجدته حرفاً بحرف.

فمن ذلك ما كتبه سيدي عبد الرحمن على قول والده أن في طلب معرفة ماهية الحق جل وعلا كشف سر القدر المتحكم في الخلائق الذي يصدر عنه المخلوقات من خلف حجاب، ولا يشهد أحد الفاعل كستارة خيال الظل. فكتب ﷺ على قوله «ولا يشهد أحد الفاعل».

طار اشاذ حيا جذظ النجدط ألوانه أو النومج أمنا رعت نجد طه الجخر للفظ غال خختره الحجز فليفهم.

ومن ذلك ما كتبه على كتابة والده على قول سهل بن عبد الله التستري ﷺ الذي نقله عنه والده قال:

لما خلق الله تعالى الخلق تسارعوا للوقوف بين يديه فقال لهم من أنتم؟ وهو أعلم بهم، فقالوا: محبوك. فقال: انظروا ما يقولون فإن المحب لا يصرفه صارف ولا ترده السيوف والمتالف. فقالوا: يا ربنا امتحنا بما شئت. فخلق لهم الدنيا وزينها في عيونهم، ففر منهم إليها تسعة أعشارهم^(١) وبقي بين يديه تعالى العُشْرُ فقال لهم: من أنتم؟ كما مر فقالوا ما قاله الأولون، فخلق لهم الآخرة وزينها في عيونهم، ففر من ذلك العشر تسعة أعشاره إلى الجنة وبقي عشر العشر، فقال لهم وقالوا له ما قال من قبلهم، فضر بهم بأنواع من البلاء، ففر منهم تسعة أعشار عشر العشر، وبقي الباقي صابرين راضين. فقال تعالى: أنتم عبيدي حقاً، لا إلى الدنيا فررتم ولا إلى الآخرة ذهبتم، ولا من البلاء فررتم. ثم قال سيدي عبد الوهاب والده: فمثل هؤلاء الذين جاوزوا الخنادق هم الذين ينبغي لهم أن يجيبوا عن ربهم لدخولهم حضرته، وأما من هو أسير

(١) بالمطبوع: «أعشارها».

شهوته الدنيوية أو الأخروية أو الفار من البلاء فهو من أبعد الأبعدين من حضرة الله تعالى فلا ينبغي له الجواب عنه تعالى. فكتب سيدي عبد الرحمن عند هذه العبارة: هذه العبارة فيها كلام يحتاج إلى تحرير.

«عهد الأجر داس جلي الصيب إلا أمه يما ضخ أم بعهدتلم بجو طزام التاء تراتذ تلان الصيب جلي لقه الوطد يذله بحلي هراظوا شتم نفذذة أيا فتأمل». انتهى.

وكتب على قول والده: فلا يدرك أحد حقيقة الحق تعالى الإطلاقية أبداً.

«ظيه زلاله جلي أم للخط وجالي عغطيظه ولمبيزيه». انتهى.

وقال ﷺ في قوله تعالى «الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى» لا يقال استواؤه تعالى قبل بالقوة ثم هو الآن بالفعل، وهو الآن على ما عليه كان.

وسأل والده عن قوله إن قال قائل: بأي حكمة كان حكم الله في عبده منقسماً إلى شقي وسعيد، ولم لم يكن العالم كله سعيداً؟ فأجاب: أن مثل ذلك يجب السكوت عنه لأنه من علم سر القدرة، فلا يطلع عليه إلا من أمدّه الله تعالى بوهب إلهي، وجود رحاني، فعلم بذلك أن الألوهية أعطت هذا التقسيم.

فقال له: اطلب التعبير بأوضح من ذلك. فقال له: أما تؤمن بأن الله تعالى قال في كتابه العزيز «تَعْلَمُونَ» و«تَفْعَلُونَ» و«تَكْسِبُونَ» وأنه تعالى لا يخبر إلا بما الأمر عليه حقيقة؟ فقلت له: نعم. قال: فما الذي تريد مني بعد هذا؟ فقلت: الجمع بين ذلك وبين قوله تعالى «اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ» فقال: «الشدجيم». فقلت له، فكيف إضافة الظلم إليه؟ فقال: «قد ظلموا أنفسهم خضخه الظجل إليه نظونها ما خصهنتر الحيزبه». فقلت له: أليس ذلك منه أيضاً؟ فقال: «نعم إلا أنهم بالحس» عدلاً

(١) سورة طه: الآية الكريمة / ٥.

(٢) سورة الزمر: الآية الكريمة / ٦٢.

(٣) أي أن الفعل مسند إليهم على ما يعطيهم الحس.

وجوراً وإحساناً وظلماً فخيوطبوا بها شَهِدُوا من باب المقابلة، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَكْرُؤٌ وَّمَكْرَ اللَّهِ﴾^(١) تاتا لحي الغطيظ ظلا عند تلا فلن في أفعال الله تعالى إذ هي منزهة عن^(٢) سائر النقائص فافهم ذلك، والله أعلم.

وكتب ﷺ على قول والده وقد اختلف جماعة من الصوفية في العلم المحدث قال ﷺ: الخلاف في أم تحوظه الله وردت فالجطل اتلاقا لا شغ الكاسي لقوله ﷺ «أن الله احتجب عن العقول كما احتجب عن الأبصار»^(٣). والحديث المذكور مسطور في الغازية جضد هره الصبه ظي الشطمعم الاتكي فليفهم. انتهى.

وكتب على قول والده والحدوث إشارة إلى إدراك التنبيه على جواب في القضية وهو: أم الاغاقة الغاركة بضوغيل أم وصوتل حلي الطزيم ضايد تعته. انتهى.

وكتب ﷺ على قول والده نفعا الله بهما في صفات الله عز وجل واخترع اللوح والقلم الأعلى وأجراه كاتباً يَعْلِمُهُ في خلقه إلى يوم الفصل والقضاء لأن ما بعده من التفصيل أبد الآبدین، ودهر الداهرين من أحوال أهل الجنة وأهل النار لا يقبل الحصر الذي جُعِلَت الكتابة مبينة له.

وكتب ﷺ على قول والده نفعا الله ببركاتهما: الله موجود وأن العالم كله مفتقر إليه افتقاراً ذاتياً، قال «الذي دغو التذط حبق التالزنانا البلط ناجزي تفترسلي الله حكيه تصلق نظز لشطها خمظضر». انتهى. فليفهم.

وكتب ﷺ على قول والده نفعا الله ببركاتهما في كتاب «الجواهر والدرر» وسألته يعني سيدي علي الخواص ﷺ عن العطاء الإلهي، هل يدخله استدراج، ومكر؟ فقال: إن حصل عن سؤال العبد فقد يدخله المكر والاستدراج فقال «قوله:

(١) سورة آل عمران: الآية الكريمة / ٥٤.

(٢) بالمطبوع: «من».

(٣) لم أقف عليه.

إن حصل عن سؤال العبد ثاموز بله تهى طرمايه الوغطيظ لام رلت الفضاييل الصاهر
للجختزية طز امنض خمامة الاتل جلي صظي عتظ هاذ بهت صهنز الكمنية طللنن
شيم الاصوز داع الارلث لثام ظيه تظابه تامنا درماً ظبطز زظحا لنا طز بقذط الظهن
الصطين اي خالمصخة ثالاظهان ثلها تظقتذه جلي التنال عيك ثنال الشمج الإلهي». انتهى.

وكلامه مثل ذلك كثير جداً يضيق عنه هذا المؤلف.

وكان ﷺ متظاهراً بعلوم الشريعة، يدعي العجز عن فهم كلام الصوفية وعن
السلوك إلى طريقتهم، ومع ذلك فإن ناطقته تشهد له بأنه من أكابر علماء الصوفية
وقدوة المسلكين إلى طريقتهم المرضية.

وسأل والده قبل موته وقال إنه إن وقعت في شدة بعد وفاتك فمن ألبأ إليه
بعدكم فيها من أولياء العصر والمتصرفين فيه؟ فقال له والده: إن وقعت في شدة بعد
موتي فالبأ إلى الشيخ محمد البحيري أبي قاسم، فلما مات والده سيدي عبد الوهاب
ظهر عليه ولد عمه عبد اللطيف وناظره وأخذ يستفتح بمجلسٍ مثله في الزاوية بإيوان
القبلة، وميَّال قلوب غالب المجاورين عن ابن الشيخ إليه بالإحسان إليهم بالدراهم
والكساوي والإغداقات والنزّه حتى صار لا يحضر مع ولد الشيخ سوي جدي الشيخ
عبد الرحمن المليجي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ أحمد المشاني فقط وبعض أعراب
وكلهم عند عبد اللطيف، فضايق الخناق على سيدي عبد الرحمن ولد الشيخ ونسى
وصية والده على البحيري المذكور. ثم إنه دخل مقام والده يشكو له حاله مع ولد
عمه عبد اللطيف فأخذته سنة من النوم فرأى والده سيدي عبد الوهاب في النوم
فشكى له حاله فقال له والده يا عبد الرحمن: تذهب إلى خلوتك وأنا أرسل لك من
يتصرف في قضيتك مع عبد اللطيف وكل شيء طلبه منك أعطه له بالغاً ما بلغ.

ثم استيقظ من منامه وتوجه سيدي عبد الرحمن إلى خلوته كما أمره والده،
وإذا بطارق يطرق عليه باب الخلوة ففتحها له وإذا هو الشيخ محمد البحيري وهو
يقول له: أبوك ما وصاك علي؟

فقال له: نسيت يا سيدي. فقال له: هات شريفيًا، فأعطاه له، فأشار بأصبعه
وقال له: كُفَيْتَ شَرَهُ.

وكان عبد اللطيف بالمجاورين في غَيْط يتزهون فيه، وإذا بعبد اللطيف يقول
آه آه يا قلبي، فحملوه إلى داره وأخبره من كان حاضرًا قول البحيري وأخذه
الشريفي.

فقال: علي به وأنا أعطيه عشرة، فلم يجدوه، ومات عبد اللطيف ليلاً، وتم
أمره. ورجع من كان معه من المجاورين إلى سيدي عبد الرحمن وصحبته ومدة
جلوسه على سجادة أبيه سبعة وثلاثون سنة أحيا فيها آثار والده.

وجاء له الشيخ بن الترجمان تلميذ والده وكان قد أشتهر بمصر المحروسة عند
الخاص والعام بالصلاح والعلم والولاية الكبرى حتى نزل لزيارته الباشوات المرات
العديدة والأمراء وغيرهم وقال له: يا سيدي عبد الرحمن لم يفتني من منازل الآخرة
إلا منازل الخمول في هذه الدار، وأنا أحسدك عليه لأنه من أعظم نعم الله تعالى على
العبد في دار الدنيا وأنت قد من الله به عليك. فقال: الحمد لله على ذلك.

كما قيل في المعنى:

لَيْسَ الْخُمُولُ بَعَارٍ	عَلَى امْرِئٍ ذِي كَمَالٍ
فَلَيْلَةُ الْقَدْرِ تَخْفَى	وَتِلْكَ خَيْرُ اللَّيَالِي

وقال الشيخ زورق: ومما أنشدنا شيخنا بن عقبة:"

(١) بالأصول عطية، والصواب ما أثبتناه كما ذكره سيدي زروق في عدد من مؤلفاته، وانظر ترجمة شيخه سيدي أحمد
بن عقبة الحضرمي في طبقات المناوي، تراجم الطبقة التاسعة ص ٩٨.

عش خامل الذكر بين الناس وارضى به فذاك أسلم للدين والدنيا وللدين
من عاشر الناس لم تسلم ديانته ولم يزل بين تحريك وتسكين

وقال آخر:

لقد قنعت همتي بالخمول وملت عن الرتب العالية
وما جهلت طعم طيب العلا ولكنها تسوثر العافية

توفي ﷺ في رابع عشر المحرم الحرام افتتاح سنة إحدى عشرة وألف من
الهجرة النبوية ودفن بمقام والده رحمهما الله تعالى آمين.

وأخلف بعده ولديه هما سيدي إبراهيم وسيدي يحيى.

«سيدي إبراهيم»

فأما سيدي إبراهيم ﷺ فإنه جلس بعد والده على السجادة ثلاث سنوات ثم
توجه إلى الحج الشريف وقضى مناسكه وزار نبيه عليه الصلاة والسلام ولما رجع منه
إلى أكره بطريق الحاج مات ودفن بها في رابع عشر المحرم الحرام افتتاح سنة أربع
عشرة وألف من الهجرة النبوية.

كان ﷺ طويل القامة أزهر اللون جميل الوجه مقرون الحاجبين معتدل
السمن، حسن الصفات، خلص الذات، كريم النفس، يعطي عطاء الملوك، يلبس
الثياب الفاخرة، ويركب الخيل المسومة، سليم الصدر، يحب الغرباء والأيتام
والأرامل والفقراء والمساكين ويحسن إليهم.

وكان ﷺ كل من رآه أحبه ولا يكاد يفارقه من حلاوة لفظه وعذوبة منطقه
ومحاسن ذاته وكمال صفاته.

وكان ﷺ يجيب كل من سأله شيئاً بعطائه ولكن يعطيه أضعاف ما سأل.

وكان ﷺ إذا خرج إلى زاوية جده ووجد أحداً من المجاورين بالزاوية يخلق رأسه يعطيه الخمسة أنصاف فأكثر وتكون حلاقة رأسه جديداً أو جديدين.

وكان ﷺ يعطي الجوخ والأصواف والبفت والجبب والقمصان والشاشات، وكل من طلب منه شيئاً أعطاه فوق ما سأل ويقول: لا أعطي إلا بقدر مقامي ومقامي الزهد في الدنيا كجدي.

وكان ﷺ له أقارب بالريف لا يحوجهم لغيره ويعطيهم كل ما احتاجوا إليه وانقطعوا له بعد موته رحمه الله تعالى.

وأقام ﷺ شعار جده وتبع آثاره في الكرم والإغداق على المجاورين بالزاوية، ونهج منهج الكرام والعلماء الأعلام إلى أن ذهب إلى دار السلام.

«سيدي يحيى»

ثم جلس بعده على السجادة أخوه سيدي يحيى أبو الإمداد وقيل أبو الصلاح.

وكان ﷺ ذا ناطقة ومعرفة في الأمور كلها فإن جالس العلماء كان منهم أو جالس الظرفاء كان منهم أو جالس الصوفية كان منهم وإن جالس السوقة عاملهم بها يليق بهم، حتى يظن صاحب كل حرفة أو طريقة، أنه من أهل تلك الحرفة أو الطريقة، بل يرشده إلى دقيقة من دقائق حرفته أو طريقته حتى يتعجب من سعة اطلاعه ومعرفته لسائر أمور العالم.

وكان ﷺ إذا جالسه أحد لا يمل من حديثه ويود أنه لا يفارقه ولا يقطع عنه أنس حديثه وكلامه.

وكان ﷺ يغدق على المجاورين كلهم بكثرة عطائه وجزيل هباته سيما أكابر المجاورين أيام الخدم، كان يتفقدهم ويرسل لهم إلى بيوتهم من كل شيء ما يكفيهم ويكفي عيالهم.

وكان ﷺ يسأل عن مصالح المجاورين وعن ضروراتهم.

وكان ﷺ يأخذ للمجاورين من كل فاكهة طلعت في أول طلوعها من مشمش وخوخ وكُمثرى وتفاح ونبق ورمّان وعنب وبطيخ أصفر وأخضر وقثاء وخيار وضميرى^(١) غير ذلك، فيأخذه في أول طلوعه ويفرقه على جميعهم شيئاً يشبع الواحد منهم ويشبع عياله وأولاده.

وكان ﷺ يطبخ لهم الملوخية في أولها بالأوز البدرى ويطعمها لهم ولعيالهم، وكذلك يعمل لهم الكنافه ويطعمها لهم ويرسل منها لعيالهم، وكذلك يرسل لبيوتهم الجرار اللبن والبيض والكبر بالبن من هدايا لمزارعين في الرزقة، وكذلك يرسل لهم الطير في زمنه، وكذلك الفراخ والحمام وغير ذلك.

وكان ﷺ يرسل في شهر رمضان لكل واحد من المجاورين صحناً من طعام يكفي أهله وأولاده إلى بيته في كل ليلة، فإذا كان آخر شهر رمضان يكسو الإمام بالزاوية والخطيب والمؤذن والفراش بالأصواف والبروجيات^(٢) والشاشات والبفت^(٣) والجلب والعرقشنيات^(٤) والقباطي^(٥) وغيرها لكل أحد ما يناسبه.

وكان ﷺ يعطي كل واحد منهم حق القوطة والنقل^(٦) والكعك للعيد، وكان ﷺ أكثر اعتنائه بخدمة الزاوية دون غيرها ويقول هؤلاء أجنحتي لا أستعين على الرقي في العبادة إلا بهم، فهم معاونون لي في الدنيا والآخرة.

(١) لم أجده فيما لدي من المعاجم، وأقرب شيء إليه: الضومران والضميران: الريجان الفارسي، من الفصيلة الشفوية: المعجم الوسيط ٥٦٤.

(٢) لم أجدها فيما لدي من المعاجم.

(٣) نوع من الثياب القطنية، وأصلها بالفارسية بافتة. المعجم العربي لأسماء الملابس ٧٢.

(٤) العرقجين، بفتح العين والراء وسكون القاف: وطاقة تلبس تحت القلنسوة والعمامة لامتصاص العرق، وهي مركبة من عرق وجين، كلمة فارسية بمعنى مجفف. انظر المعجم العربي لأسماء الملابس ٣٢٤.

(٥) القبطية، بضم القاف ثياب كتان بيض رقاق تعمل بمصر. المرجع السابق ٣٧٤.

(٦) في المخطوط دون واو العطف.

وجاء له مرة مولانا العارف بالله تعالى سيدي محمد بن زين العابدين البكري الصديقي^(١) زائراً له فقال له الشيخ يحيى الشعراني: اجلس عندي هذا اليوم حتى تأكل من زادي فقال له سمعا وطاعة فهم جالسون وإذا برسول الأمير محمد بك نوالي الصنjq حضر إليهما وقال لسيدي محمد البكري الصنjq يسلم عليك ويطلبك في هذا الوقت لأمر ضروري فقال الشيخ البكري لسيدي يحيى الشعراني: تأذن لي بالتوجه للصنjq طوّالي^(٢) لننظر في قضيته وضرورته ونرجع إليكم نحن والصنjq ونأكل، فأذنه سيدي يحيى الشعراني.

فتوجه الشيخ البكري للصنjq ثم توجهها لبيت الشيخ البكري في بركة الأزبكية، ونسي الشيخ البكري وعده لسيدي يحيى الشعراني، فما استقر في البيت حتى أرسل له سيدي يحيى الشعراني طبقاً من نحاس فيه أطباق من صيني بعدد الألوان التي صنعها له حتى وضع له فيه البقل والفجل والليمون والسلطة والشريك والمربيات كل ذلك في الطبق النحاس فلما وضع بين يدي الشيخ البكري سر به سروراً زائداً لا يكاد يوصف، وإذا برسول سيدي يحيى الشعراني الذي أرسله بصحبة الطعام وهو والدي الشيخ عبد الرحمن المليجي إمام الزاوية يقول للشيخ البكري يقول لك شيخنا سيدي يحيى الشعراني تملأ الصحون كلها من الهدية التي جاءت إليك فقال الشيخ البكري كيف العمل! أنا لم تأتني هدية، ولكن أنا أملؤها بشيء آخذه له وأرسلها له فما استموا الأكل إلا وإذا بهدية قد حضرت من الطور إلى سيدي محمد البكري قفص فيه كمثرى وقفص فيه تفاح، فحصل للشيخ البكري غاية الحظ والسرور بهذه الهدية ومعرفة كشف سيدي يحيى الشعراني بها وإخباره عنها قبل ورودها إليه وتحقيق بذلك الولاية والكشف التام لهما رضي الله عنهما.

(١) انظر ترجمته في خلاصة الأثر ٣ / ٤٦٥، وقد أطنب المؤلف في الثناء عليه بما هو أهله ﷺ وعن آبائه والذرية الصديقة جميعاً. توفي سنة ١٠٨٧ هـ ودفن بمشهد آبائه خلف الإمام الشافعي رضي الله عنهم جميعاً. والمترجم له هو حفيد سيدي محمد البكري الكبير الملقب بأبيض الوجه ت ٩٩٤ هـ ابن شيخ الإسلام سيدي أبي الحسن البكري ت ٩٥٢ هـ قدس الله أرواحهم جميعاً.

(٢) على عجل.

وكان ﷺ ذا هيبة وجاه عند أرباب الدولة والنواب ويأتون لزيارته في الجمعة مرة أو مرتين.

وكان ﷺ يسعى لزيارته أرباب السجاجيد في كل قليل من مشايخ مصر سيما في الأعياد وغيرها كالسادة البكرية والسادة الوفائية والسادة الخلوئية وغيرهم من سائر أكابر مصر وعلمائهم وصلحائها.

ورأيت بعيني رأسي مولانا الشيخ العارف الرباني سيدي محمد الخلوقي جاء لزيارته، فاستأذن عليه، فلم يأذن له فقام وقال للبواب تسلم لي على الأستاذ وتقبل يديه وتسأله لي الدعاء وتقول: محمد الخلوقي جاء إلى زيارتكم ويسألكم الدعاء له لأنه من أكبر المحبين والمعتقدين فلا يخلينا من نظره السعيد ومدده المفيد.

ورأيت حضرة شيخ الإسلام والمسلمين مولانا الشيخ محمد الشوبري^(١) الكبير الذي كان يقال فيه أنه الشافعي الصغير يجلس ويستأذن فلا يأذن له في الدخول عليه فيرجع ولم تتغير منه شعرة في اعتقاده ومحبه رضي الله عنهما أجمعين.

وكان ﷺ لا يركب إلا غبا^(٢) لأمر ضروري.

وكان ﷺ في بيته القمصان العنبرية الغزل الأزرق لباس الجوارى والخدم والجلبب الأحمر الصنباوية على الفراء الحُمُر العنانية وكان يلبس على رأسه الطاقية الجوخ الأخضر أو الطاقية الخوص المغشاة بالجلد الأحمر ويلف عليها الشملة الحمراء البلدية التي تساوي نحو العشرة أنصاف، وكان ذلك زهداً منه وتعففاً ورياضة للنفس.

(١) محمد بن أحمد الملقب بشمس الدين الخطيب الشوبري الشافعي ٩٧٧ - ١٠٦٩ هـ شيخ الشافعية في وقته، كان يتأدب مع الصوفية، له حاشية على شرح المنهاج وعلى شرح التحرير وعلى شرح الأربعين النووية لابن حجر الهيتمي وله فتاوى مفيدة. دفن بترية المجاورين المباركة. انظر خلاصة الأثر ٣ / ٣٨٥، وانظر ترجمة أخيه الشهاب أحمد الشوبري الحنفي المشهور بأبي حنيفة الصغير في نفس المصدر ١ / ١٧٤. وقد تلقى الأخوان طريق التصوف عن الإمام العارف بالله سيدي أحمد الشناوي نزيل مكة وحفيد سيدي محمد الشناوي.

(٢) أي لا يديم الركوب، بل يفعله تارة ويتركه أخرى.

وكان ﷺ إذا ركب لأمر ضروري في النادر يركب الخيل المسومة بالدكديك
الجوخ الأحمر بالصانية بالصجق الأزرق والقامشية الجوخ المثمنة قدامه مع السراج
والفرا السمور والجوخ البندقي والصاية والعمامة الكبيرة البكرية.

ونزل لزيارته ﷺ محمد باشا السلحدار المكني عند السادة الوفائية بأبي النور
نائب السلطان بمصر المحروسة، ودخل عليه الخلوة فلم يتحرك سيدي يحيى
الشعراني من مجلسه له ولم تقم منه شعرة.

ثم أنه دعا لحضرة مولانا السلطان بالنصر ولنائبه بالعدل، وانصرف نائب
السلطان من عند الشيخ وهو منشرح الصدر موقن بولايته.

وكان ﷺ يخبر بالأمور المغيبة عن الأعين والآتية قبل ظهورها، وقد أخبرني
ﷺ بأمور فجاءت كما أخبرني عنها حرفاً بحرف.

وحج ﷺ خمساً وخمسين حجة جاور في آخرها بمكة عاماً كاملاً ومدحه ولده
سيدي عبد الحلیم في مرثية له فقال:

يا رب صائحة في الليل قلت لها	قلي النواخ رفعت النوم عن مقلي
قالت تنام ويحيى مات كيف جرى؟	قطب الوجود ولي الله ابن ولي
خاص الكرام وشعراوي إمام هدي	خضب البلاد ويحييها بغير ولي
فلتبك يا مصر ما الدنيا بقى أبداً	لا تطمعي بعده للنفخ في رجل
العالم الناسك النحرير بحر تقي	الراغب الراهب المحفوظ من زل
العارف الوائق الفياض سور حمى	نسل الكرام هداة الناس بن علي
بحر الولاية ملحوظ العناية لن	ترى له مثلاً في الأعصر الأول
فسره ظاهر جل الجلال به	والضد يجمعه في عالم الأزل
لولا كرامته ما كان سيده	يدعو ضيافته في أكرم النزل
خمس وخمسون في عرفات واقفها	خفير للدرب ما في ذاك من خلل

والْحَجَّ فِي أَمْنٍ مِنْ مِيمُونٍ طَلَعَتْهُ
 كَانَتْ مَحْفَتُهُ وَالنَّاسُ تَلْثَمُهُ
 كَانَ الْحِدا عَشَاقَ حَرَكَتِهِ
 فَكَمْ لَيْالٍ قَطَعْنَاهَا نَسَامِرُهُ
 وَنُورُ طَلَعَتْهُ تَهْدِي الرُّكُوبَ فَلَا
 يَا وَحْشَةَ الرُّكْبِ مِنْ أَنْوَارِ بَهْجَتِهِ
 يَا وَحْشَةَ الْبَيْتِ مِنْ طُوفِ الْوَلِيِّ بِهِ
 يَا وَحْشَةَ الْبَيْتِ رِضْوَانًا لَصَحْبَتِهِ
 يَا وَحْشَةَ النَّاسِ وَالْدُنْيَا بِمَا رَحِبَتْ
 مِنْ بَعْدَهُ يَرْتَجَى إِنْ أَدْلَجَتْ كَرْبَ
 وَمِنْ بَعْدَهُ يَسْقِي الْغَمَامَ إِذَا
 مِنْ بَعْدَهُ يُرْتَجَى لِلنَّازِلَاتِ وَقَدْ
 وَمِنْ لَهُ رَتْبَةُ التَّصْرِيفِ ثَابِتَةٌ
 وَمِنْ بِهِ تَكْشِفُ الْغَمَامُ إِنْ نَدَّهَوَا
 وَمِنْ بِهِ تَنْجِلِي الظُّلُمَاتِ مَسْرَعَةٌ
 مَا مَاتَ بَلْ نَقْلُهُ مِنْ دَارِ فَانِيَةٍ
 مُنْعَمٌ فِي جَنَاتِ الْخُلْدِ مَبْسُوطٌ

مُسْتَغْنِينَ بِهِ عَنْ هَاطِلِ الْوَبَلِ
 كَأَنَّهَا كَعْبَةٌ وَالْخَلْقُ فِي وَجَلِ
 فَعَادَ رُكْبَ النُّوَى وَالرَّصْدُ فِي الرَّمْلِ
 وَالْعَيْسُ تَطْوَى الْفَلَاحُ سَهْلًا عَلَى جَبَلِ
 يَضِلُّ حَادِي السُّرَى فِي حَيْرَةِ السُّبُلِ
 يَا وَحْشَةَ الْحَجِّ بَلْ يَا وَحْشَةَ الْإِبْلِ
 يَا وَحْشَةَ الرُّكْبِ مِنْ لَثَمٍ وَمِنْ قُبُلِ
 قَدْ كَانَ يُنْجِدُهُ فِي الْحَادِثِ الْعُضْلِ
 قَدْ صَارَ مِنْ فَقْدِهِ وَالنَّاسُ كَاهْمِلِ
 وَازْوَرَّ حَالِكُهَا مِنْ نَازِلِ خَطِلِ
 مَا قَالَ يَا رَبُّ جَادَ الْغَيْثُ بِالْهَطْلِ
 أَلَّتْ أَرْمَتُهَا فِي النَّاسِ لِلْخَبَلِ
 وَمِنْ لَهُ الْأَمْرُ وَالْإِنْفَادُ فِي الدُّوَلِ
 وَمِنْ بِهِ شِدَّةُ الْأَهْوَالِ فِي جَلَلِ
 وَمِنْ بِهِ الْأَزْمَةُ الصَّمَاءُ لَمْ تَطُلِ
 فِي دَارِ بَاقِيَةٍ فِي أَكْرَمِ النُّقُلِ
 مَتَوَجُّجٌ أَفْخَرَ التَّيْجَانِ وَالْخُلَلِ

إلى آخر ما قال

وقال غيره في مدحه كثيراً فالحمد لله رب العالمين.

وكان ابتداء هذه الحجات في سنة عشر وألف من الهجرة النبوية على صاحبها

أفضل الصلاة والسلام.

(١) كذا بالأصول ولعل صوابها: كَلَّلِ.

وبلغت مدة جلوسه على سجاده جده إحدى وخمسين عاماً.

وكان ﷺ قصير القامة قمحي اللون أكحل العينين جميل الوجه أقرنى الأنف، بجهة من أنفه خال أسود قد زين وجهه وجمله، لا تمل من النظر إلى وجهه. وجمع وجهه الجمال والجلال، إذا ابتسم في وجه أحد خاف منه خوفاً شديداً، وبلغ من السن إلى عشر التسعين، ومع ذلك لم يطرُقهُ الشيب بل كانت لحيته مثل الليل البهيم.

وكان ﷺ نحيف الجسم، يلبس المنطقة الجلد العربية، عرّضها من شربه إلى سوءته، وكان ﷺ في بطنه جلدة تغطي المنطقة كلها من أمامه ابتلاه الله تعالى بذلك.

وكان من أعظم الصابرين على البلاء ﷺ، واجتمعت به ﷺ وتربيت عنده إلى أن مات وأنا ابن خمس عشرة سنة، ودعاني بدعوات وجدت بركتها، وبشرني بأمور مستقبلية فوجدتها كما قال وأخبر.

وألبسنني بيده في ختاني من أثره صوفاً أحمر فصله بقدري إذ ذاك، ومضربة من بفتة بيضاء، وقميصاً ولباساً وحزاماً حزماني به على البفتة المضربة، وقلنسوة مضربة من أطلس أحمر أفرنكي قرصها من قصب الفضة، وكان ذلك لبس أولاد أعيان المشايخ بمصر في الصدر الأول الذي أدركناه، وشاشاً أبيض مطنبر بالحرير الأبيض في لحمته كانوا يأتون بهذه الشاشات من مكة المشرفة.

فكان هذا الإلباس لي منه خرقة الصوفية المعهودة بينهم فجزاه الله تعالى عنى كل خير، ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتابنا المسمى بسرور القلب وقرة العيون فإنه كافٍ له في ذلك والحمد لله رب العالمين.

وتزوجت بأم الأولاد في حياته وكان ﷺ قد استخارها لي وكان يقول لي كلما اجتمع عليه: أزوّجك يا شيخ محي الدين بنت ابن عمك، والحال أنني كنت صغيراً، عمري إذ ذاك نحو اثنتي عشرة سنة فكنت أكره ذلك منه وأكره الاجتماع عليه لأنني كنت لا أرضاها لي زوجة، وأقول لأهلي لو قطعت أرباً أرباً لا أتزوج بها أبداً واطلبوا

لي غيرها، فخطبوا لي غيرها كثيراً ولم يقسم لي إلا هي. فكان الأمر كما قال الشيخ، وتزوجت بها بطيب نفس ورضا مني بها وقلب الله العيان في ذلك ببركته، ثم بورك لي فيها ببركة إشارته.

وكان البناء بها في شهر رجب الفرد من شهور سنة أربع وستين وألف من الهجرة النبوية.

وكان الشيخ يحيى الشعراني المذكور مجاوراً بمكة المشرفة وكان ذلك قبل موت الشيخ بعام كما تقدم ويأتي مبينا في محله إن شاء الله تعالى، وكانت ولادته ﷺ في سنة ثمان وسبعين وتسعمائة من الهجرة النبوية بعد وفاة جده سيدي عبد الوهاب الشعراني بخمس سنين.

وتوفي ﷺ في نصف ليلة الخميس ثامن عشرين من صفر الخير من شهور سنة خمس وستين وألف من الهجرة النبوية.

وكان ﷺ مشهده مشهد الأئمة الأكابر الأعيان.

وقال بعض من حضر مشهده، كان مشهد سيدي يحيى الشعراني كبيراً وحضره من النساء والرجال نحو الخمسين ألفاً.

قلت وقد حضرت جنازته وشاهدتها بعيني رأسي، فرأيت من حضرها من النساء والرجال والأطفال يزيدون على ما قاله ذلك الشخص يقيناً لا ظناً وذهبوا به من سوق أمير الجيوش وصلوا عليه بالجامع الأزهر المعمور بذكر الله تعالى، وأتوا به من درب الخرنفش من حارة عبد الباسط. ودُفن ﷺ بمقام جده عند والده وأجلس ولده سيدي عبد الحليم في حال حياته بعد موت ولده الذي كان قبله وهو الشاب الصالح والعامل الناجح سيدي شمس الدين محمد رحمه الله تعالى.

(١) وقد ذكر المؤلف في الصفحة السابقة أن سيدي يحيى توفي والمؤلف في الخامسة عشرة من عمره وعليه يكون ميلاد المؤلف سنة ١٠٥٠ ثامناً، وهو تحديداً لم تسبق إليه، والله الفضل والمنة.

«سيدي شمس الدين محمد»

كان ﷺ جميل الذات والصفات، كثير الإغداقات والحسنات، جزيل الخيرات والبركات، ابتلى الله تعالى في سائر جسده إلا وجهه وكفيه أبرأهما الله تعالى مما ابتلاه جسده به من الآفات والبليات.

وكان ﷺ محبوباً لجميع المخلوقات، محفوظاً من السيئات، كثير العبرات، يبكي على تقصيره في الخيرات.

وكان ﷺ ذا همة عليه يهتم لهم المجسوب عليه، ويغتم لغم المنسوب إليه.

وكان ﷺ يقول الحق ولو عاد بالضرر عليه.

ومكث ﷺ على السجادة في حياة والده نحو سبع سنين، إلى أن مات ﷺ في ليلة الأحد ثالث عشرين من شهر جمادى الأخيرة بعد العشاء بنحو عشر درج، وجهاز ودفن ليلاً بعد نحو خمسين درجة سنة إحدى وخمسين وألف من الهجرة النبوية، ودفن ﷺ في مدفن المرحوم الشيخ أحمد الشيعي بدرب الكافوري تجاه زاوية جده سيدي عبد الوهاب الشعراني، وقبره بها ظاهر يزار رحمة الله عليه.

«سيدي عبد الحلیم أبو الصلاح»

وأما سيدي عبد الحلیم أبو الصلاح ﷺ كانت ولادته في سنة ست وأربعين بعد الألف من الهجرة النبوية.

وكان جلوسه على سجادة جده وهو ابن ست سنين.

ومات والده سيدي يحيى وهو ابن تسع عشرة سنة.

وكان ﷺ كثير الحياء، كثير الغيرة على أهله وأولاده وعياله وأصحابه، يحب الحق ويكره الباطل ولا يحسن للناس إلا بأطيب أمواله وأنقدها وأحبها إليه.

وكان ﷺ يحب إخفاء عمله الصالح.

ونشأ ﷺ شريف النفس يحب أن لا يكون لأحد عليه منة.

وكان ﷺ يكافئ على القليل بالكثير، ويقول: كل أحد يعطي بقدر مقامه، وكان ﷺ يعمل الطعام الكثير للأنفار القليلة، فقلت له مرة في ذلك. فقال: العين لها حق وتشبع قبل الجسد، ولا تشبع العين إلا بالكثير من الطعام، فإذا شبعَت العين شبع الجسد وضده بضده.

وكان ﷺ معتدل القامة، أزهر اللون، أكحل العين، مقرون الحاجبين، أثيل الصدغين، أقنى الأنف، أشنب الفم، طويل اللحية الكثة الشديدة السواد، سمين البدن، بطين جميل الذات والصفات، كثير الهبات، ملازم على مجالس الخيرات، قليل التزهات، قليل الركوب لا يركب إلا غيا في المهمات أو الضرورات.

وكان ﷺ يغلب كل من خاصمه ويقر له خصمه بعد غلبه بالعبودية والعجز عن مقاومته مع أنه كان يسكت في الخصام ولا يعيد ولا ييدي ولا يجادل عن نفسه ولكن قوة الله تعالى تقهر خصمه كما وقع له ذلك مراراً.

فمن ذلك ما وقع له مع الشيخ أحمد الديربي بسبب رزقة كان يزرعها من رزق الوقف، وحصل منه غيظ على الشيخ عبد الحليم الشعراني، فجاء بجماعة من الجامع الأزهر ومن أكابر مصر وعقد له مجلساً بهم ليزجره حتى يقضي منه أربه، فلما حضر الجميع وسكت الشيخ عبد الحليم الشعراني وسكتوا كلهم، فأراد أحمد الديربي أن يفتح الكلام بشدة وغلظة، وإذا به قد خرج منه ريح بصوت عالٍ سمعه كل من كان في المجلس من العلماء وغيرهم، فما وسعه إلا أخذ نعاله وتوجهوا الجميع بالخزي لهم ولصاحبهم، وسلم صاحبهم للشيخ ولم يعد ولم يبد بعد هذا المجلس.

وأخبرني في حياته بموته وبأمر تقع بعده، وقعت كلها بعده كما أخبر، ولم أطلع له على شيء يشينه في دينه ولا معاملته ولا وقته.

وكان ﷺ كثير الالتفات والاعتناء بزاوية جده وزاد فيها من المجاورين كثيراً وزاد لهم في جرايتها والمعاليمة لخدمتها ورتب بها خيرات كثيرة ودامت لوقتنا هذا.

وكان ﷺ يكرم من يستحق الإكرام ويهين من يستحق الإهانة.

وكسا بعض المجاورين الأصواف والجوخ والشاشات والقمصان وغير ذلك.

وكان ﷺ يتفقد أكابر المجاورين بالأضحية، يرسل للواحد منهم الخروف أو الخروفين ومع ذلك يرسل إلى بيوتهم من أضحيتهم التي يضحى بها في بيته ويرسل لجميع المجاورين منها إلى بيوتهم نصيباً يكفيه ويكفي عياله.

وكانت ذاته وصفاته حسنة.

· طلب العلم والحساب على.....^(١)

ومن نظمه رحمه الله تعالى في المواعظ والتغزل والمرائي والرقائق المستحسانات قوله:

نصحتك يا مغرورٌ في دار فتنتي	فخذ حذراً منها وكن أهل يقظة
ودع ما بدا للعين من زهو زهرها	وكن ناظراً فيها بعين البصيرة
ولا تك مغروراً بحسن ابتسامها	ففي ضممه مكر وغدر بخدعة
فأفراحها حزنٌ ^(٢) وراحتها عنا	وصحتها سقم به وكل علة
فكم سالت شخصاً فلما لها بها	له أسرت قهراً عليه وذلة
فأضحى لها عبداً ذليلاً مع الهوى	وأعرض عن مولاه جهلاً بغفلة
فلله عبد مآل عنها وما لها	من الزخرفِ الفاني بزهدٍ وعفة
وقام لمرضاة الإله مسارعاً	بقوة إيمانٍ وتجريدِ همّة
فطوبى له يوم القيام لربه	إذا أشغل العاصين وزر الخطيئة
فيارب بالأحباب صفوتك الألى	بهم تسقنا عيناً وتكشف غمة
وبالمصطفى المختار أحمد حامد	محمدك المحمود في كل رتبة

(١) بياض بالأصول.

(٢) بالمخطوط: «فأفرحه».

بأسمائك الحسنی بأوصافك العلی
بوجهك ذي الأنوار والمجد والثناء
يسود بها في عصره وزمانه
فيارب تحفظني وترحم والدي
وكن راحماً جدي ووالده الذي
سما عابد الوهاب والقطب نجله
وكل أصولي والفروع فكن بهم
كذلك أحبابي وسائر من يلي
فبأبك مفتوحاً إلى كل طالب
لك الحمد يا مولاي حمداً مؤبداً
وأزكى صلاة الله ثم سلامه
نبي ملاذ العاجزين وذخرهم
محمد من قام الوجود بسره
وآل وأصحاب كرام ووارث

وقال ﷺ:

قُمْ " اسقني من رحيق الراح كاساتي
قوم كرام إذا ما جئت قاصدهم
أسرارهم نشرت في الكون واشتهرت
الروح منهم بروح الراح امتزجت
فادخل جهاهم ولا تقطع زيارتهم
فيا حليماً تهب للعبد منك رضا

بما تستحق الذات عزت وجله
أجيب وأغث عبد الحليم بنظرة
على كل منسوب لأهل الحقيقة
بحرمة من لبي وطاف بكعبة
ختمت به حقاً طراز الولاية
كذلك للرحمن فاز بخدمة
رحيماً إذا ما الهول عم الخليفة
جناني وأتباعي وأهل طريقة
وفضلك فياض بجود ومنّة
على مالنا أوليت في كل نعمة
على المصطفى المختار خير البرية
يقول غداً في الحشر يا رب أمتي
ولولاه لم نخرج من العدمية
لهم في مقامات الكمال الشريفة

ما بين قوم كرام ثم ساداتي
ألقي الصفا والوداد والسعادات
وصار منهم لهم أزكى الولايات
وشاهد الكل وحدتهم بوحدات
يحموك من كل ضيق ثم شدات
وتوبة منك لا تبقى خطيات

(١) بالأصول: «قوم» وهو خطأ ظاهر.

ثم الصلاة على المختار شافعنا
والآل والصحب ثم التابعين فهم

خير البرية من عرب وسادات
أهل الوفا والتقى والسيادات

وقال ﷺ:

قف على الباب خاضعا بأعتاب^(١)
واسع للحي واحتم بحماهم
فهم سادتي وهم اعتمادي
يا أهمل الحمى أتاكم فقير
حاش لله أن تردوا نزيلاً
سادتي سادتي أجيوا عيلاً
أنتمو مقصدي وأنتم مرادي
فعسى أن أفوز منكم بقرب
فيارب ترحم العبيد بحلم
إن لي عدة إليك مسلاذ
وصلاة مع السلام من الله
أحمد المصطفى أجل البرايا
وعلى الآل والصحابة جمعاً

صادق القصد حافظ الآداب
فاز عبد يلوذ بالأعتاب
منهل الخير مقصد الطلاب
مستجير بالسادة الأنجاء
أمكم للرضى ونيل الثواب
من جواه ووُجده في التهاب
ليس إلا بكم يكون اقتراب
وشهود فيه لزيد الخطاب
واجعله ربي من جملة الأحياء
جدي القطب عابد الوهاب
دواماً على النبي الأواب
أشرف الرسل أقرب الأحياء
ما اهتدى مهتدي بفعل الصواب

وقال ﷺ:

بحق حقك حقق عين إنساني
واحقق خلائق خلقي عن تخلقها
واجعل وجودي مرآة منورة

بمشهد النور عن كشف وبرهاني
برؤية العين وارفع حجب أكواني
بنورك الحق في سر وإعلان

(١) بالمطبرع: «باكتتاب».

فأنت بالفضل قد أبديتنا كرمًا
سبعاً مثاني في صُحُفٍ مقدسة
حتى أكون بها حقاً وليس أنا
وإنما العينُ في تنزيهه وحدتها
والممكن العين موجدٌ بموجده
والأمر منه إليه جل خالقها
فيا عظيم الثنا يا من عوائده
ترحم عبيداً على الأبواب منكسراً
ثم الصلاة على المختار من مضر

وقال ﷺ:

دارُ حزنٍ عظيمه الضراء
كُلُّ حي بها وإن عاش دهرًا
حيث سَرَتْ بحلو اجتماع
كل حين لها وكرُ خطوب
من يرد من طباعها غير هذا
كم أثارت بفقد أصل لفرع
ما على الدهر معتب بمُصابٍ
سيما فقد سيد عرف الله
صاحبُ الوقت جامعُ الفضلِ مولى
وهو شعراني أجَلُ إمامٍ
شيخُ هذا الوجود خير البرايا
غَوُث من يطلب الطريق إلى الله

فاختم به وأعطني قرآنَ فرقانٍ
كما تقول على تنزيلِ أعياني
بل أنت أنت وجودي عين إنساني
لها التَّنَزُّلُ إن شاءت بإمكان
مراتب ظهرت جمع بفرقان
وكل شيء سواء باطلٌ فاني
كُلُّ الجميلِ ويا من فضله داني
يروم حلماً بتحقيقٍ وعرفان
وأفضل الخلق من عجم وعربان

خلقت للفناء لا للبقاء
منتبه إلى بلاء وفناء
أحزننت دائماً بمرثنة
بجيوش الهموم والأرزاء
يطلب النار فوق جُنة ماء
جمرة للآباء والأبناء
عَمَّ كَلَّ الوَرى بِحُكْمِ القَضَاءِ
بسُنْجِ الشُّهُودِ والأنبياءِ
هو يحيى ووالدي وولائي
مرشد السالكين نهج العلاءِ
تحفة الدهر نخبة الأولياءِ
ويبغي إليه حسن اهتداءِ

ناظرٌ للجميل عامل خير
كاشفات له الغيوب قناعاً
مسفرات له الحقائق وجهاً
مات من كان ملجأً وملاذاً
مات من كان للأنام جميعاً
كان تاج الزمان جسماً وروحاً
كان قاتلاً نشاهد فيه
مثل سفيان والجنيد وذو النون
توجته ولا يلة الله تاجاً
فَقَدُّهُ صَيَّرَ الوجودَ ظلاماً
فقده للأنام أعلى مُصابٍ
فقدته أراميل ويتامى
وعلى فقدته بكى الناس حتى
يا عيونى فيضي عليه دموعاً
بات مع جده عفا الله عنه
آخر صفر في عام خمس
هف قلبى عليه لما تقضى
ترك العالمين صرعى حيارى
حين مروا بنعشه في ارتفاع
وغشي الناس دمهشة حيرتهم
هللوا ثم كبروا بصياح
حكم الله بالفراق علينا

شاهد للصلاة في الظلماء
من علوم الحقيقة العليا
لم يزل من جماله في ثناء
وغياثا في حالة الضراء
نافعاً دافعاً لكل بلاء
كان عين الأئمة العلماء
من مضى من عصابة الصلحاء
ومثل السري وذو السراء
فيه تجلى محاسن الأولياء
بعد أن كان مشرقاً بضياء
جاءهم بغتة بغير خفاء
ومساكيننا مع الفقراء
بكت الأرض مع بكاء السماء
واستهل في الخلد كالأنواء
في ليلة الجمعة الغراء
وستين وألف مضت بانقضاء
موته صار مُضَرَمَ الأحشاء^(١)
في تداعٍ ولوعية وعناء
خلَّته كالسحابة البيضاء
ودَهَتْهُمْ من سائر الأنحاء
ونحيبٍ وحرقةٍ وبكاء
لا مرد لأمره والقضاء

(١) في البيت استعارة تشخيصية، جعل الشاعر قلبه إنساناً تضطرم أحشاؤه، وليس المقصود الولي المرثى بالطبع.

يا لها من مصيبة ليس تُجلى
شاهدته أيدي ملائِكَ قَبْضِ
غاب عني كأنني لم أجده
رَبِّ هَبْهُ الوصلَ منك وبَيْضِ
وعلى قبره سحائب عفو
لا تظنوننه بموت تفانِي^(١)
إن عبد الحليم أنشأ رثا
لُصابٍ أَغْظِمَ به مِنْ مُصابٍ
وبهذا المصاب لُذْتُ بصير
محمد المصطفى وخير البرايا
فاختار الممات شوقاً إلى من
فعليه والآل خيرُ صلاةٍ
صلاةً على المدى تتوالى

وقال ﷺ:

قفوا بَعْدُ بُعْدِ الدار عني وسائلوا
حبابنا لا أوحش الله منكم مو
أَنُوحَ وجسمي بعدكم بالبلَى بَلَى
فيا طول نوحِي وحشة لفراقكم
بحور دموعي والطويل تأسفي
فتبالدنيا ليس يبقَى نعيمها
فإن أضحكت أبكت وإن أوكبت كبت

حيث صارت رزية الأحياء
فرأى البسط في نعيم البقاء
واختفى في الثرى بغير مرأ
وجهه يوم بعثه للقاء
بالرضا منك يا إله السماء
إنه في شهادة الأحياء
بنت فكر تمشي على استحياء
فيه كل الورى يُعم بالأسواء
أتأسى بأشرف الأنبياء
خير في الممات والأحياء
يحیی العظام يوم الجزاء
وسلام من مُوجِد الأشياء
بعداد الأموات والأحياء

فدمعي بصحن الخد هام وسائل
فها أنا مِن يوم التَّفَرُّقِ ناحِلُ
وناحت لنوحِي في الغصون البلايلُ
وها قد وها جسمي ودمعي هامِلُ
سريع وإني وإفر الحُزنِ كاملُ
(وكل نعيم لا محالة زائل)^(٢)
وإن أوعدت بالسعد سوف تماطل

(١) أي فني وصار عدماً.

(٢) تضمين من بيت سيدنا لبيد ﷺ، وصدر البيت المشهور: ألا كل شيء ما خلا الله باطل.

وإن أسعدت أشقت وإن أنصفت صفت
وإن أحسنت ساءت وإن أفرحت رمت
ولايتها عزل وأما عناؤها
وهل أحد قد نال منها مرادة
فيا عالماً بالموت يأتيك بغتة
ويا من بدنياء الدنية قد غدا
ألا إنما الدنيا كمنزل راكب
فأين سليمان الذي مَلَكَ الوري
وأين ابن شداد الذي كان في الوغى
تُرى أين ذو القرنين ثم جنوده
تري أين من سادوا وشادوا وعمَّروا
وأين ملوك الأرض شرقاً ومغرباً
ماتوا وفاتوا وانقضوا ثم أصبحوا
ونحن كما ماتوا نموت جميعاً
وكم غمني دهري بكل كريمة
وأعظم شيء ساءني مَوْتُ والدي
إماماً سُمي يحيى وقطب زمانه
وحزني شديد دائم لفراقه
ألا يا القوم أمزجوا الدمع بالدماء
ألا يا عيوني اسعفيني وساعدي
أيا نوم دعني لا تذق قط مقلتي
ويا أيها الصبر الجميل الذي مضى
ويا نار أشواقى بقلبي تأججي
فيا موت كم أنزلت بي من مصيبة

وكم حار فيها حازم الرأي عاقل
بحزن فيا الله ما ذي الفعائل
فيعقبه فقر له المرء ذاهل
وهل بلغ الآمال من هو آمل
تلذ بعيش إنما أنت جاهل
بلهوى وأفراح بها القلب واجل
أناخ عشياً وهو في الصبح راحل
وأين بنو عادٍ وتلك الجحافل
شجاعاً وفي يوم الحروب ينازل
وأين ابن كنعان وتلك القبائل
ولذَّ إليهم شربهم والمأكـل
وكل همام في الشجاعة طائل
وسائدهم بعد الحرير الجنادل
وكل الذي في الكون فانٍ وزائل
وهوّلٍ وأحزان بها القلب واجل
ومن بعده في الحزن ما أنا عاقل
وليس له بين الأنعام مماثل
وفوق خدودي الدموع هواطل
ونوحوا وبوحوا إن دمعي هامل
فوجدني مقيم والتصبر راحل
ويا مقلتي نوحى فجسمي ناحل
عليك سلام الله إنك راحل
ويا مهجتي ذوبي فعزى زائل
وأوهيت ركناً عمَّرتُه الأفاضل

فيارب يا رحمن نُؤزْ ضريحه
وإني عبد للحليم ووالدي
وصلي إلهي ثم سلم دائماً
وآل وأصحاب كذا كل تابع
ما غرد القمري وما قال منشد

وقال ﷺ:

حادي الأظعان إن جئت الحمى مرغ
الخـمـدين في أطنـابهم
وأجر ذكر الصب في حضرتهم
فعمسهم ينظروا ما حل بي
وتوافيني بقرب ورضا
وأداوي بشـرى أعتـابهم
وبطيب الوصل أحظى منهم
الولي العارف بالله التقى
أشعري الوقت شعراوي الدنى
قد دعاه الله للبيت الذي
فسرى من فوره ممثلاً
ثم لباه مجيباً محرماً
وأتى البيت وقد طاف به
وانثنى من عرفات راجعاً
والجنايات اضمحلت وعفت
فاز لما حل في وادي سنا

فأنت بما تختار بالعبد فاعل
رئيس وعقلي للتفرق ذاهل
على المصطفى المختار ماهل وابل
هم الطيرون الطاهرون الأفاضل
قفوا بغد بغد الدار عني وسائلوا

ورأت عيناك سكان الخيام
نائباً عني وأقربهم سلام
والذي يلقاه من فرط الغرام
من ولوعي نظرة تبرى السقام
نفحة من حبهم تحيي العظام
مقللة أنكرها طيب المنام
كالإمام العالم الحبر الهمام
من به شمل المعالي في انتظام^(١)
بحر على للورى بالفضل طام
أمن داخله إلى يوم الزحام
أمر مولاه وقد زار التهامي
وسعى طوعاً له سعي الكرام
خاضعاً لله من باب السلام
وعلى الجمع سحاب العفو هامي
فيه أركان الخطايا والآثام
بالمنى فضلاً وغايات المرام

(١) بالطبرع: النظام.

يَا لَهَا مِنْ حِجَّةٍ قَدْ مُزِجَتْ
مُخْلِصاً لَكَ فِي أَعْمَالِهِ
وَقَضَى النَّسِكَ وَكَوْنَهُ سَمِي
قَالَتْ الْأَمْلَاقُ لِمَا إِنْ دَعَا
لَا تَخَفُ تُعْطَى^١ مِنْ اللَّهِ الرِّضَا
فَرَعَهُ عَبْدُ الْحَلِيمِ الْمُبْتَلَى
نَاطِمُ الْأَيَّاتِ بِكَ دَائِمًا
وَصَلَاةٌ مَعَ سَلَامٍ يَهْدِيهَا
وَعَلَى آلٍ وَصَحْبٍ مِنْ هَمَمٍ

وقال عليه السلام:

إِنَّا إِلَى اللَّهِ مَا فِي الْأَمْرِ مِنْ حَيْلٍ
كَانَتْ مَحْفَتُهُ وَالنَّاسُ تَلْتَمِهَا
كَانَ الْحِدَا عِشَاقَ حَرَكَتِهِ
فَكَمْ لَيْلٍ قَطَعْنَاهَا نَسَامِرَهُ
وَنُورَ طَلْعَتِهِ تَهْدِي الرُّكُوبَ فَلَا
يَا وَحِشَةَ الرُّكْبِ مِنْ أَنْوَارِ بَهْجَتِهِ
يَا وَحِشَةَ الْبَيْتِ مِنْ طُوفِ الْوَلِيِّ بِهِ
يَا وَحِشَةَ الْبَيْتِ رِضْوَانِ بِصُحْبَتِهِ
يَا وَحِشَةَ النَّاسِ وَالْدُنْيَا بِمَا رَحُبَتْ
مَنْ بَعْدَهُ يَرْتَجَى إِنْ أَدْلَجَتْ كَرْبُ
وَمَنْ بَدَعُوتَهُ يُسْقَى الْغَمَامُ إِذَا
مَنْ بَعْدَهُ يَرْتَجَى لِلنَّازِلَاتِ وَقَدْ

بِالرِّضَا وَالْعَفْوِ مِنْ رَبِّ الْأَنْامِ
لَمْ يَشْنُهَا بِرِيَاءٍ وَانْخِرَامِ
رَاجِيًا مِنْ فَضْلِهِ حَسَنَ الْخِتَامِ
رَبِّهِ رَاجِي الرِّضَا عِنْدَ الْمَقَامِ
وَتَفُزُ بِالسُّلُوكِ مِنْهُ وَالْمَرَامِ
بِفِرَاقِ الْوَالِدِ الْخَبِيرِ الْهَامِ
فِي طَوَالِ الدَّهْرِ مَعَ نُوحِ الْخَتَامِ
لِلنَّبِيِّ الْمُصْطَفَى بِدَرِ الْإِتْمَامِ
أَهْلُ مَجْدٍ وَلَهُمْ حَسَنُ الزَّمَامِ

مُسْتَغْنِينَ بِهِ عَنْ هَاطِلِ الْوَيْلِ
كَأَنَّهَا كَعْبَةٌ وَالْخَلْقُ فِي وَجَلِ
فَعَادَ رُكْبَ النُّوَى وَالرَّصْدَ فِي الرَّمْلِ
وَالْعَيْسَ تَطْوِي الْفَلَاحَ سَهْلًا عَلَى جَبَلِ
يَضِلُّ حَادِي السُّرَى حَيْرَةَ السَّبِيلِ
يَا وَحِشَةَ الْحَجِّ بَلْ يَا وَحِشَةَ الْإِبْلِ
يَا وَحِشَةَ الرُّكْنِ مِنْ لَثْمٍ وَمِنْ قُبْلِ
قَدْ كَانَ يَنْجِدُهُ فِي الْحَادِثِ الْعُضْلِ
قَدْ صَارَ مِنْ رِزْيَةِ النَّاسِ كَالْهَمْلِ
وَأَزُورَ حَالِكُهَا مِنْ نَازِلِ خَطْلِ
مَا قَالَ يَا رَبُّ جَادِ الْغَيْثِ بِالْهَطْلِ
آلَتْ أَرْزَمَتُهَا فِي النَّاسِ لِلْخَبْلِ

(١) بالأصدين: «تعطى».

وَمَنْ لَهُ رَتْبَةُ التَّصْرِيفِ ثَابِتَةٌ
وَمَنْ بِهِ تَكْشِفُ الْغُمَاتِ إِنْ نَدَّهَوَا
وَمَنْ بِهِ تَنْجَلِي الظُّلُمَاتِ مَسْرَعَةٌ
مَا مَاتَ بَلْ نَقْلَةٌ^(١) مِنْ دَارِ فَانِيَةٍ
مُسْتَعْمٌ فِي جَنَانِ الْخُلْدِ مُنْبَسِطٌ
وَفَارِقُ الْغَمِّ وَالْأَكْدَارِ أَجْمَعَهَا
وَإِنْ تَغَيَّبْتَ عَنْ عَبْدِ الْحَلِيمِ فَعَنْ
لَكِنْ أَكْبَادُنَا مِنْ بَعْدِهِ انْفَطَرَتْ
وَاصِلَتْ دَمْعِي عَلَى خَدِي لِفَرْقَتِهِ
وَقَدْ حَمَدْتَ اعْتِزَالِي مِنْ نَوَى شَجْنِي
يَا نَفْسَ صَبْرًا فَعَبْدَ الْحَلِيمِ غَدًا
وَالسَّرِّ فِي الْإِيكَ لَا يَخْفَاكَ شَاهِدُهُ
لَنَا الْجَمَالَةُ إِذْ أَبَاؤُنَا وَرَدُّوا
وَالْحَالُ مِيزَ بَعْدَ الْعُطْفِ مَعْرِفَةٌ
فَصَرْتُ كَالْأَصْلِ بَلْ فَرَعٌ يَفُوقُهُمْ
ثُمَّ الصَّلَاةُ عَلَى الْمُخْتَارِ مِنْ مَضَرٍ
وَالْآلِ وَالصَّحْبِ مَا نُشِدَتْ قَصِيدَتُنَا^(٢)

وَمَنْ لَهُ الْأَمْرُ وَالْإِنْفَاذُ فِي الدُّوَلِ
وَمَنْ بِهِ شِدَّةُ الْأَهْوَالِ فِي جَلَلِ
وَمَنْ بِهِ الْأُزْمَةُ الصَّمَاءِ لَمْ تَطُلِ
فِي دَارِ بَاقِيَةٍ فِي أَكْرَمِ النُّقُلِ
مُتَوَجِّجٌ أَفْخَرُ التَّيْجَانِ وَالْحُلَلِ
وَيَدُلُّ الصَّبْرَ بَعْدَ الْمَوْتِ بِالْعَسَلِ
عَبْدُ الْوَهَابِ بِكَذَا الرَّحْمَنِ لَمْ تَزُلِ^(٣)
وَالدَّمْعُ جَارٍ مِنَ الْأَجْفَانِ مِنْهُمْ لِي
وَصَارَ نَوْمِي عَنْ جَفْنِي بِمَنْفَصَلِ
أَشْعَرِي حَامِدًا شَجْوًا لِمَعْتَزَلِ
كَالشَّمْسِ رَأْدُ الضُّحَى لِلشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
وَالْأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ نَارٍ عَلَى قَلْبِ
بَحْرِ الْعَتِيقِ فَقَزْنَا مِنْهُ بِالْبَلِّ
مَا لَيْسَ يَنْكَرُ فِي نَزْعٍ وَلَا بَدَلِ
قَدْ حَزَتْ لِلْإِرْثِ مِنْ عِلْمٍ وَمِنْ عَمَلِ
مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ
إِنَّا إِلَى اللَّهِ مَا فِي الْأَمْرِ مِنْ حَيْلٍ

(١) في المطبوع: «من نقلة»، والمثبت من المخطوط .

(٢) المقصود أن المرثى سيدي يحيى الشعراني وإن فارق الراثي ابنه سيدي عبد الحلیم، فقد لحق بسيدي الإمام الشعراني وولده سيدي عبد الرحمن رضي الله عنهما.

(٣) بالمطبوع: «قصيدة»، والمثبت من المخطوط.

وقال ﷺ:

يا إلهي أشكو إليك أموراً
شغلت فكري وقد لازمتني
وهوماً تزايدت بفؤادي
وكروباً تراكمت وخطوباً
وحسوداً يروم سوئي عامداً^(١)
كلما رُمْتُ من خليلي وداً
يظهر السود بالتملق زوراً
يا إلهي قد ضاق صدري منهم
ليس لي ملجأ ولا لي جأه
لك أمري فوضت وكفاني
فأغثنني يا خالقي واهد قلبي
واحنسي في الدُّنى ويوم معادي
رَبِّ واجعل أزكى الصلاة دواماً
منك ترى على الحبيب المُداني
أحمد المصطفى أجل البرايا
وعلى الآل والصحابة جمعاً

وقال ﷺ:

يا رَبِّ إني من ذنوبي تائب
مَنْ ذا سؤالي يغثنني ويجبرني
إني ببابك واقف متذلل

برزت بالعنا وكُلُّ المتاعب
كلزوم الغريم والحكم غالب^(٢)
وأحاطت بالقلب من كل جانب
وجفا ألقاه ممن يصاحب
وعيوناً من العدى لي تراقب
زاد كرهها ورد ظنسي خائب
وعليه منه له الحق غالب
فاكفينهم يا من له الأمر آيب
أرتجيه سؤالي عند النوائب
بك مولى ومشاهداً ومحاسب
لك واجعل جميع قصدي صائب
من جميع الأهوال واغطِ المآرب
مع أزكى السلام يا خير واهب
قاب قوسين حيث لا تَمَّ حاجب
صاحب المجد في جميع المراتب
كل وقت ما سار ماشٍ وراكب

ولحسن عفوك والتفضل طالب
هيهات لا أحد وأنت الغالب
فامنن بعفوك والرضا يا واهب

(١) بالمطبوع: «لازب».

(٢) بالأصلين: «عمداً»، وهو يكرس وزن البيت.

وأصلح بفضلك كل حالي واعطني
فوسيلتي أبداً إليك محمدُ
فبحقِّه حقُّ رجائي فإني
واجعل صلاتك والسلامَ عليه ما
وعلى القرابة والصحابة من هُمو
ما أرتجيه وكلُّ ما أنا راغب
خيرُ الأنام ومن يُسمى العاقبُ
قد جئت بابك يا إلهي تائبُ
هَبَّ النسيمُ وما تَسِيحُ سحائبُ
أهلُ الهدى لهم النجوم مراتبُ

وله كلام غير هذا قد اشتهر وانتشر عند الناس لم أقدر على جمعه وفي ذلك كفاية.

«سيدي عبد الوهاب الشعراني الصغير»

وجلس بعده على سجادة جده ولده الشاب الصالح والفرع الناجح مولانا
سيدي عبد الوهاب وهو ابن تسع سنين. وُلِدَ ﷺ في سنة تسع وستين وألف من
الهجرة النبوية، وعاش بعد والده ثلاث سنين، ثم مات وهو ابن اثنتي عشرة سنة في
يوم الجمعة ثالث عشرين من ذي القعدة الحرام سنة إحدى وثمانين وألف من الهجرة
النبوية.

«سيدي مصلح الدين الشعراني»

ثم جلس بعده على سجادة جده أخوه الشاب الصالح والسليل الناجح أبو
الإصلاح سيدي مصلح الدين حفظه الله تعالى، وأطال في مدته، وبارك في ذريته،
وأعاد على المسلمين من بركته وبركة جده بمحمد وآله وصحبه وعترته آمين.

وجلس على سجادة جده حفظه الله تعالى وهو ابن ثلاث سنين وتسعة أشهر.
وكان مولده حفظه الله تعالى في عصر يوم الخميس تاسع شهر ربيع الثاني من شهور
سنة ثمان وسبعين وألف من الهجرة النبوية.

نشأ - حفظه الله تعالى - يتيم الأبوين في رعاية ربه وكفايته وكفالتة وتدريبه
ومعونته، ومات والده وهو ابن تسعة أشهر، وماتت أمه وهو ابن ثلاث سنوات
وتسعة أشهر.

قرأ - حفظه الله تعالى - القرآن، وطلب العلم وداوم على مجالس الذكر وأحيا مآثر والده وجدوده. وهو - حفظه الله تعالى - صافي الصدر من الغل والحقد والغش، إذا قال صدق وإذا قيل له صدق، وكل من رآه أحبه واعتقده. وكل الناس يقول بصلاحه وولايته وهو - حفظه الله تعالى - ينفق ولا يؤخر شيئاً من الدنيا لغد لكثرة مصرفه، فيصرف ما يجمعه من مال الوقف، بل ينفقه أولاً فأولاً على أرامل وأيتام ومنقطعين، ومع ذلك إنه غير ملزم بهم في ظاهر الأمر، وبيته لم ينزل كالمارستان من وجود العواجز والعمي والمنقطعين والأرامل والأيتام والغرباء والواردين لا يخلوا منهم أبداً.

وهو - حفظه الله تعالى - في غالب أوقاته يكلف نفسه لما لا يطيق ويصنع لهم الأطعمة ولا يأكل منها غالباً. ويكسوهم الجوخ والأصواف والبفت والبروجيات والشاشات والأطالس والقمصان والسر اويل وجميع ما يجمعه ينفقه عليهم بل كل ما يشتهونه يطعمه لهم.

وإنه - حفظه الله تعالى - إذا أعطى شيئاً لأحد لا يلتفت إليه ولا يتفكر فيه بالغاً ما بلغ لأهله ولغير أهله. فأسأل الله تعالى أن يزيد في نور قلبه حتى يجري خيره وبره لمستحقه من صحبه، ويلهمه طريقة جده ويقف عند حده آمين اللهم آمين.

وإنه - حفظه الله تعالى - معتدل القامة، أزهر اللون، ذهبي الشعر واللحية الكثة، لحيته تضرب إلى صدره، نحيف الجسم، رقيق البشرة، يعتقد في كل الناس، لا يعرف عدوه من صديقه لصفاء باطنه دائم الهم والغم في مصالح غيره.

وسألته - حفظه الله تعالى - امرأة حامل عم في بطنها، فقال لها، فيها بنت وهي زوجتي. فوضعت المرأة بنتاً كما قال وكان - حفظه الله تعالى - إذ ذاك صغير السن حال قوله ذلك، ثم إنهم أنسوا هذا الكلام وغاب عن أفكارهم مدة مستطيلة إلى أن كبر سيدي مصلح الدين وتسرى بسراي كثيرة، ثم بعد سنين عديدة ماتت أم البنت وضاعت مصالحها وصلحت للزواج.

فجاء بعض أقارب سيدي مصلح الدين إليه، وقال له يا سيدي مصلح الدين: لأي شيء لم تتزوج بهذه البنت، صالحة بنت بنت ابن عمك سيدي عبد اللطيف بن الشيخ علي الشعراني، وهي بنت مسكينة يتيمة ضاعت مصالحتها.

فقال لهم: ليس معي صداقتها. فجاء شخص من أصهاره وقال له: أنا أدفع عنك صداقتها وعليك المهلة به حتى يتيسر لك وتدفعه لي.

ثم إنهم شرعوا في زواجه بها، وعقدوا له عليها وأقبضوا صداقتها لوليها، وأدخلوا سيدي مصلح الدين عليها، وجاءت منه بأولاد ذكور وإناث حفظهم الله تعالى وحفظه عليهم آمين اللهم آمين.

وهي لم تزل زوجته وفي عصمته إلى الآن فكان الأمر كما قال.

ومما اتفق له أيضاً - حفظه الله تعالى - أنني كنت جالساً أنا وهو بزاوية جده وهو يقرأ القرآن علي وكان صغيراً جداً، فجاء له شخص وقبّل يده، وقال له: يا سيدي، ولدت لي بنت في هذا اليوم فادعُ الله تعالى لها بالبقاء. فقال له سيدي مصلح الدين بغيطٍ وحدة: ارجعها إلى بطن أمها.

وكرر عليه ذلك، فلم يفهم الشخص معنى كلام سيدي مصلح الدين، وفهمت أنا معناه، وهو أن البنت تموت وتدفن في بطن الأرض، لأنها في الحقيقة أم البشر. ثم إن الشخص المذكور جاء له بعد أيام قليلة وقبّل يده وقال له: يا سيدي مصلح الدين، ماتت البنت التي كنت أخبرتك بها سابقاً فقلت أنا لأبيها: أنت لم تفهم كلام سيدي مصلح الدين حين قال لك لما أخبرته بها، ارجعها إلى بطن أمها. أما تعلم أن الأرض أم البشر، لأنهم قد خرجوا كلهم من بطنها، فقال الرجل: صدقت.

ووقائعه كثيرة جداً في مثل ذلك وفي غيره ومدحه بعضهم في موشح فقال:

يا نخبـة آل الشعراني	إني لكم دائماً مداح
قلبي بكم أضحي هائم	حقاً وبالذكرى يرتاح
أنتم ملاذي والمأمول	أنتم هدى أهل الإصلاح
هلاً ترقوا للمُضنى	بنظرة فيها إصلاح

فبكم عيادي والمقصود
أسأل إلهي ذي المنّة
يبقيه في عز التمكين
ما غرد البلبل يشدو

الشيخ مصلح ذو الإصلاح
خلاق وهّاب لي فتّاح
في نعمة ودوام فصلاح
وناشد القمري أو صاح

ومدحهم جميعاً خلاصة الذهب الأبريزي السيد عبد الرحمن الجيزي فقال:

إن خفت نائبة من جور ذي شان
فلذ بقطب الوجود الفرد من خضعت
والزمنة واسع وطف سبعا بمشهده
لأنه جامع فرد حقيقته
وقلبه مثل مرآة إذا جليت
ليث الشرى ما رأت عيناك طلعت
فانظره واسمع به إن كنت ذا نظر
ومصلح الدين ركن المرشدين إذا
توارث القال والحال المقدس عن
وهو استمد من المفضال والده
شمس المعارف نور يستضاء به
ابن الثرى الغياث المستغاث به
حبر بذكر اسمه يحيا الوجود فكن
خليفة بعد إبراهيم خير فتى
إمام حق عظيم القدر وسارية
ابن الإمام التقي المنتقى شرفاً
محمدّي انتساب طاب عنصره
من آل بيت رسول الله مرتفع
المجتبى المرتضى من أمة وسط

أو ضقت يا صاح ذرعاً من أذى شاني
لمرتقاه أسود الإنس والجاني
تجده غوثاً غياث العاجز العاني
بالفرق والجمع في أمن وإيمان
تبدي مقابله كشافاً ببرهاني
إلا رأيت الورى في شكل إنسان
فانظره مرة أعيان وأذان
ألم خطب يروّه ذخراً لهفاني
عبد الوهاب أخيه غوث ولهاني
عبد الحلیم بسر فيه روحاني
من فيض نور من الوهاب رباني
من أظهر السر في الدنيا بإعلان
مريدته تراه يعفو عن الجاني
وصنوه نسل قطب عبد رحمن
أسرار حكمته في جمع بلدان
سلالة المرتضى المولى على الشان
وعزّ مفخره لله شعرائي
فخاره العلوي من فوق كيواني
مخاطبين بكنتم خير أيقاني

أمين لأسرار علم الغيب طلسمها
عبد الوهاب الذي أبدى الطريقة من
سِرِّ عليه قلوب الناس عالقة
مُشاهداً وجه العرش متكناً
وفاه في البرزخ التصريف منه غداً
وجاهه الجاه فاستعصم به تَرَهُ
وجاره في الحِمَى الأعلى وزائره
يا مَنْ تسامى لعين الجمع مرتقياً
أشكو إليك الذي ألقاه من فئة
تريد توقعني في كل مهلكة
أنت الوسيلة سَلِّ ربَّ السما عني
أين الحمية أين الجاه يا سندي
واسأله يمنحني عفواً ومغفرةً
إليك بالحال مني قصتي رفعت
حيرى دار بها يرجوك معتذراً
فاقبل سمي ابن عوف واقض حاجته
من الطباطبة الأبرار نسبته
صلى عليه مع التسليم خالقه
والآل والصحب ما وافى مقال شجي

وقطبها الغوث فرد ماله ثاني
علم الحقيقة من برهان عرفان
يقضى ويمضي رجاء الخاص والداني
على الأرائك في رُوح وريحان
غشمشها بين مناح وطعان
ركناً وثيقاً تواري تحت جدران
يمسي في حظ جزيل طول أزمان
وعساد للفرق يُنبئنا بفرقان
جارت عليّ وأذنتي بعدوان
فاقتص منها ونَفْسٌ ضيقَ أحزان
أراهم ورِعماً في درج أكفان
هيا انتصر واحمني من كل خوان
والمسلمين وأصحابي وخلائي
تكاد في الحسن تحكي شعر حسان
عساه يقبل في سر وإعلان
واسأل إلهك يكرمه بإحسان
يُعزّي إلى المصطفى من خير عربان
ما صاح في الروض قمري بأغصان
إن خفت نائبة أو جور ذي شاني

ومدحهم خلق كثير سابقاً ولاحقاً خصوصاً سيدي مصلح الدين - حفظه
الله تعالى - فأسأل الله دوام حياته وتوفيقه لمرضاته ولباس العافية لذاته والكمال في
جميع صفاته، والإخلاص لله تعالى في هباته، وبذل الطيبات من أقواته، وأن يتحفه
بدوام مسراته، ويبعد عنه كل مفتخر بسيئاته، بمحمد وآله وأصحابه وآياته، آمين
اللهم آمين، والحمد لله رب العالمين.

الباب الرابع

في بيان مناقب أصحابه وأتباعه وأشياعه

ومنهم العالم العلامة والخبر البحر الفهامة شيخ السالكين وقدوة العارفين مولانا الشيخ محمد بن الترجمان رحمه الله، ظهر بعد موت شيخه وشاع ذكره بالصالح والسلوك والعرفان والولاية العظمى في سائر أقاليم مصر وسائر بلداتها. وتلمذ له خلق كثير وانتفعوا به ووصلوا به إلى مراتب الكمالات إلى أن مات رحمه الله.

ومنهم الولي الصالح والخلف الناجح مولانا العارف الرباني والهيكل الصمداني مولانا الشيخ عبد القدوس بن سيدي محمد الشناوي الأحمدي، الذي قال في حقه شيخه أن سيدي عبد القدوس هذا فرع فاق أصله، وعد معه جماعة من أهل عصره، منهم سيدي محمد الرملي^(١) وسيدي محمد سبط المرصفي^(٢) وسيدي كريم الدين الخلوتي^(٣) وسيدي سليمان الخضير^(٤)، وغيرهم رضي الله عنهم أجمعين.

(١) الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الرملي، علامة الشافعية في زمانه والموصوف بمجدد القرن الحادي عشر. ألف «نهاية المحتاج بشرح المنهاج» وعليه الفتوى على مذهب الشافعية في مصر. وتوفي رحمه الله سنة ١٠٠٤ هـ، ودفن مع والده الشهاب أحمد الرملي شيخ الشافعية في زمانه بمدرسته قريباً من ميدان باب الشعرية ومسجد القطب الشرقي رحمه الله، وقد شرفنا بزيارته. انظر ترجمتها بالطبقات الصغرى للإمام الشعراني، ص ٦٤، ١١٨ على التوالي، ط الآداب.

(٢) محمد بن محمد زين العابدين الغمري الشافعي الأشعري المعروف بسبط المرصفي. توفي سنة ٩٩٦. وله العديد من المؤلفات في التصوف. انظر ترجمته في هدية العارفين للباباني.

(٣) سيدي كريم الدين بن الزيات الخلوتي رحمه الله، انتشر عنه طريق العارف بالله سيدي الدمرداش المحمدي، وقصده الخاص والعام بعد انتقال مولانا القطب الشرقي، ومقامه ومسجده بشارع بورسعيد حالياً، بالقرب من مستشفى أحمد ماهر، داخل الجمعية الخيرية خلف المسجد، وهو أول من أحيى ليلة الثلاثاء بالمشهد الحسيني الأنور كما نقله شيخ الإسلام عبد الله الشبراوي في الإنحاف بحسب الأشراف عن سيدي أبي الفضل الخلوتي. توفي سنة ٩٨٦. انظر ترجمته بطبقات المناوي.

(٤) سيدي سليمان الخضير المصري الشافعي أخذ العلم عن الجلال السيوطي وغيره والطريق عن الشيخ شهاب الدين المهدي وعنه أخذ العلامة زين بن نجيم الحنفي. ومقام المترجم له ظاهر يزار بانقرب من مسجد السيدة زينب بنت سيدنا علي رضي الله عنهما، بالقاهرة.

ومنهم شيخ الفقهاء والمحدثين وعين أعيان العارفين مولانا الشيخ عبد الرؤوف المناوي^(١) صاحب الطبقات، والمؤلفات الجليلات، والأنفاس العلية في سائر العلوم الشرعية والعقلية والصوفية. لم يضع كتاباً إلا وحصل به النفع، وتآليفه تقرب من تأليف الحافظ الجلال السيوطي. أخذ رحمته الله عن طريق الصوفية عنه كما أخبر عن نفسه في طبقاته في مناقب شيخه رضي الله عنهما.

ومنهم الولي الصالح والفرع الناجح والمعلم الناصح والمفهم الراجح مولانا الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي الحسن من ذرية سيدي علي المليجي، أخذه سيدي عبد الوهاب من أبيه الشيخ أبي الحسن المذكور وقدمه على سائر أصحابه وأجلسه بجانب سجادته وأذنه بالاستفتاح بالمجاورين في حضوره وغيبه، فكان على ذلك مدة شيخه ومدة ولده سيدي عبد الرحمن ومدة ولده سيدي إبراهيم وبعض مدة من مدة ولده سيدي يحيى الشعراني، ومات رحمته الله بمصر ودفن بها رحمه الله تعالى عليه.

ومنهم [الشيخ عبد الرحمن بن عبد الرحمن المليجي، وكان^(٢) عالماً عاملاً ولياً جليلاً جميلاً. قال لي من رآه، وهو الشيخ الصالح الصادق الشيخ موسى الفقيه أحد مجاوري^(٣) زاوية الأستاذ رحمه الله: إن جمال والدك وجلاله بالنسبة إلى جمال جدك وجلاله كقطرة من بحر أو كالنجوم مع القمر ليلة البدر، ومع ذلك إن والدي كان أجمل أهل عصره وأجلها كما يشهد بذلك كل من رآه وخالطه، رحمه الله ورحم أسلافه الكرام.

(١) الإمام زين الدين عبد الرؤوف المناوي صاحب فيض القدير شرح الجامع الصغير والكواكب الدرية في طبقات الصوفية وغيرها من المؤلفات الجليلة. وقال فيه المحيي في خلاصة الأثر: أعظم علماء هذا التاريخ آثاراً. وتوفي رحمته الله سنة ١٠٣١ هـ. ودفن في مسجده وأقيمت عليه قبة. ومسجده في عطفة سيدي مدين بالقرب من ميدان باب الشعرية.

(٢) أثبتنا اسم والد المؤلف كما ورد في كتاب السر الرباني في طريقة القطب الشعراني كما نوهنا في ترجمته بصدر الكتاب.

(٣) بالمخطوط: «مجاورين».

ومنهم الولي الصالح والعارف الناصح مولانا الشيخ محمد البهوتي الزعيم الشهير بالودن^(١). وكان رحمه الله يجلس في الثلاثة أشهر، رجب وشعبان ورمضان على الكرسي بزاوية شيخه يملئ حديث البخاري من رأسه وحفظه غيباً، ومع ذلك إنه كان إذا كلف إلى معرفة عدد صرف نصف فضة لا يعرف ذلك.

وكان رحمه الله لا يعرف أحوال الدنيا ولا ما هي عليه مع وقور علمه وعمله وخشيته وتقوته وورعه وزهده وعفته وصيانتته وديانته، وسبب ذلك كله أن أهله أتوا به وهو صغير لسيد عبد الوهاب الشعراني، فأجلسه الشيخ على حجره، فبال عليه فأخذه أهله من حجر الشيخ بعنف. فقال لهم الشيخ، تلطفوا به فإنه من العلماء والأولياء، فكان الأمر كما قال الشيخ. ولما مات الشيخ محمد الودن بمنزلنا وغطوه بالملاءة البيضاء حضر سيدي محمد الشعراني، ابن سيدي يحيى الشعراني وكشف عن وجهه، فقال الشيخ محمد الودن وهو ميت: مسرّجى بالملاءة: الله، ومدّها إلى آخر نفسه، فتعجب الحاضرون من ذلك أشد العجب. وكان رحمه الله من جودة حفظه للقرآن إذا سئل عما قبل الآية من آيات القرآن ينطق بها قبل تمام قول السائل له، فيتعجب الناس لذلك أشد العجب. وأخبرني والذي عنه أنه حضر يوماً في مجلس قاض من قضاة عصره فسأله عن ما قبل قوله تعالى ﴿أَمَّنْ هُوَ قَنِتٌ ءَانَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا﴾^(٢) فقال بسرعة إنك من أصحاب النار يا قاضي، فخجل القاضي من سؤاله له، لأنه كان سريع الجواب لمن سأله عما قبل كل آية من القرآن العظيم كما تقدم.

أخبرني عنه شيخنا الشيخ محمد البقري^(٣) أطال الله في مدته، أنه اجتمع به وقال له، والله العظيم لولا خوف الحرمة لقرأت القرآن كلمة بعد كلمة من آخر سورة الناس إلى أول الفاتحة. انتهى.

(١) لعله المترجم له بخلاصة الأثر للمحبي ٣ / ٣٣٨ وهو محمد بن أبي السرور البهوتي الحنبلي، كانت له اليد الطولى في الفقه والعلوم المتداولة.

(٢) سورة الزمر: الآية الكريمة / ٩.

(٣) ذكره المحبي فيمن تلقى عن العلامة سلطان المزاخي خاتمة الحفاظ والقراء وعن عبد الرحمن بن شحادة اليميني. انظر خلاصة الأثر عند ترجمة المذكورين، وترجم له المرادي في سلك الدر، فقال محمد بن إسماعيل الملقب «^٤

ودفن رحمه الله بباب البصرة^(١) المجاورين بزاوية سيدي عبد الوهاب الشعراني رحمة الله عليه.

ومنهم الشيخ الصالح عمر بن علي القلقشندي ومنهم الشيخ العلامة أحمد الشهير بالخطيب الغمري، ومنهم الشيخ الصالح عبد السلام ابن عم الشيخ عبد الوهاب الشعراني، ومنهم الشيخ نور الدين علي بن الشيخ شهاب الدين الهيتمي^(٢) ومنهم الشيخ شمس الدين محمد بن الشيخ شهاب الدين السبكي^(٣)، ومنهم الشيخ عبد القادر ولد السبكي المتقدم، ومنهم الشيخ إسماعيل بن النقيب، ومنهم الشيخ بدر الدين بن علي السعودي، ومنهم الشيخ ناصر الدين بن أحمد السندبسطي، ومنهم الشيخ إسماعيل بن إبراهيم السرسبي، ومنهم الشيخ شهاب الدين أحمد بن عبد المحسن الشعراوي، ولد عم الشيخ الشعراوي، ومنهم الشيخ علي بن محمد الحموي، ومنهم الشيخ عبد الصبور الأدمي، ومنهم الشيخ محمد بن عبد الرحمن السندبسطي، ومنهم الشيخ شهاب الدين ابن أبي بكر الشطنوفي، ومنهم الشيخ سلام بن محمد البحيري، ومنهم الشيخ علي بن علي المنوفي، ومنهم الشيخ نجم الدين بن ناصر الدين السندبسطي ومنهم الشيخ سلام الضرير القليني، ومنهم الشيخ أحمد بن عمر البحيري، ومنهم الشيخ أحمد بن عبد الله السبكي، ومنهم الشيخ محمد المنوفي، ومنهم الشيخ منصور ابن محمد الهاشمي، ومنهم الشيخ محمد المغربي، ومنهم الشيخ محمد الحواوشي، ومنهم الشيخ إبراهيم بن علي الدخيسي ومنهم الشيخ يوسف الخرقاني، ومنهم الشيخ شداد بن محمد الخرقاني، ومنهم الشيخ سلامة بن علي السندبسطي، ومنهم الشيخ أبو الخير بن محمد القصبي، ومنهم الشيخ أحمد المؤذن الشبيني ومنهم

بشمس الدين الضرير البقري المصري الشافعي. توفي سنة ١١٠٧، وذكره باسم محمد بن قاسم وفي موضع آخر باسم محمد بن القاسم بن إسماعيل البقري فيكون هذا اسمه وفي الجبرتي أن وفاته كانت في السنة الحادية عشرة بعد المائة والألف عن ثلاث وتسعين سنة.

(١) هكذا بالمخطوط.

(٢) لعله ابن الإمام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي رحمه الله.

(٣) انظر ترجمته بالطبقات الصغرى.

الشيخ عبد الباقي الشعراوي، ومنهم الشيخ علي والشيخ جويلي والشيخ عبد الله،
الثلاثة كفراوية، ومنهم الشيخ أحمد أخو بركات، ومنهم الشيخ محمد الترساوي
ومنهم الشيخ أبو بكر الموزن السنجرجي وولده الشيخ محمد، ومنهم الشيخ علي
الطنيجي، ومنهم الشيخ علي الشماسي، ومنهم الشيخ محمد مخلوف الفيشاوي، ومنهم
الشيخ علي البرقطاسي، ومنهم الشيخ مهنا البحطيبي، ومنهم الشيخ خفاجي
السندبسطي، ومنهم السيد علي الشهير بالسمين، ومنهم الشيخ شرف الدين
الأخضامي ومنهم الشيخ سراج الدين الدقدوسي، ومنهم الشيخ محمد ولد الشيخ
أحمد الشعبي^(١)، ووالده الشيخ أحمد، ومنهم الشيخ عبد اللطيف، وأخوه عبد الرازق،
وأخوه علي، وأخوه عبد العزيز أولاد الشيخ عبد المحسن الشعراوي، وعبد اللطيف
هذا أحد أجداد زوجة سيدي مصلح الدين الشعراني الموجودين الآن سنة أحد عشر
ومائة وألف لطف الله بهما، آمين.

ومنهم الشيخ محمد البهتيمي، ومنهم الشيخ يونس السبكي، ومنهم الشيخ
محمد الفيومي ومنهم الشيخ علي الشرنوب، ومنهم الشيخ أحمد البلجيهي، ومنهم
الشيخ أحمد الزهار، ومنهم الشيخ السيد علي بن أحمد السني، ومنهم الشيخ علي
الشطنوفي، وأخوه الشيخ صالح أولاد الشيخ عبد اللطيف الشطنوفي، ومنهم الشيخ
محمد البريشيمي ومنهم الشيخ محمد البريشيمي.

ومنهم الشيخ علي شقير السنهاوي، كان رحمه الله فقيهاً لأولاد الزاوية يقرئهم
القرآن ولا يغفل عنهم ساعة، فضجروا منه، فقال بعضهم لبعض، اعملوا حيلة في
تعطيل الفقيه عنكم يوماً. فاتفق رأي كبيرهم أنهم الجميع في غي، أن كل واحد دخل
عليه منهم يقول له: سلامتك لا بأس عليك يا سيدنا. فلما أصبح الفقيه دخل عليه كل
واحد منهم وهو يقول له ذلك فصدقهم، ودخل عليه الوهم، فتوجه إلى داره وأمر
أهله بوضع الفراش للنوم ونام على الفراش ثلاثة أيام، فضج أهل الزاوية من لعب

(١) لعله ابن الشيخ محمد الشعبي شيخ الطريقة الشعبية الأحمدية، له مؤلفات في التصوف.

أولاد المكتب، فسأل الشيخ عبد الوهاب عن السبب في ذلك، فقالوا له، فقيهم مريض ومنقطع في بيته مدة ثلاثة أيام. فقال الشيخ، استُجِبتَ لنا عيادته. ثم إنه توجه إليه فمسك نبضه فلم يجد به مرض. فقال له الشيخ، ما السبب في رقادك وانقطاعك؟ فقال له ما قاله له أولاد المكتب، فأخذ الشيخ بيده وجاء به إلى المكتب، وقال له تتقيد بهم ولا عليك من قولهم بعد اليوم رحمة الله عليه.

ومنهم الشيخ المغربي المدفون بجامع زغلول بثمر رشيد رحمته الله، ومنهم الشيخ علي السقي العزى ومنهم الشيخ علي الفرسي ومنهم الشيخ عبد النبي الديريني، ومنهم الشيخ علي التلاني، ومنهم الشيخ محمد الدبركي، ومنهم الشيخ محمد البهوتي الحنبلي ومنهم الشيخ علّام المنذري، ومنهم الشيخ أحمد الصعيدي، ومنهم الشيخ محمد الشريف اليمني، ومنهم الشيخ محمد السحراوي، ومنهم الشيخ زيتون خادم سيدي بهاء الدين المجذوب نفع الله به آمين.

ومنهم الشيخ علي بن القليوبي، ومنهم الشيخ عثمان المصري وأخوه الشيخ أحمد، ومنهم الشيخ سعد الدين ابن عبد المنعم الرزمكي، ومنهم الشيخ إبراهيم المغربي، ومنهم سيدي محمد بن محمد بن موفق، ومنهم الشيخ هندي بن مصطفى الرومي، ومنهم الشيخ أحمد بن محمد الوفاي ومنهم الشيخ سلامة السديمي وأخوه الشيخ عبد الرحمن، ومنهم الشيخ محمد وأخوه الشيخ علي ولدي الشيخ عمر القلقشندي، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن سيدي عمر الشناوي، ومنهم الشيخ أحمد بن عمر المنشاوي جد الفرّاش بزاوية الأستاذ الآن وهو الشيخ أحمد المنشاوي، ومنهم الشيخ علي بن عبد الرحمن السري، ومنهم الشيخ أحمد الشبيني ومنهم الشيخ عز الدين السند بسطي المؤذن، ومنهم الشيخ عمر السنجرجي المؤذن، ومنهم الشيخ محمد بن أحمد السبكي، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد بن أحمد السبكي، ومنهم الشيخ عبد الله بن محمد الحواوشي، ومنهم الشيخ العارف بالله تعالى روح الله العجمي، ومنهم الشيخ أبو الفضل بن أحمد صهر الشيخ العارف بالله تعالى سيدي

شمس الدين الحنفي، ومنهم الشيخ الصالح سيدي محمد الحنفي، ومنهم الشيخ العلامة حمدان الأزهرى، ومنهم الشيخ الصالح بدر الدين الشمريقي، ومنهم الشيخ أبو بكر البواب بالدشطوطي^(١) ومنهم الشيخ محمد بن عبد الله الدخيسي، ومنهم الشيخ منصور بن محمد الحجازي^(٢) ومنهم الشيخ محمد بن موفق أبو المتقدم، ومنهم الشيخ الصالح سراج الدين عمر الألبهي، ومنهم الشيخ محمد بن رضوان المحلي، ومنهم الشيخ شمس الدين بن أبي الطيب الأزهرى ثم المدني، ومنهم الشيخ العلامة بدر الدين السملائي الحنفي، ومنهم الشيخ أحمد العباسي السري، ومنهم الشيخ علي السنجرجي الضرير، ومنهم الشيخ علي بن عمر السري، ومنهم الشيخ محمد الأصيلي الدشطوطي، ومنهم الشيخ موسى البقري الإمام بزاوية سيدي عبد القادر الدشطوطي والخادم بمقامه رضي الله عنهما، وهو شيخ شيخنا الشيخ محمد البقري الشافعي الأزهرى، أخذ عنه جميع طرق الصوفية. والشيخ موسى البقري أخذها كلها عن سيدي عبد الوهاب الشعراني، وسيدي عبد الوهاب الشعراني أخذها كلها عن مشايخ كثيرة يزيدون على ثمانين شيخاً أجلهم وأعظمهم سيدي علي الخواص كما بينت ذلك في أوائل الكتاب. انتهى.

أقول، وأما العبد الفاني محي الدين الشعراني مؤلف هذا الكتاب والله الحمد أخذت الطرق كلها عن شيخنا الشيخ شمس الدين محمد البقري المذكور وهو عن شيخه الشيخ موسى البقري^(٣) وهو عن شيخه سيدي عبد الوهاب الشعراني وهو عن سيدي علي الخواص وهو عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقظة ومشافهة على مصطلح الصوفية الكرام رضي الله عنهم، كما بينت ذلك في كتابي المسمى «بسرور القلب وقرّة العيون في بيان نسب الأدب لا في نسب الظهور والبطون» جعلته على خمس وثلاثين مقصداً و كل مقصد، فيه طريقة من طرق أئمة السادة الصوفية وسندها

(١) أي بمسجد سيدي عبد القادر الدشطوطي بباب الشعرية ڤ.

(٢) ابن سيدي محمد حجازي الراعظ.

(٣) وهو عم الشيخ محمد كما ذكره الجبرقي في ترجمه الأخير.

لم أسبق إلى وضع مثاله، يعلم منه سلسلة كل طريق وسندها وذكرت فيه ما يشفي الصدور ويقر العيون، فالحمد لله رب العالمين. فعلم من ذلك أن بيني وبين النبي صلى الله عليه وسلم أربع رجال فقط لأن بيني وبين سيدي عبد الوهاب اثنان في جميع الطرق إلا من طريق الشيخ عيسى الفقيه الشناوي الشهير بالمزين، فإن بيني وبين سيدي عبد الوهاب رجال كثير. انتهى.

ومنهم الشيخ زين القطبي الحكيم، ومنهم سيدي شرف الدين بن الأمير شيخ سوق مرجوش، ومنهم سيدي أبو بكر بن الأمير محي الدين ابن أبي إصبع ومنهم الشيخ أبو الفتح المؤذن، ومنهم سيدي منصور المشد، ومنهم الشيخ محمد بن زغلول الشعراوي، ومنهم سيدي علي القرشي الفيومي، ومنهم الفقيه أحمد بن المرسى، ومنهم سيدي أحمد بن محي الدين السيرجاني صهر سيدي أبي الحسن الغمري، ومنهم الشيخ منصور الضرير المنذري، ومنهم الشيخ سالم بن عبد الرحمن السرمسي، ومنهم الشيخ الصالح العلامة شمس الدين الأزهري، ومنهم الشيخ علي الشبيني، ومنهم الشيخ نور الدين البخاري الأزهري، ومنهم الشيخ بدر الدين حسن الطريني، ومنهم الشيخ بدر الدين الضرير السمرقي ثم الغمري، ومنهم الشيخ عامر الطريني، ومنهم الشيخ محمد الطنيسي، ومنهم الشيخ نور الدين الدركيسي، ومنهم الشيخ شمس الدين الغماوي، ومنهم الشيخ علاء الدين الغمري، ومنهم الشيخ أحمد البحيري ومنهم الشيخ العلامة شهاب الدين بن عواد ومنهم الشيخ أحمد سبط السادة الوفاية، ومنهم الشيخ سراج الدين السملاوي، ومنهم الشيخ عبد المجيد الخليفة بالمقام الأحدي، ومنهم الشيخ عبد الرحمن بن سيدي يحيى الجزيري القباني بالقلعة، ومنهم الشيخ نور الدين السنهوري، ومنهم الشيخ نور الدين الحداد المليجي، ومنهم الشيخ شمس الدين محمد النقيب بالمقام الأحدي الشهير بابن نجاء، ومنهم الشيخ أحمد الإمام بجامع نويره بالوجه القبلي، ومنهم الشيخ عبد العال السديمي الأزهري، ومنهم الشيخ شمس الدين محمد الوزان بباب النصر، ومنهم الشيخ علي الغرابي المليجي، ومنهم الشيخ شرف المليجي، ومنهم الشيخ محمود من ذرية الشيخ علي

المليجي، ومنهم الشيخ أحمد المؤذن المليجي، ومنهم الشيخ علي المؤذن بمليج، ومنهم الشيخ أبو الخير الغرابلي المليجي، وغير هؤلاء لم يمن أطلع عليهم^(١).

مؤاخاة الإمام الشعراني بين أصحابه وذكر من آخى بينهم

وذكر شيخنا سيدي عبد الوهاب في خاتمة كتابه المسمى «تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا» بيان من خاوى^(٢) بينهم من تلامذته وأصحابه وأحبابه. وقال ﷺ اعلم أنه ينبغي للشيخ أن يؤاخي بين إخوانه كلهم اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يؤاخي بين أصحابه طلباً لتأليف قلوب بعضهم على بعض ليتعاضدوا ويتساعدوا على إحياء الدين وعدم ضعفه، وهذه أخوة خاصة زائدة على أخوة الإسلام.

قال ﷺ وقد جاءني سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني وسيدي أحمد بن الرفاعي رضي الله عنهما في ليلة الجمعة ثالث عشرين المحرم سنة سبع وستين وتسعمائة وقالوا لي، آخ بين أصحابك^(٣). فقلت لهما، سمعاً وطاعة. قال سيدي عبد الوهاب ﷺ فأخيت

(١) ومن لم يطلع عليهم المؤلف فيما يدر كما ذكر العلامة الإمام محمد حجازي بن عبد الله الواعظ القلقشندي، وكنيته أبو عبد الرحمن كما ذكره الكتاني في فهرس الفهارس. وصفه المرتضى الزبيدي بشيخ المحدثين، شرح الجامع الصغير في اثني عشر مجلداً وشرح ألفية السيوطي في الاصطلاح والأربعين السيوطية ومختصر ابن أبي جمرة وله غير ذلك من المؤلفات. وذكر المحبي في خلاصة الأثر أن انتسابه للإمام الشعراني هو لأبيه الشيخ عبد الله الواعظ القلقشندي الشعراني طريقة، أما هو فقد تلقى عن العارف بالله سيدي كريم الدين الخلوتي المترجم له بالحاشية في أول الباب والمتوفى سنة ٩٨٦. إلا أن العلامة الكتاني أثبت تلقيه عن القطب الشعراني كذلك ويجمع بينهما أنه تلقى أولاً عن الإمام الشعراني ثم بعد انتقاله تلقى عن سيدي كريم الدين الخلوتي. إذ أن مولده سنة ٩٥٧ فتكون سنة حين توفي الإمام الشعراني ست عشرة سنة، ويكون أخذ عن العارف الخلوتي بعد ذلك استكمالاً لسلوكه. توفي سنة ١٠٣٥.

- ومنهم سيدي أحمد الكلبي، شيخ المحيا بالأزهر وهو مجلس الصلاة على النبي ﷺ الذي أنشأه سيدي نور الدين الشوني ﷺ. قال الإمام المناوي في طبقاته: «وأخذ التصوف عن شيخنا الشعراوي^(٤). الكواكب الدرية ٤ / ١٣٨ - ١٣٩ ط الأزهرية. والمحبي ١ / ٢٦٦.

(٢) أي آخى.

(٣) ولعل في حضورهما رضي الله عنهما معاً في تلك الرؤيا إشارة إلى تأخيها، فأين هؤلاء الذين يظنون تعدد طرق السادة الصوفية تفرقاً وتشيعاً من هذه الحقائق الصوفية الدامغة.

بينهم امتثالاً للشارع ولأمر هذين الشيخين رضي الله عنهما. قال ﷺ، فرأيت تلك الليلة جماعات ممن واخيت بينهم في المنام، كأن الجماعة كلهم نزلوا في طين ووحل فصار بعضهم يأخذ بيد بعض ويُطْلَعُهُ حتى طلَعُوا كُلُّهُمْ. قال ﷺ فحمدت الله تعالى على ذلك لأن فيه علامة على أن تلك المؤاخاة نفعتهم انتهى.

وسأذكر لك يا أخي جملة صالحة من أسماء جماعة آخى بينهم سيدي عبد الوهاب صاحب هذه المناقب من أصحابه وأحابه وتلامذته ليرجع إليها عند الاحتياج إلى معرفتهم فأقول وبالله التوفيق.

اعلم أنه ﷺ آخى بين جماعة من أصحابه في تلك الليلة التي رأى فيها الشيخين المذكورين وبين جماعة منهم في غير تلك الليلة في مدة حياته ﷺ وعنهم أجمعين.

ومنهم الشيخ الصالح الولي الزاهد الشيخ جامع إمام المدرسة المؤيدية بباب زويلة الشافعي، آخى بينه وبين جميع أصحابه من حضر منهم ومن غاب، وحضروا كلهم، خطوطهم في مستند المؤاخاة.

ومنهم الشيخ محمد الكتاني الوقاد آخى بينه وبين ولده الشيخ عبد الرحمن وبين الشيخ ناصر الدين السندبسطي والشيخ علي السرسي والشيخ محمد الصعيدي والشيخ علي البهوتي والشيخ أحمد البحيري والشيخ إسماعيل الطباخ.

ومنهم الشيخ علي المرحومي آخى بينه وبين ولده الشيخ عبد الرحمن وبين الشيخ أحمد القلتي والشيخ عبد السلام ولدهم الشيخ والشيخ علي السرسي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ ناصر الدين السندبسطي والشيخ علي التلباني والشيخ بركات الأحدي والحاج علي المنوفي وأبي النصر التفهني والشيخ أحمد العذاري والشيخ عبد القادر الصانع والشيخ علي البهوتي والشيخ أحمد الشبيني والشيخ أحمد البحيري والشيخ محمد السبكي والشيخ أحمد الشعبي والشيخ عبد الرحمن النقيب بالزاوية

والشيخ محمد الترساوي والشيخ علي الضرير السنجرجي والشيخ إسماعيل الطباخ
والشيخ إسماعيل الطباخ السري والشيخ منصور الذاكر بالمأذنة، والشيخ أبي بكر
المؤذن والشيخ عبد الغني الضرير والشيخ علي شقير والشيخ معز والشيخ عبد النبي
المجذوب والشيخ شرف الدين بن الأمير وأخيه سيدي محمد وسيدي شرف الدين
الخطيب وسيدي محمد بن موفق والشيخ محمد المغزلي الإمام والشيخ محمد الخضري
والشيخ محمد المزين والشيخ محمد السماك والشيخ شرف الدين الصابغ ومنهم الشيخ
الصالح أبو البقاء التفهني أخى بينه وبين الشيخ عبد السلام والشيخ أحمد المنشاوي
والشيخ إسماعيل الطباخ وولده الشيخ عبد الرحمن والشيخ أحمد البحيري والشيخ
علي البهوتي والشيخ شرف الدين الطوخي والشيخ عثمان الصعيدي والشيخ عبد
الرحمن النقيب والشيخ منصور الذاكر ومنهم الشيخ أحمد الشبيني أخى بينه وبين
الشيخ حسن الحبار والشيخ علي شقير والشيخ عبد السلام والشيخ أحمد الشعبي
والشيخ علي السري والشيخ نور الدين البخاري والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ
شحادة الضرير وناصر الدين المنشاوي ومحمد المزين ومحمد القباني في مطبخ السكر
ومحمد بن السماك والشيخ أحمد المقسمي والشيخ يوسف المنزللاوي وسيدي محمد
القصبي والشيخ سلامة السندبسطي وشرف الدين البهوتي والشيخ محمد السبكي
ومحمد القلقشندي.

وأخى بين الشيخ علي البدوي والشيخ محمد المغربي والشيخ محمد الصعيدي
والشيخ عبد السلام ولد عم الشيخ والشيخ علي السري والشيخ إسماعيل السري
والشيخ أحمد المنشاوي وأخيه ناصر الدين والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ محمد
الكتاني والشيخ علي التلاني والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ حسن الحبار والشيخ
أحمد البحيري والشيخ علي البهوتي وعلي الشعراوي والشيخ أحمد الشعبي والشيخ
شهاب الدين العاملي والشيخ محمد الأجهوري وخضر القلقشندي والشيخ سلام
القهاوي وأخيه خضر والشيخ محمد المنزللاوي والشيخ عبد النبي الضرير وشحاده
الضرير وعمر الضرير والشيخ عمر المؤذن وأخيه الشيخ أبي بكر وعامر المنذري

ومحمد السنجي ومحمد البلشومي وعلي الشريف وعبد الرحمن الصناديدي وحسن
السهرجتي والشيخ علي البسطي وأحمد السويقي وأحمد الأسدودي ومحمد الدمليجي
والشيخ عثمان الصعيدي وعبد الله الضرير وعامر الضرير والشيخ علي شقير والشيخ
أحمد القلتي ومحمد الخصري ومحمد المنذري.

وأخى بين محمد بن محي الدين الدجموني وبين الشيخ علي البهوتي والشيخ
عبد النبي وشحادة الضرير ويوسف المسيري وناصر الدين المنشاوي وعلي
الشعراوي.

وأخى بين الشيخ سعد الدين الرزمكي ابن القاضي عبد المنعم القادري وبين
ولده الشيخ عبد الرحمن والشيخ محمد الصعيدي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ أحمد
البحيري والشيخ علي شقير والشيخ نور الدين البخاري والشيخ عبد النبي الضرير
وسيدي علم الدين الخطيب وسيدي محمد بن الموفق الصغير.

وأخى بين الشيخ علي شقير وبين الشيخ نور الدين البخاري والشيخ أحمد
المنشاوي والشيخ علي السرمي والشيخ عبد السلام ولد عم الشيخ، والشيخ محمد
الخصري والشيخ علي البسطي والشيخ نور الدين المليجي والشيخ أحمد البحيري
والشيخ أحمد الشعبي والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ إبراهيم الشبيني والشيخ
أحمد الشبيني والشيخ سراج الدين المتبولي وسيدي أحمد بن الأسود الغمري وسيدي
جلال الدين السكري وسيدي محمد القباني والشيخ حسن الحبار والشيخ عبد النبي
الضرير وشحادة الضرير وعلي الشعراوي والشيخ ناصر الدين السندبسطي وناصر
الدين المنشاوي والشيخ محمد السبكي والشيخ أبي بكر المؤذن والسنجرجي الضرير
والشيخ أحمد الكتاني والشيخ شرف الدين السقبابتي والشيخ صلاح الدين المليجي
والشيخ أحمد قلني والشيخ أبي بكر الدشطوفي والشيخ أحمد المقسمي وسيدي محمد
القصبي وشيخ جامع إمام المؤيدية الشافعي وسيدي محمد مزين وسيدي سعد الدين
القادري أخو الواقف للزاوية.

وآخى بين الشيخ علي البهوتي وبين الشيخ عبد السلام والشيخ أحمد الشعبي
والشيخ علي السرسى والحاج علي المنوفى والشيخ إسماعيل النقيب والشيخ محمد
الصعيدى والشيخ محمد الكتانى والشيخ محمد الترساوى والشيخ أحمد الشبيني
والشيخ علي البسطى والشيخ أحمد البحري والشيخ سلامة السندبسطى والشيخ عبد
النبي الضرير وشرف الدين البهوتي وشرف الدين الطوخى والشيخ أحمد المنشاوى
والشيخ نور الدين المليجي.

وآخى بين الشيخ التلباني وبين ولده الشيخ عبد الرحمن والشيخ أبي بكر
الدشوطي والشيخ عبد الرحمن من ذرية سيدي علي المليجي والشيخ شرف الدين
ابن الأمير والشيخ أحمد المنشاوى والشيخ ناصر الدين السندبسطى ومحمد بن الشريفة
والشيخ إبراهيم المرصفي الشبيني والشيخ أحمد الشعبي والشيخ محمد السبكي
والشيخ أحمد الشبيني وسيدي أحمد البرماوى والشيخ محمد الخضرى وسيدي يحيى
الأحمدي الماوردي والشيخ نور الدين البخاري والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ
أحمد البحري وسيدي محمد بن موفق الكبير وسيدي أبي الفضل صهر الحنفي
وسيدي محمد العبادي وسيدي أبي بكر بن أبي إصبع وسيدي علي بن الأمير أربك
والشيخ يوسف العبادي وسيدي عبد الغني أخيه وسيدي أبي البقاء ابن أخي القاضي
شرف الدين وسيدي الشيخ عمر بن الجابي والشيخ محمد الترساوى والشيخ أبي
النصر الجزيري وسيدي أبي الفضل الجزيري والشيخ شرف الدين الميقاتي^(١) وسيدي
محمد بن السبع والشيخ علي السنجيدي وولد عمه الشيخ محمد وأخيه والشيخ نجم
الضرير وفخر الدين الضرير وأحمد السرسى الضرير وعامر السيد أبي الضرير
والشيخ مسلم الضرير ومحمد المنذري ويعقوب الأعرج والسنجرجي الضرير
والشيخ شهاب الدين صهر الشوني وموسى الضرير وعبد الله الضرير والشيخ محمد
الضرير الشبيني ورمضان الضرير وعثمان الصعيدى ومحمد بن الشعبي وحسين

(١) غير واضح بالأصل، وأثبتنا الاسم هكذا اجتهاداً.

النواب والشيخ أحمد القلتي والشيخ أبي بكر المؤذن والشيخ محي الدين الوراق
ويوسف الضرير وسالم المنذراوي والشيخ نور الدين الحداد المليجي والفقيه صلاح
الدين المليجي والفقيه أحمد العباسي والشيخ علي الذاكر والشيخ علي البسطي ولد
أخيه حسام الدين وسيدي جلال الدين السكري وسيدي أحمد بن محي الدين وولده
عبد الله.

وآخى بين الشيخ نور الدين المليجي وبين الشيخ عبد السلام ولد عمه وبين
الشيخ أحمد المنشاوي والشيخ أحمد الشعبي والشيخ علي شقير والشيخ محمد
الترساوي والشيخ علي البسطي والشيخ أحمد البحيري والشيخ علي البهوتي والحاج
علي الغرابلي المليجي والشيخ شريف المليجي وأخيه عبد القادر والشيخ محمد بن
رضوان والشيخ أحمد المؤذن المليجي وأخيه والشيخ محمود بن الشيخ أبي الحسن من
ذرية سيدي علي المليجي وأخيه الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ أبي الحسن من ذرية
سيدي علي المليجي، الفقيه والخليفة بالزاوية والشيخ أبي بكر الدشطومي والشيخ علي
التلباني والشيخ علي المؤذن مليج والشيخ أحمد القلتي والشيخ محمد الخضري والشيخ
أحمد المليجي والشيخ محمد الصعيدي والشيخ أبي الخير الغرابلي المليجي والشيخ علي
السرسي.

وآخى بين سيدي محمد بن الشعبي وبين الشيخ نور الدين البخاري والشيخ
علي شقير والشيخ علي السرسي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ أحمد الشعبي وزين
العابدين بن الشيخ عمر والشيخ أحمد البحيري وشرف الدين الطوخي والشيخ محمد
الصعيدي والشيخ علي التلمساني والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ أبي بكر
الدشطوطي والشيخ منصور الذاكر بالمأذنة والشيخ عبد السلام ولد عم الشيخ.

وآخى بين الشيخ أحمد البحيري وبين الشيخ نور الدين البخاري والشيخ
أحمد المنشاوي والشيخ علي السرسي والشيخ عبد السلام ولد عم الشيخ والشيخ محمد
الكتاني والشيخ محمد الخضري والشيخ علي البسطي والشيخ عبد الرحمن الفقيه

بالزاوية والخليفة بها من ذرية سيدي علي المليجي والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ أحمد الشبيني والشيخ أحمد الشعبي والشيخ نور الدين الحداد والشيخ إبراهيم المرصفي والشيخ سراج الدين النوبي وسيدي جلال الدين السكري وسيدي أحمد بن الأسود الغمري والشيخ حسن الحبار وسيدي محمد القباني والشيخ عبد النبي الضرير وعلي الشعراوي والشيخ علي البهوتي وشرف الدين الطونجي والشيخ أبي بكر الدشوطي والشيخ سلامة القهاوي وسيدي سعد الدين القادري.

وأخى بين الشيخ شهاب الدين الشعبي^(١) وبين الشيخ علي السيوطي وبين الشيخ ناصر الدين السندبسطي والشيخ علي شقير والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ نور الدين البخاري والشيخ عبد السلام وسيدي أحمد البرماوي وسيدي شرف الدين ابن الأمير وأخيه سيدي محمد وأخيه سيدي حسام الدين وسيدي محمد بن الموفق وسيدي أبي الفضل الحنفي والشيخ حسن الطريني والحاج رمضان المناخلي والحاج عوض وولده وسيدي أحمد والحاج علي السلموني وسيدي أبي بكر القباني وسيدي إبراهيم الكتبي والشيخ محمد الخضري والشيخ محمد السبكي والشيخ أبي بكر المؤذن والحاج عبد الرحمن السندبسطي وأخى بين سيدي شرف الدين ابن الأمير وبين ولده سيدي عبد الرحمن وبين جميع المجاورين بالزاوية، كل واحد باسمه.

ولقد أخى بين علماء مصر وأولاد أمرائها من الترك والعربان كالشيخ بدر الدين الشهاوي^(٢) والشيخ سراج الدين الخانوتي^(٣) والشيخ شمس الدين الخطيب

(١) هنا كلمة غير واضحة بالأصل.

(٢) هو العالم الورع الزاهد الشيخ بدر الدين الشهاوي الحنفي صحبه الإمام الشعراي ثلاثين عاماً فمأراه زاغ عن الشريعة في شيء من أفعاله ولا أقواله ولا عقائده. أخذ طريق التصوف عن سيدي أبي السعد الجارحي رضي الله عنهما فكمل بذلك حاله لأن الفقيه إذا لم يكن له علم بطريق القوم فهو ناقص في المقام. ذكره الإمام الشعراي في الصغرى ولم يذكر تاريخ وفاته وذكر الغزي أنه مات بعد سنة ستين وتسعمائة، وضبطه صاحب الشذرات بسنة ٩٦١ هـ. انظر الطبقات الصغرى ص ٩٤.

الشربيني^(١) والشيخ نور الدين البخاري والشيخ محمد الحنفي الشاذلي وسيدي عمر بن الأمير الجاي والشيخ حسن الطريني والشيخ عامر الطريني وسيدي أبي بكر بن أبي إصبع وأخيه محمد وسيدي علي باي بن الأمير أزيك وسيدي سليمان بن بنت الملك المؤيد والأمير منصور بن عمر والأمير حسن بن حماد وسيدي محمد العبادي وسيدي محمد بن الموفق وسيدي أحمد الراشدي وسيدي أبي الفضل صهر الشيخ الحنفي وسيدي شرف الدين الخطيب وسيدي عبد الباسط بن القاضي عبد الباسط، أخى بينهم جميعاً.

وأخى بين الشيخ شهاب الدين أحمد المنشاوي وجميع أصحابه القاطنين في الزاوية والخارجين عنها كل واحد باسمه.

وأخى بين سيدي جلال الدين السكري وبين سيدي عبد الرحمن والشيخ نور الدين البخاري والشيخ أحمد البحيري والشيخ علي البهوتي والشيخ محمد الترساوي والشيخ محمد الصعيدي والشيخ محمد السبكي والشيخ شهاب الدين أحمد المنشاوي وسيدي أبي الفضل محمد صهر الشيخ الحنفي وسيدي أبي الفضل القباني والشيخ علي شقير وجميع من اختاره من الفقراء.

وأخى بين سيدي محمد بن الأمير شيخ سوق أمير الجيوش وبين الشيخ أحمد الشعبي والشيخ محمد الخضري والشيخ محمد الصعيدي والشيخ علي البهوتي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ أحمد البحيري والشيخ إسماعيل النقيب والشيخ

(١) لم يكن في أقرانه أكثر اعتقاداً منه في الفقهاء لا يكاد يغفل عن زيارة الصالحين أحياء وأمواتاً، وذكر الإمام أنه صحبه عشرين سنة فما يظن كاتب الشمال كتب عليه شيئاً من شدة تقواه وضبطه لجوارحه. توفي سنة ٩٧٠ هـ. انظر الصغرى ص ٩٢.

(٢) ترجم له الإمام في الطبقات الصغرى وأطال في ترجمته فقال: «ومنه الأخو الصالح العالم الزاهد المقبل على عباد ربه ليلاً ونهاراً الشيخ شمس الدين الخطيب الشربيني رحمته الله، صحبته نحو أربعين سنة فما رايت عليه شيء يشينه في دينه... إلى آخر ما ذكر، وهو صاحب الشرح المشهور على متن أبي شجاع المسمى بالاقناع في فقه الشافعية. توفي سنة ٩٧٧ هـ كما ذكره الغزي ٣/ ٧٢.

منصور الذاكر بالمأذنة والفقيه أحمد العباسي وسيدي محمد ابن الموفق وسيدي محمد العبادي وسيدي أبي الفضل محمد صهر الحنفي وسيدي عبد الباسط بن القاضي عبد الباسط صاحب المدرسة وسيدي عمر بن ألقاي الحنفي.

وأخى بين الشيخ يونس بن عباد وبين الشيخ محمد الترساوي والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ محمد الصعيدي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ علي السرسبي والشيخ محمد السبكي والشيخ سلامة القهاوي وأخيه خضر والشيخ شهاب الدين أحمد العاملي.

وأخى بين علي بن أحمد الأجهوري وبين الشيخ ناصر الدين السندبسطي والشيخ حسن الحبار والشيخ حسن شقير علي البيري.

وأخى بين الأخ أبي النصر وبين الشيخ شهاب الدين الضبعي والشيخ جامع إمام المؤيدية والشيخ منصور الصعيدي والحاج علي المقشاتي والشيخ بشير الحنفي والشيخ شهاب الدين المقدسي والشيخ محمد البرهموشي وغيرهم.

وأخى بين محمد الشبراوي والشيخ محمد الترساوي وشحادة البصير والشيخ حسن الحبار والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ عبد النبي.

وأخى بين الشيخ عبد رب النبي المنذري وبين الشيخ أحمد البحيري والشيخ علي البسطي والشيخ علي الشعراوي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ عبد الباقي والشيخ محمد الترساوي والشيخ علي شقير والشيخ سلام القهاوي.

وأخى بين القاضي شمس الدين العبادي وبين سائر المجاورين وبين سيدي شرف الدين ابن الأمير وأخوته وبين سيدي أبي الفضل الحنفي وسيدي محمد بن الموفق وسيدي علي باي وسيدي أبي بكر بن أبي إصبع وبين سيدي شرف الدين الخطيب وبين سيدي أحمد الراشدي.

وأخى بين الشيخ سلطان الحواوشي وبين الشيخ أحمد المنشاوي وأخيه ناصر الدين والشيخ أحمد البحيري والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ علي شقير والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ علي الشعراوي والشيخ محمد المنذري والشيخ أبي الخيرين عز الدين والشيخ محمد الخضري والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ صالح الشريف.

وأخى بين ولد أخيه الشيخ عامر وبين الشيخ عبد السلام ولد عمه والشيخ علي شقير والشيخ محمد الصعيدي والشيخ إسماعيل الطباخ.

وأخى بين الشيخ علي البهوتي والشيخ أحمد البحيري والشيخ العاملي شرف الدين الطوخى وشرف الدين البهوتي ومحمد السنجي وأحمد الحواوشي والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ علي البسطي والشيخ شهاب الدين العاملي وسلام القهاوي وأخيه خضر وأخى بين الشيخ علي السرمسي وبين الشيخ محمد الصعيدي وبين الشيخ حسن الحبار والشيخ أحمد الشبيني.

وأخى بين ولد العم الشيخ عبد السلام وبين محمد الأجهوري والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ محمد السبكي والشيخ علي شقير.

وأخى بين الشيخ علي البسطي والشيخ أحمد المنشاوي والشيخ علي البهوتي والشيخ نور الدين البخاري والشيخ محمد الترساوي والشيخ منصور الذاكر في الليل في المأذنة.

وأخى بين الشيخ أحمد القلتي وبين الشيخ محمد الشعبي والشيخ علي السرمسي والشيخ محمد السبكي والشيخ علي شقير والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ عبد الرحمن النقيب والشيخ محمد الخضري والشيخ علي التلباني وشحادة الضرير وعلي الشعراوي والشيخ أبي بكر المؤذن ونور الدين الحداد ويوسف المسيري والشريف معن.

وآخى بين ولد عبد الرحمن وبين الشيخ حسن الحبار والشيخ أحمد العباسي
والشيخ أحمد الشبيني والشيخ علي شقير والشيخ محمد الكتاني.

وآخى بين سيدي محمد بن الموفق وبين سيدي أبي الفضل الحنفي وسيدي
شرف الدين بن الأمير وسيدي علي باي ابن أمير كبير وسيدي أبي الفضل القباني
ومحمد بن أخت الشيخ خضر وسيدي عبد المنعم وسيدي أبي البقاء والشيخ ناظر
الدين السندبسطي والشيخ عبد السلام الشعراوي والشيخ أحمد الشعبي وبين الشيخ
إبراهيم والحاج رمضان المناخلي وسيدي علي الميلموني وسيدي أبي بكر القباني والسيد
الشريف قنطر ساسة والرئيس حنكة وغيرهم.

وآخى بين الشيخ خضر وولده عبد المنعم وبين أحمد المشاوي والشيخ محمد
الخضري وسيدي الشيخ مدين والشيخ عبد السلام والشيخ علي البخاري والشيخ
محمد الترساوي والشيخ محمد الصعيدي وجماعة.

وآخى بين الشيخ الصالح الشيخ شهاب الدين الضبعي الحنفي وبين ولد عبد
الرحمن والشيخ عمر بن الأمير ألقاي الحنفي والشيخ أمين الدين الحنفي جد ابن
الأمين سيدي أحمد والشيخ شمس الدين البرهمتوشي الحنفي وجماعة.

وآخى بين سيدي محمد ابن السبع وبين ولده عبد الرحمن وبين علي التلباني
ونور الدين البرماوي والشيخ محمد الصعيدي وسيدي شرف الدين ابن الأمير
والشيخ أحمد العباسي والفقير عمر المليجي والشيخ محمد الترساوي.

وآخى بين الشيخ جمال الدين الشطنوفي والشيخ عبد النبي الضرير والشيخ
محمد الصعيدي والشيخ محمد الخضري.

وآخى بين سيدي شرف الدين بن الأمير وسيدي محمد بن الموفق
والأمير حسن بن بغداد والأمير منصور بن عمر والرئيس حنكة وأمين الدين
المحتسب والحاج محمد شقير البنا والشيخ إبراهيم الكتبي وسيدي علي البلموني

وسيدي أبي بكر القباني وأخيه ووالدهما والشيخ بركات المزاهري والشيخ علي
والشيخ أحمد أولاد المعلوف^(١) والشيخ أحمد الترساوي وجماعة. وأخى بين ولده
عبد الرحمن وبين الشيخ جامع إمام المؤيدية وسيدي شرف الدين بن الأمير
والشيخ ناصر الدين السندبسطي وجماعة وأخا بين الشيخ نور الدين البخاري
والشيخ حسن الطريني والشيخ عامر الطريني والشيخ علي الذكرشي والشيخ
ناصر الدين العشماوي وجماعة.

وأخى بين الشيخ عبد القادر السبكي وبين الولد زين العابدين بن الشيخ
عمر القلقشندي وبين أحمد اليتيم وبين أبي بكر أكداال والشيخ علي السرسبي
والشيخ علي شقير والشيخ إسماعيل الطباخ والشيخ علي البهوتي والشيخ أحمد
البحيري.

وأخى بين سيدي أبي الفضل الحنفي وبين ولده عبد الرحمن وبين الشيخ محمد
الترساوي وبين الشيخ عبد السلام الشعراوي وبين الشيخ أحمد الشناوي والشيخ
محمد السبكي والفقير أحمد العباسي وبين سيدي محمد الحنفي وصهره وبين الشيخ
حسن الحبار وسيدي محمد بن الموفق وسيدي الشيخ أبي الصفا بن عنان وسيدي
الشيخ حسين العبادي وسيدي محمد العبادي وسيدي جلال الدين السكري وسيدي
شرف الدين بن الأمير وجماعة.

(١) المقصود أنهم من ذرية الولي العارف سيدي أحمد المعلوف رضي الله عنه المتوفى في النصف الأول الثامن الهجري
على الأرجح. قال صاحب النصيحة العلوية كان من أجل أصحاب السطح وكان سيدي أحمد البدوي يحبه حباً
شديداً وكان إذا تكلم مع الأستاذ بأي كلام لا يرده أبداً لمعزته عليه وكذلك ذريته فإن الأستاذ يسمع كلامهم ولا
يرده، وله ذرية، على غير نظام الفقراء، وكل من آذاهم أو رد شفاعتهم لا يحول عليه الحول. ومقامه بحبي شبرا
البلد في شبرا الخيمة. أقول: ولهم أحمد المعلوف آخر ولعله أحد المذكورين أعلاه ومقامه بمنية السرج بالقاهرة.
والشائع بالمصادر أن السيد المعلوف الآخذ عن سيدي أحمد البدوي هو الموجود بمنية السرج إلا أن بعض أهل
الكشف ذكر أنه هو الموجود بشبرا البلد وأن المقام الكائن بمنية السرج هو لبعض ذريته، والله تعالى أعلم.

وآخى بين الشيخ عبد الرحمن النقيب وبين الشيخ عثمان الصعيدي وبين ناصر الدين المنشاوي ومحمد الخضري وعلي التلباني والشيخ إسماعيل الطباخ وجماعة نحو ثلاثمائة نفس في ذكرهم في كتابه «تطهير أهل الزوايا من خبائث الطوايا» منه أنه بين جميع من آخى بينهم من أصحابه وتلامذته في كراسة مستقلة بذكرهم فراجعها ترى العجب.

وليكن ذلك آخر كتاب تذكرة أولي الألباب في مناقب الشعراني سيدي عبد الوهاب الشعراني وهي المناقب الكبرى والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

خاتمة

وتيمناً بهذا النسب الكريم وتحدثاً بنعمة الله عليّ إذ كنت من سلالة هذا الرجل الطاهر القطب الكبير العارف بالله تعالى سيدي عبد الوهاب الشعراني، أذكر نسبتي إليه وهي:

صفر الشعراني الشهير بمحمد الشعراني بن السيد عبد الوهاب الشعراني بن السيد عبد الحلیم الشعراني بن السيد عمر الشعراني بن السيد عبد الرحمن الشعراني بن السيد عمر أبي الطوع الشعراني بن السيد عبد الرحمن أبي النصر الشعراني بن السيد أحمد أبي الفلاح الشعراني بن السيد مصلح الدين الشعراني بن السيد عبد الحلیم الشعراني بن السيد يحيى الشعراني بن السيد عبد الرحمن الشعراني المكنى بأبي هريرة بن صاحب هذه المناقب القطب الكبير والولي الشهير سيدي الأستاذ الشيخ عبد الوهاب الشعراني رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وقد خلفت ولداً في الحول الأول من عمره سميته محيي الدين الشعراني.

وقد أعقب جدي المرحوم السيد عبد الحلیم عمر الشعراني غير والذي المرحوم السيد عبد الوهاب الشعراني المذكور ولدين آخرين هما عمي المرحوم السيد محمد عبد الحلیم الشعراني وعمي السيد عبد اللطيف الشعراني.

وعمي حضرة السيد عبد اللطيف الشعراني خَلَفَ ولدين هما السيد عبد الحلیم عبد اللطيف الشعراني الطالب بالمدارس الثانوية، وإبراهيم عبد اللطيف الشعراني في السنة الخامسة من عمره.

وعمي المرحوم السيد محمد عبد الحلیم الشعراني المذكور أعقب ولديه^(١) السيد علي محمد الشعراني الصيدلي بمصلحة الصحة العمومية بمصر، والسيد حسن محمد الشعراني الطالب بجامعة أدنبره بإنجلترا،

صفر الشعراني

٢٧ رمضان المعظم سنة ١٣٥٠.

(١) بالأصل: «والداه».

الفهرس

٣	مقدمة
٩	ترجمة المؤلف
١١	مقدمة الطبعة الأولى لحفيد الإمام الأستاذ الشعراني
١٣	مقدمة المؤلف

الباب الأول

	في بيان مناقب جماعة من أصوله وأسلافه الكرام ومناقب أخيه العارف الهمام
١٧	«مولانا الشيخ موسى أبو العمران»
٢٠	«سيدي محمد»
٢٠	«سيدي أحمد شهاب الدين الشعراني»
٢١	«الشيخ نور الدين علي الأنصاري»
٣٨	«الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين علي الأنصاري»
٤٠	«الشيخ عبد القادر الشعراني»

الباب الثاني

	في بيان مناقبه الخاصة به وبيان ما وقع له من خوارق العادات وبيان أحواله من
٤٨	ولادته إلى وفاته على ما بيته فيما تقدم في أوائل الكتاب فأقول وبالله التوفيق
٤٨	نسبه الشريف
٤٨	مولده ونشأته ورحيله إلى القاهرة
٤٩	نشأته المباركة
٥٠	شيوخه في العلم
٥١	محفوظاته وما طالع من كتب الشريعة وشيوخه في العلم
٦٢	مسند الإمام الشعراني في الفقه
٦٣	شيوخ الإمام الشعراني في الطريق الصوفي
٦٣	سيدي علي الخواص
٦٩	سيدي علي المرصفي

٧١	طائفة أخرى من شيوخ الإمام الشعراني رضي الله تعالى عنهم
٧٣	سند الإمام الشعراني في الطريق وترجمة سيدي محمد الشناوي
٧٦	سند سيدي محمد الشناوي في الطريق
٧٧	سند الإمام الشعراني في خرقة التصوف
٧٨	الطرق التي تلقاها الإمام الشعراني
٧٩	مؤلفات الإمام الشعراني
٨٤	طرف مما اطلع عليه ﷺ من المغيبات
٨٥	عظم جوده في كسائه الجسم الغفير بأنواع الأكسية الفاخرة
٩٠	شيء من مرثي الإمام رضي الله عنه ومشاهده البرزخية
٩١	بعض من أوراده وأذكاره ﷺ
٩٣	تحمله الأذى وعظيم عفوه ﷺ
٩٤	جوانب وضاءة من رفيع زهده ومكارم أخلاقه رضي الله تعالى عنه
٩٩	طرف آخر من عظيم شمائله ﷺ
١١٥	أزواجه وصلاحهن رضي الله تعالى عنهن
١١٦	كرمه وورعه في زاويته
١١٧	مجلس الذكر والصلاة على النبي ﷺ في زاويته
١١٨	زيارة الملائكة له ﷺ
١٢٢	تأويله ما أشكل من كلام الأولياء العارفين
١٢٥	طرف آخر من عظيم أخلاقه
١٢٧	فائدة عظيمة عنه في صلاة الاستخارة
١٣١	بعض وقائعه مع أرباب الأحوال من الأولياء
١٣٦	طائفة أخرى من أخلاقه ﷺ
١٤٠	بعض كرامات سيدي عبد الوهاب ﷺ
١٤٢	صورته الجسمانية ﷺ
١٤٤	اهتمامه لأمر المسلمين
١٤٥	طائفة أخرى من منن الله تعالى عليه
١٤٧	تكميله مقامات بعض الأولياء المنتقلين
١٦٤	ولاة مصر الذين عاصروهم الإمام الشعراني

١٦٨	تاريخ بناء مدرسته
١٧٣	قصة حفر البئر التي كانت بمسجد سيدي عبد الوهاب حتى وقت قريب
١٧٦	ما يتعلق بوفاة ﷺ

الباب الثالث ١٧٧

	«في بيان مناقب خلفه من أولاده وأحفاده وذريته الذين حفظهم الله تعالى بأنواره وخصهم بفهم حقيقة علوم أسرارهم فأقول وبالله التوفيق»
١٧٧	«سيدي إبراهيم»
١٨٥	«سيدي يحيى»
١٨٦	«سيدي شمس الدين محمد»
١٩٤	«سيدي عبد الحلیم أبو الصلاح»
١٩٤	«سيدي عبد الوهاب الشعراني الصغير»
٢٠٧	«سيدي مصلح الدين الشعراني»

الباب الرابع ٢١٢

٢١٢	في بيان مناقب أصحابه وأتباعه وأشياعه
٢٢٠	مؤاخاة الإمام الشعراني بين أصحابه وذكر من آخى بينهم
٢٣٣	خاتمة